

النشرة اليوميةجانفي 2008**النص البشري في سوائه وإضطرابه**

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

**مقالات جانفي 2008****المجلد 2 ، عدد 5- جانفي 2008**

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية



## النص البشري في سوائه وإضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفيسور يحيى الرخاوي

مقالات جانفي 2008

## الفهرس

- الثلاثاء 01-01-2008:
- 922 123- "المنتدى" والنص البشرى: من منظور تطورى
- الإربعاء 02-01-2008:
- 929 124- أنواع العقول (وإلغاء عقول الآخرين)
- الخميس 03-01-2008:
- 936 125- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاها
- الجمعة 04-01-2008:
- 940 126- حوار بريد الجمعة
- السبت 05-01-2008:
- 947 127- الموت: ذلك الوعى الآخر
- الأحد 06-01-2008:
- 957 128- الشخصية الفرحانقباضية (وأخواتها) (من منظور تطورى)
- الإثنين 07-01-2008:
- 966 129- عن الالتزام بتقديم خبرات من ثقافة مختلفة
- الثلاثاء 08-01-2008:
- 979 130- الممارسة الإكلينيكية: بحث علمى مستمر
- الإربعاء 09-01-2008:
- 989 131- الأصل والصورة!!
- الخميس 10-01-2008:
- 999 132- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاها
- الجمعة 11-01-2008:
- 1004 133- حوار بريد الجمعة
- السبت 12-01-2008:
- 1025 134- قبلا وأحضان، وحوار الأديان
- الأحد 13-01-2008:
- 1028 135- عن الثقة والتخوين وحركية النمو (1) والنمو البشرى
- الإثنين 14-01-2008:
- 1036 136- عن الثقة والتخوين (2)

- الثلاثاء 15-01-2008:
- 1050 137- هل عندنا بديل؟
- الإربعاء 16-01-2008:
- 1057 138- نوعان من التواجد البشرى
- الخميس 17-01-2008:
- 1064 139- نجيب محفوظ : قراءة في أحلام فترة النقامة
- الجمعة 18-01-2008:
- 1069 140- حوار بريد الجمعة
- السبت 19-01-2008:
- 1079 141- من كل صوب وحدب، من كل دين ودرّب!
- الأحد 20-01-2008:
- 1081 142- الصحة النفسية والتطور الفردى  
وعصر المعلومات
- الإثنين 21-01-2008:
- 1090 143- الأسرة والثقافة والطب النفسى  
والإدمان (1)
- الثلاثاء 22-01-2008:
- 1100 144- الأسرة والثقافة والطب النفسى  
والإدمان (2)
- الإربعاء 23-01-2008:
- 1106 145- الدوران حول الذات والاختفاء في كهفها
- الخميس 24-01-2008:
- 1115 146- نجيب محفوظ : قراءة في أحلام فترة النقامة
- الجمعة 25-01-2008:
- 1120 147- حوار بريد الجمعة
- السبت 26-01-2008:
- 1128 148- أحب المؤرخين، ولا أثق في التاريخ
- الأحد 27-01-2008:
- 1130 149- الشعور بالذنب (1)
- الإثنين 28-01-2008:
- 1136 150- الشعور بالذنب (2)
- الثلاثاء 29-01-2008:
- 1143 151- الشعور بالذنب (3)
- الإربعاء 30-01-2008:
- 1151 152- الشعور بالذنب (4)
- الخميس 31-01-2008:
- 1153 153- نجيب محفوظ : قراءة في أحلام فترة النقامة

## الثلاثاء 01-01-2008

## 123- "المنتدى" والنص البشري: من منظور تطوري

لم يعد هناك داع أن أعيد أني لم أكن أتصور حين بدأت هذه النشرة اليومية أول سبتمبر 2007 أنها ستستمر إلى الآن، ولن أعيد أيضا الإشارة إلى ما أفادته لي هذه الورقة الرائعة شخصيا حين ساعدتني في هذه السن أن اكتشف ما عندي وما ليس عندي، ما قلته... وما كنت أتمنى أن أقوله، وغير ذلك مما كررت حتى أملتت، أما الفضل الذي لم أتوقعه أبدا فهو أن تكون هذه النشرة سببا في إنشاء هذا المنتدى عن طريق الشبكة العربية للعلوم النفسية لتقديم فكرى الأحداث عن الانسان والتطور، وهو ما عبر عنه الابن د. جمال ترك بقوله

"... قراءته اليومية للنص البشري في سوائه واضطرابه من منظور تطوري"

بأمانة شديدة، أنا لم أكن أحلم أن تصل خلاصة جهدى طوال عمري إلى من يستطيع أن يجمعها هكذا في عشر كلمات.

حتى أكون عند حسن ظن هذا الابن الواعى المثابر، وجدت نفسى ملزما بأن اقدم ما يفسر هذه الكلمات العشرة... مع بداية افتتاح "المنتدى".

اخترت أن أفعل ذلك من خلال نظرة لتاريخ تطور هذا الفكر، ملتزما بما ثبت مسجلا منذ البداية، مع التعريف بالجمعية الطموح التي لم تُعرف إلا من خلال مجلتها لأسباب أنا مسئول عنها، وذلك بأن أقتطع مقتطفات دالة من هذه المجلة "الانسان والتطور" لتوضيح هذا الفكر التطوري بدءا من افتتاحية أول عدد (يناير 1980) وانتهاء بآخر عدد (ابريل/ يوليو 2000) مع الالتزام بنفس الكلمات التي كتبت في حينها، بعد حذف بعض التفاصيل والتكرار، ووضع نقط بدلا منها، وأيضا بعد إضافة بعض الكلمات الشارحة، أو للمتابعة، ووضعها بن قوسين بينط أسود.

كل هذا هو محاولة شرح نص ما قاله جمال:

"...قراءته للنص البشري في سوائه واضطرابه من منظور تطوري"

ما أهمل لغتنا العربية، وما أروع الأمل في أن تلحقها

ثقافتنا المعاصرة ومن ثم احتمال إسهامنا في إضافة ما إلى مسيرة إنسان العصر وحضارته.

إن إعادة نشر ما التزمنا به وما أميلنا فيه منذ 28 عاماً، هو مجرد تذكرة بوضوح اتجاه السهم، مع اختلاف الأدوات ورحابة الفرصة، واتساع الحال.

### أولاً: من افتتاحية العدد الأول

عدد يناير 1980

... باسم العدل الحق العليم، باسم الإنسان المصرى (والعربي) العنيد، باسم التطور الختمى يقف على قمة هرمه الإنسان الساعى لوجه الحق سبحانه وتعالى، باسم الحقيقة التى تفرض نفسها فى دورات حتمية مهما طال الزمن وطغت قيم الزيف، واختفى بريق التطور النابض الغائر الأكيد، باسم كل ذلك وما دونه وما بعده، نفتح هذه الصفحة من صفحات التاريخ، بمجرد أن سمحت لنا إمكانياتنا (ثم إمكانيات الشبكة العربية للعلوم النفسية) المتواضعة بفتحها .. آملين أن نخط على جدار الزمن أثراً يبقى بعدنا، يعلن بعض معالم محاولات إنسان العصر المقيم على هذه البقعة المباركة من أرض الله أن يكون إنسانا كما كرمه خالقه.

.....

كنا (ومازلنا) نحس أننا لابد أن نوصل صوتنا إلى الرجل العادي، والمثقف غير المتخصص، والزميل المتخصص على حد سواء، نبليغه بعض ما نعيشه من خلال معاناتنا الحضارية التى احتدت من خلال مواجهتنا لجوهر الإنسان إذ يتعرى فى أزمة تمزق كيانه وتناثر تركيبه، تلك الأزمة التى تسمى مرضاً نفسياً أو عقلياً وهى لا تعدو أن تكون من مظاهر مضاعفات مسيرة التطور الحتمية.

ولا يخفى على أحد ما وصلت إليه "الكلمة" فى عصرنا هذا من امتهان لكثرة ماتداولها غير أهلها، ولكثرة ما تركها أهلها بلا رعاية أو قدسية، حتى أصبحت وظيفتها الأولى هى ملء وقت الفراغ بأصوات مسلية أو لاهية، أو تسويد بياض الورق بأشكال هى فى واقع الحال "ديكورات" العقل المعاصر لا أكثر ولا أقل، ولم يخف هذا علينا حين قفز التساؤل المتجدد يقول: هل نحن فى حاجة إلى مزيد من الكلمات على الورق (والنت)؟

.....

وبتعبير آخر:

هل الكلمة هى التى تصنع الواقع وتؤكد الفعل،

أم أنها ليست إلا تسجيل للواقع وتابعا للفعل؟؟

كنا - ومازلنا - نميل إلى الرأى الثانى رغم صعوبته، ذلك الرأى القائل بأن العمل أولاً، ومع هذا، فإن العجز عن الفعل الكافى، وعن الإنتاج الفعال (حالاً)، قد ألزمتنا

باتباع الطريق الأول جزئياً (أو مرحلياً)، ذلك الطريق الذى يحمل خطورة رس الحروف بلا جدوى، أو تسهيل مزيد من الاغتراب تحت دعوى قول (كلمة) الحق ..، وقد كان المرير المرحلى لإقدامنا على إصدار هذه المجلة (فالمنتدى 2008) هو الأمل القائل أن الكلمة القادرة الشريفة هي نور المسيرة البشرية، وأن وضعها على الورق (النت) هو أمانة تاريخية لا مهرب من التصدى لها، ذلك لأنها تحمل فكرا إذا لم نستطع أن نصل إلى تحقيقه، فإننا لابد تاركين معاله لأجيال من بعدنا تحكم علينا، وتكمل ما قد عجزنا عنه.

#### الهدف والطريق:

لابد أن نحدد بتفصيل نسى الهدف من ظهور هذه المجلة (فالمنتدى 2008) ابتداءً، ونحسب أننا حرصنا على أن يكون هدفنا له ذاتيته التى تبرر هذه الخطوة

.....

.... حددنا هدفنا من واقع مباشر يقول:

"إننا فى مسيرتنا الحضارية نشارك إنسان العصر فى مواجهة أزمة وجود يكاد يتفرد بها عن أجداده، فعصرنا قد حطم حواجز كثيرة، وهز أصناما راسخة، حتى اختل كيان الفرد العادى فى مسيرته اليومية، وانتقلت مشكلة الوجود من صوامع الذنبيين إلى الشارع، وبهذا أصبح الفرد العادى أكثر فأكثر طرفاً فاعلاً فى تحديد مصير الكافة، بما أتاح له التقدم من فرص زيادة الوعى والمساهمة فى إصدار القرار".

أما علامات المسيرة البشرية فهى واضحة صريحة ومتحفزة أيضاً تتحدى أى متعاض أو مناور معطل، ومن ذلك تحطم الحواجز فى أكثر من مجال:

\* تحطمت الحواجز - كما أننا - بين الصفة المثقفة والرجل العادى قارىء الصحيفة اليومية.

\* ثم تحطمت بين الأوطان بفضل ثورة الترانسيستور ثم الأقمار الصناعية (وشبكة/ شبكات التواصل المحلية والعالمية التى تتعمق امتداداً وحركية كل يوم).

\* ثم تحطمت الحواجز بين الأجناس بفضل فشل التمييز العنصرى من المرحوم الفوهير إلى السيد بيجين . (وإن كانت الأمور قد انتكست مؤخراً، سراً وعلانية منذ عودة المد العنصرى الأصولى ليخدم المال والقتل الجماعى الجديد 2008)

وكذلك تحطمت الحواجز بين العقائد بفضل فشل المذهبيين عند التطبيق الخرف المتشنج لمذاهبهم.

وكادت تتحطم الحواجز بين الطبقات بفضل تنافس الأنظمة المختلفة - اقتصادياً - فى الإسراع برشوة الغالبية المنتجة . حتى لو لم يصدق الراشون النية فى الاهتمام بتطوير الإنسان أو تعميق وعيه. (أو تأمين حياته أو العدل فى التعامل معه).

(هذا التوجه تراجع أيضا 2008 بعد أن تعمقلت الشركات المتوحشة العابرة، والمافيا، وتجار المخدرات ليصبحوا هم الحكام الحقيقيون للعالم، وراحوا يستقطبون المال يتراكم فوق قلوبهم حتى ماتت، على حساب أبسط حقوق عامة الناس، وأيضا اهتز هذا التوجه للتسامح العادل الذي كان مأمولا حول سنة 1980 ليتبين لنا كل يوم أنه قد حلت الأحضان الميناقة، والقبلات الباردة، محل جدية محاولة التعايش والإبداع "معا").

وأخيرا كادت تتحطم الحواجز بين الأديان بفضل سعة صدر المتدينين (واجتهاد المبدعين) على كل جانب (ولكن هذا أيضا لم يتماد كما كنا نأمل).

.....

...لا مفر من أن ينادى أى مواطن شريف فى أى بلد كان أنه "بلدى أؤلى بي، ... منها أبدأ .."، ثم يعم الخير الجميع"، أو أن يصر كل صاحب دين على الالتزام بتعاليم دينه (لكن) لصالح البشر جميعاً، ساعين إلى وجه الله من كل حذب وبكل لغة، وأن يصر كل صاحب مذهب على الدفاع عن وجهة نظره، والتعلم من فشل تطبيقها لا الإسراع بالتخلي عنها... (ومن ثم: فى الإسراع بالتعلم حتى من خصومه، أو "خاصة" من خصومه).

إنسان العصر مدعو - بالرغم منه على ما يبدو - إلى التعاون مع أخيه الإنسان فى كل مكان، بأقل قدر من التعصب، وأقل حماس واحتكار للعقيدة الخاصة، وبأكبر قدر من العمل واحترام اختلاف الطرق رغم توحيد الهدف (هذا لم يحدث خلال أكثر من ربع قرن حتى تاريخه -2008- بل ربما حدث العكس سرا وعلانية).

.....

وبعد

... فهذه المجلة (فالنتدى 2008) ترجو أكثر مما تسمح به إمكانياتها،

إننا لنشعر أننا بهذا العمل المتواضع، وبقدر ما سننأبر ونواصل ونتعلم، ومن موقع أمتنا العريقة المنهكة، نستطيع أن نساهم فى الدعوة العالمية لتكريم الإنسان بإطلاق قدرات تطوره إلى الآفاق التى خلق لها، والتى تبدو أرحب بكثير من واقعه الخائف الحدود.

... فهذه المجلة (فالنتدى 2008) لا تخرج للناس لتعطى فرعاً من فروع الطب حقاً أكبر من طاقته فى توجيه مسيرة الناس، ولا لتحمله مسئولية أوسع من مدى قدرته....

وهكذا نحاول - من واقع هذه المحدودية وتلك الآمال - أن ننقل، بصدور هذه المجلة (المنتدى 2008) إلى الناس - بادئين (من حيث نحن) ناطقين بلغتنا - بعض ما ينبغى أن يصلهم من معرفة بالإنسان .. معرفة قد تسهم فى إنارة بعض زوايا مشاكله المعاصرة ... ومن ثم فى تغيير الفرد فالمجتمع إلى الغاية التطورية المتزايدة فى الإشراق دائماً أبداً.

.....

ونحن بإصدار هذه المجلة (فالمنتدى 2008) نأمل... في إتاحة الفرصة لكل صاحب رأى أن يقول كلمته، حتى لو لم توافق جوهر اتجاهنا، ونحن نعلم بتواضع إمكانياتنا

.....

.....

### ثانياً : مقتطفات محدودة من افتتاحية العدد الثاني

(ردا على تحذير الناقد الأديب علاء الديب من فرط الطموح الذى وصله من العدد الأول)

.... هذه المجلة (فالمنتدى 2008) هى ذات فكر محدد وهو الانطلاق من مسيرة تطور الانسان البيولوجية واعتبار المرض النفسى من مضاعفات هذه المسيرة، وليس جسماً غريباً ينبغى التخلص منه، ولكنه نشاز طارئ ينبغى إعادة تنظيم مكوناته، ومن خلال هذا الفكر المحدد هى تعلن قصور العلوم النفسية الحالية عن الوفاء بمطالبات إنسان العصر، وتعلن - كعينة محدودة غير ممثلة - أن هذا التخصص ليس تخصصاً احتكاريًا، وأن علم النفس مثلاً، كما ثبت فى النصف الثانى من هذا القرن (العشرين)، لم يوف بما وعدت بشائره فى النصف الأول من نفس القرن، وأن الطب النفسى باستغراقه فى مفهوم كيميائى تجزيئى للوجود البشرى يتخلى عن مسؤوليته تجاه كلية الانسان، وعليكم - وعلينا - أن نتوقف عند مضاعفات التطور (وصورتها فى تخصصنا هى المرض النفسى) نعيد دراستها من منطلقات أشمل دون أن يبتكرها بعض علمنا العاجز بأسلوبه الخافى، مع أنه قادر بانطلاقته المقبلة على ما هو أبعد وأروع من ذلك بكثير.

.....

.....

إن هذه الرؤية المحددة: ضعف إمكانيات التخصص، واعتبار المرض النفسى (من أهم مظاهر) مضاعفات مسيرة التطور (الضرورية)، فرضت علينا أن نطرق أبواباً بدت خارج نطاق تخصصنا، ذلك أن المريض يسبقنا إلى ذلك فهو الذى يطرق هذه الأبواب ابتداءً ( هو يطرق هذه الأبواب جميعاً دون استثناء: قضايا الحرية، والرأى الآخر، والترف اللفظى، والاعتراب وشرف الكلمة، والإيمان، والدين، والالتزام، ومبادرة السلام، ومحنة الطب النفسى. (دون استثناء منأ).

.....

### ثالثاً: وأخيراً: مقتطفات من العدد الأخير

"الانسان والتطور" ابريل 2000- يوليو 2001

فى هذه الفترة التى احتجنا فيها مؤخرًا، لن أحدها

مدعيًا الخجل، حدثت أمور كثيرة كثيرة، خطيرة خطيرة، بدت خطورتها أنه لا يصلح معها إلا أن نتوقف، حتى لو كان ذلك من قبيل اليأس الذي رفضنا الاستسلام له في أية لحظة منذ قررنا أن نقلها والسلام، "الكلمة"، ربما تجد يوما من هو أهل أن يجعلها فعلا يمشى على الأرض. نحن نحاول والله العظيم !! (ثم وجدت هذه الكلمة أهلها المنتدى 2008)

### ننظر سويًا في بعض أحداث ما كان (حتى سنة 2001)

1- استشرت العولمة وكشفت عن وجهها حتى تبين بما لا يدع مجالًا للشك أنها أمركة رأسمالية، استعمارية، جديدة. رأسمالية متوحشة لم تعد تحتاج حتى أن تتخفى وراء تبرير أو تنظير. في نفس الوقت ظهرت حركات مقابلة، ليس لها أية قوة فاعلة إلا التذكرة بأن المسألة (مسألة الاستعمار المالي المعلوماتي العالمي) لن تمر سهلة إلا على حساب كل البشر، المتعلم، وغير المتعلم، ولا عزاء للديناصور.

الإرهاصات الشعبية عبر العالم (من سياتل حتى إيطاليا؟؟)، رغم عدم جدواها العملية، وخفوت صوتها، تصيح صيحة غريق معاند، يأبى أن يستسلم لموج الإعصار الهادر رغم كل شيء.

2 - وجدت العولمة أدواتها جاهزة فيما يعرف بثورة الاتصالات والمعلومات، إضافة إلى صك بعض المفاهيم المصاحبة، ثم التمداد في تقديس كلمات مفاهيم مُعادة كانت ومازالت ملتبسة (تستعمل بطريقة غامضة كلمات ذات سمعة حسنة مثل "حقوق الإنسان" و"الخرية" و"الشفافية"... الخ) إن سوء استعمال هذه المفاهيم البراقة لصالح الخطأ التمدادي الذي أشرنا إليه حالًا، أدى، ويؤدي إلى عدد من المضاعفات التي تتزايد باستمرار

.....  
.....

**الخطأ التطوري الذي يقع فيه الإنسان حاليًا هو أنه يعطى هذا الجزء الإلكتروني، والأشبه بالالكتروني المتضخم في اضطراد، أكثر من حقه، بل أكثر مما يستطيع أن يحيط به. هذا العملاق الإلكتروني هو أعجز من أن يحيط بتاريخ الإنسان الحيوي، ناهيك عن تاريخ الحياة، علما بأن هذا وذاك (تاريخ الحياة، وتاريخ الإنسان)، هو مائل حاليًا في خلابنا**

.....  
(ولكن أيضا دعونا نقول:)

إن الرفض المتشنج لهذه الإنجازات لن يترتب عليه إلا تأجيل خائب، ثم تبعية متأخرة،

أما الاستيعاب للتمكن فالتجاوز، فهو الأمل المنشود.

إن التأثير الذي أحدثه هذا الطوفان المعلوماتي هو أخطر من أن نعدده في هذه الافتتاحية، لكنه هو هو ما جعلنا

نعاود الصدور. ( بالجملة، ثم ها نحن نستفيد منه هو هو في ظهور المنتدى 2008 امتدادا للمجلة)

.....

حدث أيضا خلال هذه الفترة أن طالت ذراع أمريكا طولا قبيحا، فأصبحت وصايتها فاجرة مكشوفة، وأصبحت مصداقيتها مهلهلة بالية، وأصبح غباؤها تكلسا مفضوحا. امتدت الوصاية إلى الانفراد بتحديد من هم الأقليات، وما هي الديمقراطية، وما هي الحرية، وما هي الحقوق، وما هي الواجبات، بل ما هي الأخلاق... (وربما: ما هو الدين الصحيح الوحيد!!) إلخ

وبعد

فهل يحقق هذا المنتدى 2008 ما تصورنا أننا عجزنا عن تحقيقه برغم كل ما حاولنا؟!

يارب سهل.

ملحق عن معالم باكرة لـ:

### جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي

- نشأت هذه الجمعية هادفة الإسهام في تنظيم نشاط حضارى ضروري لمرحلة تطور الإنسان المعاصر بادئين بالإنسان المصرى (إلى الإنسان العربى إلى الإنسان عامة)
- سجلت برقم 2546 بتاريخ 1979/01/24 تحت اسم جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي.
- جاءت إضافة "العمل الجماعي" لفتح الباب أمام غير المتخصص للإسهام بما عنده.
- تهدف الجمعية إلى البحث في ماهية الإنسان (ككل) من خلال محاولة الإسهام في إعادة تنظيم أكدا المعلومات الجزئية الأمينة المتاحة وتبدأ في هذا المبحث من مدخل العلوم النفسية والطب النفسي خاصة، وتهتم بالخبرات المباشرة لكل عقل بشرى قادر على المعاشة والتعبير فالصيغة.
- تهدف الجمعية إلى التوعية بضرورة تنمية قدرات الإنسان، رعاية وتحريرا من خلال فتح الأبواب لكل من يهمه الأمر، ويقدر على الإسهام، في مجالات التفكير والعمل جميعا.
- تحاول هذه الجمعية - على تواضع إمكاناتها- أن تكمل نشاط جمعيات شقيقة أكبر وأعرق.
- اقتصر نشاط الجمعية - للأسف - على إصدار مجلة "الإنسان والتطور" منذ يناير 1980 حتى يوليو 2001، وعلى استمرار الندوة الثقافية شهريا (كانت قد بدأت قبل تسجيل الجمعية منذ أكتوبر 1973)، ثم الندوة العلمية الشهرية منذ ابريل 1992، بالاشتراك مع مستشفى المجتمع العلاجي "دار المقطم لالصحة النفسية"، ثم نشر بعض كتب مؤسسيها على حسابها أحيانا.

## 124- أنواع العقول (والغناء عقول الآخرين)

## الطريق إلى فهم الوعي

## دانييل دينت

نعم هو كتاب عن العقول وأنواعها، كاتبه فيلسوف، وهو "تطوري" حتى النخاع، وبالذات، كما ذكرنا في الجزء الأول يومية 25-12-2007 (أنواع العقول وتعدد مستويات الوعي)، هو داروونى الهوى، وقد صحح ما أشيع عن نظرية "داروين - والاس" في النشوء والارتقاء بشكل حماسى وموضوعى فى آن .

فى نفس الوقت هو كتاب فى "العلم المعرفى" من حيث تجاوزه للرمز كأداة قصوى أو وحيدة فى احتواء المعنى والتعبير عنه، وأيضاً تجاوزه للدماغ كمركز أوحده للتفكير. هاتان هما الهرطقتان اللتان أعلنهما العلم المعرفى الأحدث، والذى واجه من خلاهما النقد حتى الرفض والشجب (والتكفير: الهرطقة فى مواجهة الكنسية الحاسوبية العظمى)

وهو كتاب يبحث فى ماهية العقل، وقد أوردنا فى الجزء الأول أن العقول التى يتكلم عنها الكتاب ترجع إلى ما قبل الإنسان برده طويل (قبل ظهور ما يسمى المخ أصلاً)

كذلك نبهنا فى اليومية السابقة ألا تختزل كلمة عقل إلى تعريف معجمى أو منطق ظاهر، أو برجة حاسوبية، أو ما يستعمل أساساً فى العلوم المحكمة .

إن المؤلف يستعمل كلمة عقل، وعقول بمعنى يلامس ولا يرادف العقل الذى نعرفه فى الإنسان "العاقل" والذى يبلغ أعلى درجات أدائه وهو يقوم بالتعبير عن نشاط أحدث منظومات المخ (النصفين الكرويين) وفى نفس الوقت يستعمل المؤلف كلمة عقل لتشمل "الوعي" والبرجة القصدية لأى تركيب حيوى .

وهكذا قدم الكتاب عدة مستويات واحتمالات لما يسمى عقلا من حيث وجهة النظر التى ننظر إليه منها

وقد أشار إلى أننا يمكن التعرف على ما يمكن أن يسمى عقلا من البعد التاريخى / التطورى البيولوجى (لا الحكى)، ومن بعد تكامل النمو، حيث لا ينفصل العقل عن العاطفة، ومن

**البعد الشمولى المعرفى** حيث لا يُستبعد الجسد كأداة للتفكير، ولا يهتس الحدس حتى غير الملفظن منه . الخ.

منهج هذه الدراسة هى أنها جمعت - كما ذكر المؤلف فى المقدمة - خلاصة **أبحاث وتأملات** معاً، وهذا الجمع هو نادر هذه الأيام، لأننا عادة نصف المعلومات: إما أبحاثاً أو تأملات، وقد أورد الكاتب فى المقدمة أيضاً أن الكتاب: "**ملئ بما يرج ذهن ويستثير الفكر فى أمور ربما عددها البعض حقائق مسلمة، ولكن القارئ لا يلبث أن يتبين أنها مازالت فى حاجة إلى مزيد من النقاش**"

هذه هى أهمية الكتاب، بالنسبة لى على الأقل، وهو ما دفعنى إلى مناقشته هنا تباعاً.

ينطلق الكتاب من التأكيد على احتمالات وجه الشبه بين عقولنا وعقول الحيوانات، وفى نفس اللحظة بالتأكيد على عمق الاختلاف بين هذه وتلك

وهو يتكلم عن عقول بسيطة (بعد مرحلة اللاعقول) ثم عن عقول مركبة إلى أن يصل إلى مرحلة العقل البشرى

### فما الذى يميز العقل البشرى؟

البدء بالدعوة إلى التساؤل عن ما قبل العقل البشرى هو بداية طريفة ومفيدة، فهو يتساءل ويوجه السؤال إلينا فى نفس الوقت كما يلى:

• "ما الذى تفكر فيه النملة"

• "ماذا لا تحس النسور بالغثيان من الجثث التى تأكلها متعفنة؟ (أو لعلها تحس؟!)"

• هل يمكن للعناكب أن تفكر؟ أو أنها مجرد روبوتات صغيرة الحجم،

ويظل يتساءل المؤلف هكذا حتى يصل إلى طرح السؤال الشامل الذى يقول:

- هل يمكن أن تكون كل الحيوانات والنباتات - حتى البكتريا- لها عقول؟

ثم ينقلنا بجرأة أعنف إلى سؤال فرعى يقول:

- هل نحن جد واثقين من أن كل أفراد البشر لهم عقول ؟

هو يطرح عدة أفكار تنبه إلى احتمال الخطأ (الذى يصل إلى درجة أن يكون موقفاً لآخلاقياً) إذا نحن حكمنا على غيرنا من حيث أنه "يعقل" أو "لايعقل" مجرد أنه يختلف عنا، أو عن ما نتصوره عن عقولنا.

ثم هو يؤكد ضرورة الانتباه إلى أن "**الوجود شئ**"، (الأنطولوجيا) وما يمكن أن نعرفه عن هذا الوجود شئ آخر (الإبستمولوجيا)

طيب و"ما هي الخبرات التي يكتسبها الجنين في بطن أمه؟"  
ثم هو يشير إلى أن الطفل -في مرحلة ما - يجب أن له عقلا،  
وأن الآخرين (من البشر: أطفالا أو كبارا، وربما من غير  
البشر أيضا) ليست لهم عقول مثله، أي أنه (الطفل) هو  
الوحيد الذي له عقل . (أو ما يمكن أن يسميه عقلا).

### تعليق

انتبهت من خلال هذه الحقيقة إلى أن نفس الموقف قد يفسر  
التعصب بين البشر عامة، وهو الجارى حاليا، وعلى مَرَّ  
العصور، على كل المستويات، حين يعتبر كل صاحب عقيدة أن  
عقله هو المثال الذي يجب أن يحتذى لأنه أوصله إلى هذه  
العقيدة الأسلم والأصح، وبدرجة بسيطة من المبالغة وفي عمق  
وعيه، ربما تكون المسألة، هو أنه يعتبر أن الآخرين لم  
يعتقدوا عقيدته (الصخ الأوحده) لأنهم ليست لهم عقول أصلا.

جعلني هذا أتذكر مثلا مصريا شائعا يقول: لو أعادوا  
توزيع الأرزاق والعقول، وتركوا الاختيار للناس فسوف تكون  
النتيجة أنه ... **ما حدش حيرضى برزقه،** وفي نفس الوقت **ما  
حدش حيرضى إلا بعقله**، ربما يكون وراء ذلك أن كل إنسان منا  
يعتقد أن عقله هو فريد نوعه، أو أن عقله هو العقل  
الحقيقي، والباقي أشباه عقول، وبالتالي فإننا لايرضى  
بعقله بديلا ،

اعتقدت أن هذا هو نفس الموقف الذي يسمح لنا أن نحكم  
على أنه ليس للحيوانات عقولا.

حين نقول إنه مادام ليس للحيوانات عقولا مثل عقولنا  
فيستحسن ألا نسميها عقولا، أصلا، وهنا يعود المؤلف للتنبيه  
على أن هذا موقف لا أخلاقي حتى لو اتفق مع البحث العلمي .

إننا إذا افترضنا أن الحيوانات ليست لها عقول (مثلنا)  
فإن ذلك يدل على موقف استعلائي، لأننا ننفي ما ليس مثلنا  
دون دليل تاريخي أو بيولوجي كامل.

انطلاقا من هذا الموقف، نحن يمكن أن نرتكب خطأين عكس  
بعضهما البعض

**الخطأ الأول:** أن نفترض عقولا لمن ليس له عقل مثلا: حين  
تغازل وردة أو تتحاور مع جبل أو تنصت لهمس البحر أو  
تستجيب لنداء عصفور في قفص، والمؤلف يهون من هذا الخطأ و  
يسميه "على الأسوأ: خطأ ساذج".

**أما الخطأ الثاني فهو:** حين تنفى عن كائنات، الأرجح أن لها  
عقولا، تنفى عنها حقها في ذلك (يمتد هذا إلى البشر) يشرح  
المؤلف ذلك بقوله مثل: "أن نهمل أو نحذف أو ننكر الخبرة  
والمعاناة والبهجة والطموحات... والرغبات المحببة لشخص أو  
حيوان له عقل" وهو يعقب أن هذا خطأ أكبر "هذه الخطيئة  
رهيبه"، ولتوضيح ذلك يضيف " .. ما الذي تشعر به أنت نفسك

لو أنك عوملت كشئ غير حي" أضفت أنا: أو ليس له عقل أصلا، وذلك من قبل شخص مثلك، أو حتى من قبل حيوان أدنى ربما قرر ذلك بطريقته".

### منطلقات الأطروحة

- 1- **كما وصلتنى بصفة مبدئية):**  
علينا ونحن نتحدث عن العقول، ألا نكتفى بما أطلقناه، أو عرفناه عن عقولنا نحن (وبالذات عن عقلى أنا)
- 2- إن علينا أن نجتهد طويلا ونحن نحاول أن نجيب على "ماذا يميز العقل البشرى".
- 3- إننا لا ننحدر فقط من الجزئيات الأولية لتكويننا الحيوى لكننا نتكون (منها) الآن .
- 4- إن "شيئا ما" أو "أمراً ما" أو "موراً ما" هو الذى يجمع تريليونات من هذه الوحدات الأولية لتكوّن كائنا واعيا
- 5- إن الأجهزة المنظمة مثل المناعة أو التمثيل الغذائى تسبق الجهاز العصبى
- 6- إننا يمكننا أن نفرس استراتيجية سلوك كيان ما، من خلال "الموقف القصوى"
- 7- إن الموقف القصوى هو موقف تنبؤى، مُحاطرى، (لدرجة الانتحار الجماعى أحيانا)،
- 8- إن المنظومة القصدية لها سلوك قابل للتوجّه، وإلى درجة أقل التفسير
- 9- إن الموقف القصوى ليس مرتبا تريبا خطيا (السبب <== فالنتيجة) وإنما هو "حَوْل ظاهرى" aboutness
- 10- إن الجهاز العصبى الذاتى (السمبثاوى والباراسمبثاوى) له حكمة تفوق التصوّر، مع أنه بلا إرادة ولا عقل

### استطراد

حين كنت فى السنة الثانية طب 1952، كانت عندى الصعوبة التى صاحبتنى طول عمرى فى الاستذكار والحفظ، فحاولت أن أصيغ بعض حكمة هذا الجهاز العصبى الذاتى باجتهاد فردى، بشكل يسمح أن تدخل المعلومات فى عقلى، فانطلقت من تسمية الجهاز السمبثاوى بجهاز الحرب (الكروالفر) وأسمايت الجهاز الباراسمبثاوى "جهاز الروقان" (يارايق) والتمثل، من خلال ذلك استطعت أن أفهم (وأحفظ) مثلا: لماذا لا ينتصب عضو الذكر أثناء تهيج الجهاز السمبثاوى، فى حين يحدث القذف فى نفس الوقت بدون انتصاب، وأذكر أنى كتبت على الهامش "لا وقت للحب"، وذلك أنى قدّرت آنذاك أن التهديد الذى يصل لهذا الجهاز يشمل ضمنا إنذاراً بأن هذا الكائن الفرد قد يموت (فى هذه الحرب) وبالتالي فإن عليه أن يقذف حيواناته المنوية، دون انتظار الانتصاب، وفورا، لعلها تعثر على بويضة شاردة فى رحم شريكته فى حفظ النوع فيلقحها، فيستمر النوع. وقد يبدو هذا التفسير مضحكاً أو غريباً، لكنى

تبينت أنه ليس كذلك تماما، لأن الأم الحامل، مع تهيج هذا الجهاز السمبثاوى أيضا، (نفس جهاز حرب البقاء) قد تجهض ولو في شهورها الأولى نتيجة لإثارتها جدا، فأكملت فكرتى آنذاك: باعتبار أن هذا الإجهاض هو ليس مضاعفة بقدر ما هو ميكانزم للبقاء أيضا، ذلك أن ثم احتمالا مهما بلغت ندرته أن هذه الأم لو ماتت (في هذه الحرب) فإنها تكون قد أطلقت جنينها من بطنها لعله يحافظ على النوع أيضا بعدها (ثبت لى فيما بعد خلال عشرات السنين أن ما ذهبت إليه باكرا هكذا، له أساس علمي)

طبعاً لم أكن أيامها أنتمى لأى فكر تطورى، اللهم إلا ذلك الحوار المتجدد الذى يجذب الشباب (كان عمري 19عاما) حول مدى خروج نظرية النشوء والارتقاء (داروين) عن مسلمات الدين، وكنت مثل معظم الشباب فى سنى ومحيطى، أتمنى ألا أجد تعارضاً، وقد كان أن شدتى قراءاتى فى التطور إلى الإيمان به، كما شدنى إيماني بالله إلى السماح به، حتى بعد أن تطور فكرى الآن لم ينتف التعارض فقط، بل تأصلت العلاقة.

عودة إلى دينيت وهو يقول

"مما يتجاوز أى شك جدى أننا: أنت وأنا لكل منا عقل"

كيف تعرف أن لديك عقلا ؟

العقل، والكلمات، والفهم، والآخر

معرفتنا بأن لنا عقلا ترجع أساسا إلى ميزة استعمال الكلمات (حتى بالإشارة) القابلة للفهم، وأن هذا يثبت - من خلال تبادل الكلمات المعلنة لاحتمالات الفهم - أننى "أنا" أتلقى خطابا من أى "أنت"، وأنا نفهمها بدرجة ما، وبالتالي فأنا أملك عقلا، وأنت كذلك (هذا كلام يحتاج لنقاش لاحق)، والمؤلف يؤكد منطقته هذا بأن يقارن هذا المثال بكمبيوتر له أجهزة ملحقة فائقة المهارة لكنه لا يوصف بأن له عقل إذ يقول:

"... هناك أجهزة تعمل بالكمبيوتر وتستطيع أن تقرأ الكتب للأعمى، فهي تحول الصفحة من النص المرئى إلى تيار مناسب من الكلمات المسموعة، ولكن هذه الأجهزة لاتفهم الكلمات التى تقرأها، وبالتالي فإنها لا تتلقى خطابا من أى أنت، والكلمات تمر مباشرة من خلالها موجهة لأى ممن يسمع - ويفهم - تيار الكلمات المنطوقة "

المؤلف يؤكد من خلال ذلك وغيره أن ما يميز العقل البشرى هو كل من:

1- الكلمات (حتى الإشارية)

2- الفهم (حتى جزئيا)

3- المشاركة (نسبيا) فيما يصلنا من عموميات مشتركة، عن طريق الحوار الذى يقربنا من معان مشتركة، وهذا يحتاج إلى أن نقتطف مقتطفاً مطولاً بعض الشئ كما يلي:

## المقتطف:

"... إن الحوار يوحدنا، ونستطيع كلنا أن نعرف الكثير عما يكونه حال صياد سمك نرويجي، أو سائق تاكسي نيجري، أو راهبة عمرها ثمانون سنة، أو طفل عمره خمس سنوات وأعمى منذ ولادته، أو أستاذ في لعبة الشطرنج، أو بغى، أو أستاذ محارب. ونحن نستطيع أن نعرف عن هذه الموضوعات ما هو أكثر كثيراً مما نعرفه عن الحال لو كان الواحد منا درفيلا (إن كان هذا يحدث) أو خفاشا أو حتى شيبانزى. ومهما كان من اختلافنا نحن أفراد البشر أحدنا عن الآخر؛ ومهما كنا مبعثرين في الأرض، فإننا نستطيع اكتشاف اختلافاتنا ونستطيع أن نتواصل معا بشأنها. ومهما كان من تشابه الوحوش البرية أحدها مع الآخر وهى تقف معا في قطيع كثفا بكتف، فإنها لا تستطيع أن تعرف شيئا عن أوجه الشبه بينها، دع عنك أن تعرف أوجه الاختلاف بينهما . فهى لا تستطيع المقارنة بين الملاحظات.

ومن الممكن أنها تحصل على خبرات متشابهة وهى جنباً إلى جنب ، ولكنها فى الحقيقة لا تستطيع التشارك فى الخبرات على نحو ما نفعل .

قد يشك البعض فى ذلك. أفلا تستطيع الكائنات الأخرى "غريزيا" أن يفهم أحدها الآخر بطرائق لا نستطيع نحن البشر فهمها جيداً ؟ لاشك أن بعض المؤلفين قد قالوا ذلك. وكما سوف نرى، فإن الكائنات الحية البسيطة جداً قد تتناغم مع بيئاتها ومع بعضها بطرائق بارعة على نحو مذهل ولكنها لا يكون لديها أى إدراك لتناغمها، على أننا نعرف "بالفعل" من الحوار أن أفراد البشر لديهم على نحو نمطى القدرة على الوصول إلى مرتبة عالية جداً من فهم أنفسهم وفهم الآخرين .

ونحن "نعرف أن الناس فى العالم كله لديهم إلى حد بالغ نفس أوجه الميول والنفور، والآمال والخاوف. كما نعرف أنهم يستمتعون باسترجاع الأحداث المحببة لهم فى حياتهم . ونحن نعرف أنهم كلهم يمرون بفترات تثريبها تخيلاتهم اليقظة، حيث يعيدون عن عمد تنظيم ومراجعة التفاصيل. ونحن نعرف... إلخ"

## الموقف:

هذا المقتطف ذى الفقرات الثلاثة يحتاج مناقشة مبدئية مطولة لكل فقرة على حدة، وإلى أن نقوم بذلك، نطرح هذه الأسئلة استعداداً لاستكمال المناقشة (مع أننا مازلنا فى البداية)

- 1- هل هذا التعميم الذى أورده المؤلف يمكن أن يفسر بعض ما يجرى فى العالم بين البشر الآن بعد أن وصل الحال إلى ما وصل إليه؟
- 2- كيف نستفيد من احتمال صدق هذا الاحتمال فى كسر التعصب الجارى بين البشر؟
- 3- إلى أى مدى تفيدنا مراجعة نظرتنا إلى، وفكرتنا عن: "عقول الحيوانات" (وأخلاقهم؟) فى تعديل حياتنا، وكسر غرورنا.

4- ما هي فائدة هذه المعلومات للطبيب النفسى ؟  
وللمريض النفسى .

وبعد :

أحسب أن التركيز على إجابة هذا السؤال الأخير قد يكون هو أهم ما يهمنا في مواصلة نقد هذا الكتاب على حلقات فقط أعتذر عن المتابعة المنتظمة لنفس الموضوع بشكل مضطرد، لالتزامى باستكمالات أخرى.

رجائى من المهتم أو المستثار أن ينتظر

كما يمكن أن أقترح على أى من زوار الموقع (أو الملتقى) أن يجمع بدايات موضوعاتنا في ملفات مستقلة، لتلحق بها أولاً بأول ما يظهر تباعاً في نفس الموضوع، فيعود إليه كلما أراد ذلك

عذراً

ولكن الحكاية صعبة !!

أليس كذلك ؟

**Kinds of Minds Towards Understanding of Consciousness -**  
Daniel C. Dennet 1996 الكتاب المترجم صادر عن "المكتبة  
الأكاديمية" ترجمة د. مصطفى فهمى إبراهيم، نشر بعنوان  
"تطور العقول!!" - القاهرة 2003

- اضطرت أن أنقل هذه الملاحظة الشخصية من الهامش (كنت قد وضعتها هناك ابتداءً) إلى المتن بعنوان استطراد لأننى وجدتها ذات دلالة لتسجيل تاريخ اهتمامى بنظرية التطور بشكل تلقائى منذ ذلك السن، وربما قبله .

الخميس 03-01-2008

## 125- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاة

والحلم (21)، الحلم (22)

الحلم (21)

الشارع الجاني لا يخلو من مارة وأناس في الشرفات،  
والسيدة تسير على مهل وتقف أحيانا امام معارض الازياء .

يتعرض لها أربعة شبان دون العشرين، تتجههم في وجوههم  
وتبتعد عن طريقهم، ينقضون عليها ويعبثون بها، تقاوم  
والناس تتفرج دون أى مبادرة... الشبان يمزقون ثوبها  
ويعرون أجزاء من جسدها. السيدة تصوت مستغيثة، راقبت ما  
حدث فتوقفت عن السير وملكنى الارتجاع والاشمزاز ووددت أن  
أفعل شيئا أو أن يفعله غيرى ولكن لم يحدث شئ، وبعد أن تمت  
المأساة وفر الجناة.. جاءت الشرطة. وتغير المكان فوجدت نفسى  
مع آخرين أمام مكتب الضابط، واتفقت أقوالنا، ولما سئلنا  
عما فعلناه كان الجواب بالسلب. وشعرت بحجل وقهر، وكانت  
يدى ترنجان وهى توقع بالإمضاء على الحضر.

القراءة

السلبية اشترك في الجريمة.

وتعم لعنتها حين تصبح هى السمة المشتركة بين الجميع:

الناس في الشرفات، وفي الشوارع، تتفرج دون أية مبادرة،  
والعبث جار يكاد يصل إلى جريمة إغتصاب.

أن تقاوم المنكر بقلبك - الذى هو أضعف الإيمان- هو إثم  
خفى مادمت تستطيع غير ذلك، فما بالك إذا برأت نفسك  
بإنكار التهمة، وأيضا كتمت الشهادة؟

وصلنى الجواب "بالسلب" أمام الضابط - برغم أن السؤال  
كان "عما فعلناه"- على عدة مستويات:

الأول: أنهم لم يفعلوا شيئا إزاء ما رأوا، وهنا يكون  
الضابط هو "ضابط" الداخل.

والثاني: أنهم أنكروا أن الشبان الأربعة بالذات فعلوا

ما فعلوا (ليبروا أنهم بدورهم لم يفعلوا شيئا) ونفهم من هنا كتم الشهادة ومن ثمَّ الخزي

والثالث: أنهم أنكروا أنهم لم يروا شيئا من أصله.

وكل ذلك سلْبٌ قبيحٌ وسلبية هروبية

وبعد

يظل داخلنا الحقيقي رافضا الإيذاء، وخاصة إيذاء البرئ الأضعف، كما يظل رافضا الإهانة والقهر، لمن لا تملك ردا أو حماية لنفسها، ومن هنا الخجل من موقف الفرجة والسلبية والنية المجهضة. (وشعرت بخجل وقهر)،

هذا عن الخجل،

فمن أين القهر؟

الأرجح أن القهر أتى للراوى من داخله، وهو الذى منعه أن يبادر بالاستجابة لاستغاثة الأضعف، وهو هو الذى منعه أن يدل بشهادة حق، أو أن يعترف بتقاعسه.

هذا القهر الداخلى وغدُّ جبان.

هو نتيجة التقمص بالقاهر الخارجى (الوالد القامخ - أو السلطات، أو الحكومة، أو القرش، أو "السلامة أولا"، أو كل ذلك).

حين ينقلب القهر الخارجى داخليا تصبح المصيبة ألعن، بل وتكون المسئولية أكبر حتى لو كنا ضحايا للقهر الخارجى أساسا، وبدايةً.

لم يبق للراوى ما يعبر به عن تقاعسه وخيبته إلا يدان ترتعشان وهو يوقع على الحضرة، وكأنهما هما كل ما أمكنه الإعلان من خلالهما عن رغبة مهزوزة في "عدم التوقيع" .. على ما يثبت به سلبيته وجبنه وتخليئه، لكنه وقّع!

فما فائدة الرعشة والخزي؟.

بل ما فائدة الارتجاع والاشمئزاز في البداية؟.

وما فائدة حسن النية والإزاحة (وودت أن أفعل شيئا، أو يفعل غيري)، هذه مشاعر مشلولة، ربما يكون غيابها أشرف.

أما حكاية "أو يفعل غيري" فهي تأكيد للموقف السلبي، حيث لا مفر من اعتبار رفع الظلم والحيلولة دون أذى الأضعف بمثابة "فرض عين" لا "فرض كفاية" إذا قام به البعض لايسقط عن الباقي.

\* \* \*

مرة أخرى تجنبت اختزال السيدة إلى "مصر"،

والشباب إلى الفساد،

والمارة والناس في الشرفات إلى الشعب المصري.  
لكن هذا وارد.

## الحلم (22)

كنا في حجرة المكتب مشغولين ونظر إلى وجهي وقال: إنك مشغول البال، فقلت له بإيجاز وإيعاء: "الدواء" ....، فقال أفهم ذلك وأقدره وأحمد الله الذي نجاني من مخالفه، فسألته كيف نجا مما لا نجاة منه؟ فقال "لـي صديق له أخ صيدلي فلما عرف شكواي أكد لي أنه يملك الحل.. وعرف من الأدوية اللازمة لي ولأسترتي شهريا وعرضها على أخيه الصيدلي فجاءنا بمثل لها بأقل من عشر الثمن.

فسألته عن مدى الخطورة في العملية فطمأنني وحدثنى طويلا عن أساليب شركات الأدوية حتى أذهلني وازعجني، ولم اتردد فكتبت له قائمة بالادوية اللازمة لي شهريا وانا أشعر بارتياح عميق. وإذا به يقول لي "ولكن اريد منك خدمة في مقابل ذلك فأبدت استعدادي لأداء ما يطلب. فقال "أنا يزعجني الهجوم على الروتين الحكومي والبيروقراطية، وتأثر الحكومة بما يقال وبما يكتب، وارىد منك ان تكرس قلمك للدفاع عن الروتين والبيروقراطية" فدهشت وسألته عن سر حماسه لما اجمع الناس على نقده ورفضه فقال غاضبا: "يا أخي ما قيمة الموظف امام الجمهور من غير الروتين والبيروقراطية".

ودار رأسي حيرة بين الأدوية والروتين.

## القراءة

بدأت - كعادتي- وأنا أحاول أن أتجاوز ترميز مسألة الدواء، والأخ الصيدلي وعُشر الثمن، وأنها تعرية لنظام يحل مشاكله العاجلة برشاوى التسهيلات الخصوصية (مثل توقيعات الوزراء لأعضاء مجلس الشعب) ويشتري الأقلام الناقدة، لتخفف من حدتها، وهو يدعوها إلى التغاضي عن الفساد والفاستين تحت عنوان أهمية النظام وحتم الروتين.

فضلت بدلا من ذلك أن أحكى بعض ما يحضرنى من واقع عايشته مع شيخنا الجليل يمكن أن يتخلق من بعض بعضه هذا الحلم/الإبداع بشكل ما، ولو أن ما سوف أذكره به جرعة شخصية أقلقتني، قليلا.

كانت قضية دور شركات الدواء العالمية فيما يجرى في العالم، وليس فقط في الطب، هي موضوع حديث متكرر جدا فيما بيننا أثناء مناقشاتى مع شيخنا سواء في جلسات الخرافيش أم غيرها، وكنت دائما أبين له أربعة أمور عن هذه الشركات، وكان عادة يتعجب لها حتى لا يكاد يصدقها، وكأنه يفضل أن يستبعدها، وحين قرأت هذا الحلم/الإبداع حين ظهوره في نصف الدنيا، داعبته مذكرا إياه بموقفه المتحفظ تجاه ما أقول وأكرر، وكأن داخله المبدع اقتنع أكثر من ظاهره الطيب،

هذه الأمور الأربعة هي: **الأول:** تدخل هذه الشركات (برغم أنها للأدوية) في السياسة (حتى الحرب)، **والثاني:** شراؤها العلماء - ربما دون أن يدروا - ليقوموا بتزويج علم زائف متحيز لصالح أدوية حديثة تباع أثمانها عشرات ومئات أضعاف الأدوية القديمة الأرخص تحت زعم المبالغة في الأعراض الجانبية لهذه الأدوية الأرخص، **والثالث:** أن تكلفة المادة الخام لا تتعدى قروشاً زهيدة ومع ذلك تباع العقاقير بمئات الجنيهات، **والرابع:** ما يجري من أتعاب وأشكال الرشوة المحلية والعالمية المباشرة وغير المباشرة للأطباء والمسئولين عن التسويق لشراء وكتابة أدوية دون غيرها،

لم أستبعد هذه الخلفية أن تطل في هذا الحلم سواء بما نستنتجه من حكاية "عُشر الثمن"، أو من "دور الاخ الصيدلي" الذي وصلني أنه يمثل كلا من الشركات أو العلاقات الخاصة بمسئولي الحكومة، وهما واحد في النهاية.

هذه الشركات والحكومات، تحكمها أنظمة قهرية قوية ثابتة تبدو أنها لا ينفذ منها ماء الحياء أو العدل أو المسؤولية أو العلم بالمعنى الأخلاقي والحقيقي، لكنها تبدو متماسكة وضرورية، تبرز وجودها عادة "بضرورات الواقع" ومستلزمات "الأمان". ولعل هذا هو ما يقابل الروتين والبيروقراطية في الحلم.

هل كان حديثنا المتكرر هذا موجود في خلفية قريبة أو بعيدة من إبداع هذا الحلم؟

لست أدري.

لا هو، ولا أنا، ولا أحد يستطيع أن يجزم.

.....

أما عن ارتباط قيمة، (وجود/كيان) "الموظف" بالدفاع عن الروتين. وعن البيروقراطية (ربما حتى التقديس)، فقد استطعت - مرة ثانية - أن أبعد شبح "حضرة المحترم"، "عثمان بيومي"، رغم أنه كان بعيداً منذ البداية.

- ما تحته خط من عندي

## مقدمة :

تراجع المداخلات والتعليقات دون أن يثنيني ذلك عن مواصلة المحاولة، الضيوف الدائمون يتوقفون - فيما عدا رامى ود. أسامة عرفة، ود. محمد أحمد - لا جديد تقريبا.

**"المنتدى"** على الشبكة العربية للعلوم النفسية لا أعرف بعد كيف أتعامل معه، ويبدو أنه يحتاج اشتراك مدفوع وتفاصيل أخرى.

مازلت أتساءل كيف يدعوني زملائي وتلاميذي بالمثل لأشارك في ندوة أو مؤتمر ثم لا يكلفون خاطرهم بقراءة بضع ورقات أكتبها يوميا لأقول ما عندي، ولا يعتنون بالتعليق عليها، وكأن المؤتمرات بها فرص أوسع!!،

أو لعلهم لا يجدون فيها ما يستحق حتى السؤال عن بعض ما غمض فيها .

ما علينا أذ الواجب ودع ما يكون.

لابد أن خطأ ما أقوم به أنا شخصيا،

حين أكتشفه سأحاول تصحيحه إن كان قابلا للتصحيح،

المهم أن د. أميمة هدأت من بعض مشاعري هذه حين قامت بقراءة كاملة لخم (20) من أعلام فترة النقاثة في تعقيبها، وبعد أن أثبتت قراءتها في الحوار اليوم لتغطية النقص، اكتشفت أن قراءتها هي، نقد متكامل، لا يصح أن يدرج كحوار، بل هو قراءة على قراءة، أو نقد للنقد فاستأذنها بأن ننشره الخميس القادم (يوم محفوظ) في زاوية "المخرون الضيوف" هكذا.

د. أميمة رفعت: يومية 2007-12-27 (الحلم 19، 20)  
قراءة كاملة للحلم رقم (20)

د. يحيى:

شكرا يا د. أميمة،

كما قلت في المقدمة: إنني بعد أن وضعت قراءتك للحلم هنا، وجدت أن الأنسب أن أنقله إلى "يوم محفوظ" الخميس الأسبوع القادم لعل في ذلك ما يميز نشر قراءات كاملة أخرى وأخرى على نفس المتن بعد أن انتظرت طويلاً.

عندى بحث ألقيته في الجمعية المصرية للنقد الأدبي ثم نشر مؤخرًا من سنوات أبين فيه دور القارئ العادي ناقدًا، وأعني "بالعادي" القارئ الناقد غير المتخصص أو المحترف،

ولعل نقدك للنقد هكذا هو ما كنت أعنيه بذلك.

ما زالت دعوتي يا د. أميمة إلى "دورية نقدية" تختص بأعمال محفوظ قائمة، وكنت أحسب أن هذه الزاوية المحدودة كل خميس في موقعنا هذا سوف تبدأ بذلك مهما تواضعت الاجتهادات، ولكن كما ترين.

وإني أتساءل أين النقاد؟ وأين الحواريون مما أحاوله، وتحاولينه هكذا؟

ليس مهمًا،

لكل شيء وقت

وسوف يأتي في حينه،

المهم "أن نملأ الوقت بما ينبغى حتى يتحقق ما نأمل"، كما يقول د. أسامة عرفة:

د. أسامة عرفة: يومية 31 - 12 - 2007 (الحصاد 2007 - 2008)

أن نحيا اللحظة .. أن نحيا اللحظة

خير من انتظار لحظة لا تأتي

الحركة مفتاح الفرج

د. يحيى:

البركة فيك (فيينا، فيهم، في كل الناس، في ربنا) يا عم أسامة

د. أسامة عرفة: يومية 28 - 12 - 2007 (بريد حوار الجمعة)

"المنتدى" سيصبح أشبه بالبرنامج الثامن بالاذاعة المصرية مقارنة بالبرنامج العام.

المنتدى ملتقى عربي وهذه مساحة مهمة

الفصل (بين المنتدى والحوار والنشرة اليومية) أمر صعب

لندع التجربة تطور نفسها.

د. يحيى:

لم أعرف يا أسامة بعد ما هو دورى في ذلك الذى اسمه "المنتدى"، وقد أرسلت إلى الابن د. جمال ترك أستفسر، وسوف

وأصل التزامي - بفضل من يستمر معنا- بموقفى من النشرة والمنتدى جميعاً، وأحسب أننى أزداد اقتناعاً كل يوم أن هذا وذاك يمكن أن يكون أكثر فائدة ووعداً من المؤتمرات إياها .

والآن قل لي يا أسامة ماذا أعمل في د. محمد بن أخی، وهو لا يريد أن يشاركنا إلا بنفس الكلمات، الساخنة مهما أحت عليه لتعديل بعض ذلك. أنا لا أشك في صدقه وإخلاصه ولكن ما جدوى ما يقول هكذا:

#### د. محمد أحمد الرخاوى: يومية 1 - 2008-1 (المنتدى والنص البشرى)

التحدى الحقيقى هو في جماع وعى الحق، المتمثل في الصادقين او من يحاولون ان يصدقوا في دفع طوفان اساطين العدم (وبالتالى الانقراض) من أن يسرقوا حتم الحياة من هذا الذى تمثل في سورة إنسان على قمة الهرم الخيوى....

(أو)

..... التحدى مرعب والواقع في منتهى القسوة ويبدأ من غيبوبة الوعى أن هناك مصيبة أصلاً بين رحى حتم الحياة وبين الإصرار على العدم، بغيبوبة الوعى نحاول ان نحفر بالأمل والألم في هذا المنتدى - على أضعف الايمان- إذا كنا نعى ونفهم ونحاول والله شهيد على ذلك.

#### د. يحيى:

طيب يا محمد طيب!

لقد شكوتك لأسامة حالا وأنا في انتظار إسهامك - ربما- في حكاية المنتدى مثلا، بشكل آخر، لعلك معنا نأس بأخريين يحكمون بيننا

ربما بالصدفة يا محمد يأتي الإبن رامى في الحوار بعدك كالعادة، فأمل أن ترى الفرق.

#### أ. رامى عادل:

أنا قرئت مقال الوسواس الأول وما وعدتكش اتطرق إليه، فأنا شايقه موضوع نفسى أوى، أما مولانا نفرى فربنا يعينه ويعيننا على الاستلهام والارتواء من نصوصه.

#### د. يحيى:

هذه النصوص يا رامى، ثروة تتحدى، وأنا لا أعاملها كنصوص تصوف، بل كمنهج معرفى أساساً، "الكلمات" مع مولانا نفرى لها حضور على "مستويات متعددة من الوعى"، أو "من مستويات الوعى المتعددة"، أشعر معها أنها (الكلمات) تستعيد كرامتها بعد أن امتهناها إلى درجة جعلتني أصورها ذات مرة وهى تدور حول نفسها في أفواهننا، أنها:

"تموء كقطط جوعى في كهفٍ مظلم".

#### أ. رامى عادل: يومية 30-12-2007 (الوسواس القهرى 2)

(أنا أيضا) ساسترد كرامتى فى يوم ماء، كرامتى التى لم أفقدها أبدا رغم شعورى العام بالمهانه وعدم الشرف وقلة الخيلة.

د. يحيى:

لا أحد يفقد كرامته يارامى مهما فعلوا فيه، لا أحد يفقد كرامته إلا إذا تنازل هو عنها.

أ. رامى عادل:

.. أنا متأكد.. أن هناك ما وراء النص المكتوب، ... من حقك أن تقرأ التى بين السطور طول ما هو مفيد، وبناء، وقيم، بس لا تتوقف عن محاولة التجاوز، وربنا يسامحن طالما أنا مش مسئول عن تأثير كلامى عليك، أدع لى....

د. يحيى:

لا يا عم، أنت مسئول وأنا مسئول، طول الوقت، عن كل شئ، طالما أنت لم تسقى "حاجة أصفرا"، حتى أقتنع بكلامك، وأنا لم أشترط عليك أن تحاسب فى كلامك، فنحن مسئولان، المرسل والمتلقى، وبالعكس، طول الوقت، وأنت أيضا أدع لى....

أ. رامى عادل: : يومية 1 - 1 - 2008 (المنتدى والنص البشرى)

أنت مش مبسوط أنى باكلمك (أنا متأكد) أقصد مش مبسوط من تأثير كلامى عليك، ودعّم لى الفرض ده إن مرضاك بيغمزوك برؤى تغير مفاهيمك وتعيد تكوين معرفتك وانت/ حضرتك لا تعلم متى ستكون معرفه جديده، ده إذا اتكونت (عن طريق مرضاك الذى فى النشره هو فى مريض غيرى؟ ربنا يسامحك).

د. يحيى:

أبدا والله، أنا مبسوط ونصف، صحيح أنه بلغنى من بعض القراء أننى أعطيك يارامى مساحة أكبر مما ينبغى (وربما لهذا اختصرت كلامك جداً اليوم)، لكن هؤلاء الذين احتجوا هكذا، لم يبذلوا جهداً ليكتبوا لى حرفاً واحداً يحمل تعليقا جادا، أو ساخرا، أو طليقا كما تفعل، هم لا يكتبون ولا يتكلمون "ندش" "فى المساحة المتاحة التى تتضاءل جمعة بعد جمعة، ماذا أفعل معهم!! ولكن

دعنا ننتقل إلى تعليقك على أحلام محفوظ،

أ. رامى عادل: 3-1-2008 عن يومية 27-12-2007 (الحلم 19، 20)

هو انت/حضرتك الذى غششت محفوظ شيخنا بأن يقرأ احلامه علينا..... ده مجرد تخمين مش اتهام لا سمح الله.

د. يحيى:

يا رامى أغشش من الله "يحيى" ... ثم إنها - للمرة الألف - ليست أحلامه يقرأها علينا ، هو يبدع يبدع يبدع أحلامه، إذا كان هذا ما تقوله يا رامى عن حلم 19، 20، فماذا

تقول في حلم 22، وقد استنتجت في قراءتي له أن به بعض معالم ماكننا نتناقش فيه بشأن شركات الدواء ودورها القبيح في السياسة والتجارة والحرب (لا في الصحة والشفاء) محفوظ يستلهم إبداعه من كل "من" و"ما" حوله وما بداخله طول الوقت.

المهم، ثم ماذا عندك أيضا؟

#### أ. رامى عادل

.... أنا قرأت موضوع العقول بتاع النهارده. وماشدينش غير إن حد يتعامل معايا إن ناقص عقل أو فاقد عقلى أو ما عنديش أصلا عقل.

#### د. يحيى:

الظاهر كلنا نعامل بعضنا البعض على هذا الاحتمال دون أن ندري، كل واحد يعتبر الآخر أنه بلا عقل، خصوصا الأطباء النفسيين مع المرضى، أنت أدري، وخلها في شرك

#### أ. رامى عادل

أنا حسيت انك بتقولي في الحلم ده يا عم يحيى إن لازم اتمسك بحقى في إن أدور والاقى بنت الخلال وأنتك شايفه واقع متحقق. ربنا يطمنك. واتابط ذراعها. آمين

#### د. يحيى:

والله العظيم يا شيخ ما جئت بهذه السيرة، لكن أنت ومايصلك من الخلم أو غير الخلم، المهم ميروك، بس خلّ بالك، هذه المسألة تحتاج عمل طول الوقت، مرة كتبت "في كتاب حكمة الخانن" (445)، الزواج مزرعة للكرامية، ما لم يكن طريقا إلى الله "ولم يفهمها أحد: البعض توقف عند حكاية "مزرعة للكرامية" وكأنى أهاجم الزواج على طول الخط، أما الآخرون فلم يفهموا كيف أن العلاقات البشرية الحقيقية - بما في ذلك الجنس - يمكن أن تكون طريقا إلى الله، ويبدو أنى سأرجع إلى ذلك تفصيلا فيما بعد.

#### أ. رامى عادل:

هو أنت ثقافتك صيني!!!

امال ايه الكلام الصينى ده يا عم يحيى؟

#### د. يحيى:

يا ليت يا شيخ، يا ليت!

لكن لا يا عم!!

أنا خائف منهم مهما أنجزوا أو أحببت طعامهم، أحيانا أشعر أنهم الوجه الآخر لأمريكا.

أى والله!

المهم يا رامى: أنا أحيانا تأتيني رسائل على الموقع ليس لها أية علاقة بما اكتبه، فأرد عليهم ردًا خاصا على عنوان بريدهم، ولكننى قد أجد بعض الفائدة في أن أردّ لعموم الزوار مثلما سأفعل الآن مع نانيس

أ. نانيس ادم: 2007-12-29

.... انتهيت من دراستي منذ ثلاث أعوام،

.... ولكني حتى الآن لم أحقق ذاتي أو حتى أضع قدمي على بداية المشوار،

.... ولكني رغبت في الكلام وأملى أن لا يردني الله مخزبه،

هذا أمر رغبت أن أتحدث فيه مع إنسان واع بأمور الحياة والإنسان معا... إلخ

د. يحيى:

عذرا يا نانيس أنني اقتطفت من رسالتك هذه المقاطع فقط، رجاء أن تعم الفائدة..

ثم من إدراك أنني واع بالحياة والإنسان كما تتصورين، لا أحد له حق مطلق أن يجلس على كرسي إفتاء هذه المسائل بهذه البساطة، أنا مثلك أضع قدمي على الطريق، وإن كنت قد قطعت فيه شوطاً ما، فلا تنتظر مني نصائح "سابقة التجهيز".

ثم هل لاحظت أن رسالتك ليس بها أي تعليق على موضوع بذاته مما أكتب:

مسألة "أعثر على ذاتي" هذه تزعجني، وأيضاً مسألة تحقيق الذات، وقد أشرت إلى ذلك مراراً،

الذات أي ذات لأى منا هي نتاج حقيقي لحياة مليئة،

الذات ليست قطعة نقود فقدناها وعلينا أن نبحث عنها حتى نعثر عليها،

ولا هي بناء تحت التشطيب وعلينا أن نسارع باتمام المهمة؟

نحن نعيش وهي "تتكون"،

فإن عشنا كما خلقنا الله ببساطة، وامتلأ بالمعنى مع آخر (وأخرى)، يحاول (أو تحاول) نفس المحاولة كل بطريقته، تكونت ذواتنا تلقائياً من خلال الإبداع والثقة والكرامة وأشياء أخرى، وإلا فإننا سنظل ندور حول أنفسنا نبحث عن مجهول لا يتحقق أبداً بالبحث، وإنما بالفعل/ دون أن نركز على/ حكاية تحقيقه أولاً وأخيراً.

أما حكاية "رغبت في الكلام"

وأيضاً حكاية "إلحاح داخلنا أن نتحدث مع من يسمعنا ويفهم"،

فهذا وذاك حق مشروع جداً، لكنني أريد أن أنبهك أيضاً إلى أن هذا بعض ما يشيعه الأطباء النفسيون مثلي، وهم يبالغون فيه من قبل "فضفض" "طلع اللى جواك" ... إلخ

نعم، ولكن لاينبغي أن يكون هذا هو غاية المطاف،

بل إنه كثيرا ما يكون تيريرا أو إعاقة ولهذا حديث آخر.  
ثم أدعوك للترحيب بصديق جديد.

أ. جوزيف ناصف: 2007-12-30 (بعد الترجمة من الإنجليزية):  
آسف أنني أرسل رسالتي بالإنجليزية حيث أنني لا أستطيع  
الكتابة على الحاسوب بالحروف العربية، إنني أتابع الموقع  
يومية وأرجو أن تقبل دهشتي وإعجابي، كما أرجو أن تبسط  
لغتك العربية ما أمكن.

د. يحيى:  
شكرا يا جوزيف لمتابعتك، وآسف للصعوبة وأنت في الغربية،  
وأتصور أن جزءا من حوار المنتدى يمكن أن يكون  
بالإنجليزية، أو باللغتين، وماذا عن الفرنسية؟،  
لا ياعم،  
دعنا نبذل جهداً كل من ناحيته،  
شكرا مرة أخرى.

## 127- الموت: ذاك الوء، الأء

كتبت في يوميتين سابقتين عن الموت (يومية 7-11-2007 "عن الموت والوجود")، (يومية 21-11-2007 "الموت والشعر")، كما كتبت مؤخرا عن اقترابي مرغما، وبمخاطرة فائقة، من حل "لغز الموت" بشكل أو بآخر، لم يعد مجرد الانتباه إلى حقيقة "حدث الموت" هو ما يرر فهمنا لجدوى الحياة وتمسكنا بها، وإنما أصبح عندي أن الموت هو مرحلة ونقلة بين مستويات الوعي.

## متى وكيف يعرف الطفل الموت؟

المدخل في النشر الأول كان لتقديم كيف يدرك الأطفال الموت، لكن المداخلة تناولت أيضا الحس العادى الطيب لهذه الحقيقة، وقد تم في هذا التحديث الآن إضافة ما تيسر.

كثيرا ما يخفى الأهل عن الأطفال موت ذويهم الأقربين: موت الأب أو الأم بالذات، وهم يتصورون أنهم بذلك يرهمون الأطفال من آلام وكذا وكيت، وعادة ما أنصحهم بأن يكفوا عن ذلك الكذب والتصور الخاطئ، وأن الله سبحانه أرحم وأعلم بمن خلق، وأنه هو الذى خلق الموت والحياة والأطفال، وكثيرا ما أقوم أنا عنهم بإخبار الأطفال، ويفاجأون، ولا أفجأ، أنذاك باستقبال الطفل الهادى الطيب لهذا النبأ العادى، ليس لأنه لايعرف ما هو الموت، ولكن - على حد تصورى- لأنه أقرب إليه من تصورنا.

الفقد غير الموت (وقد أشرت إلى ذلك من قبل يومية 21-11-2007 "الموت والشعر").

## هانز كريستان أندرسون

في صورتها الأولى كانت بداية هذه المداخلة أقرب إلى ماهو نقد أدبي من خلال أعمال هانز كريستيان أندرسون للأطفال .

اكتشافي لهانز كريستيان أندرسون هو قديم قدم الفيلم الذى مثله "دان كاي" عن حياته، وكان ذلك في الأربعينات، وكنت في بعض "التأشر" teens من عمري (15-16 غالبا). هانز كريستيان أندرسون ولد في 2 إبريل 1805 ومات في 1875، وهو أشهر من كتب للأطفال، لعل في انتشار هارى بوتر هذه الأيام عبر العالم ما يذكرنا بدور مثل هذا الأدب للكبار والصغار معا، وأيضا هو يرجعنا إلى ألف ليلة ودورها التربوى الإبداعى تاريخيا وقوميا وعالميا.

أسئلة الأطفال هي هي أسئلة الفلاسفة، وبدرجة أقل: هي أسئلة كثير من المبدعين بصفة عامة، والروائيين منهم بصفة خاصة. أسألتهم عن الله سبحانه، وعن الموت، وعن المصير، هي من أكثر الأسئلة إلحاحاً، وهي أيضاً من الأسئلة التي ليس لها إجابات نهائية، حتى الإجابات الدينية التقليدية تترك الباب مفتوحاً للتفاصيل بشكل أو بآخر.

الإجابة على هذه الأسئلة لا ينبغي - ولا يمكن - أن تكون مباشرة، هذا ما فعله أندرسون وغيره.

سوف نقصر قراءتنا بالتفصيل على قصة واحدة لأندرسون، ثم نشير إلى مقتطفات من أخرى، "حكاية أم" مروراً بحكى موجز جداً عن حكاية أب مصرى (نص بشرى) وكيف استقبل موت ابنه، ثم نخرج إلى استدرك عن وعينا الشعبي بالموت والطير والرحيل، ثم بشعر لطفل أمريكي، لنختم بطاغور.

### "بائعة أعواد الكبريت الصغيرة"،

هذا هو اسم الحكاية الرئيسية التي يحكى فيها أندرسون عن طفلة فقيرة تبيع أعواد الكبريت لتكسب من خلال ذلك ما يسد جوعها، وربما جوع أسرتها حيث:

"كانت تخشى أن ترجع إليها وهي لم تتمكن من بيع عود كبريت واحد بعد".

فاستمرت في البرد تشعل أعواد كبريتها لعلها تدفئها حتى كان ما كان.

حين يحكى أندرسون، يجعلك تسمع وترى وتحس كأنك هناك فعلاً.

إذا قرأت هذه القصة بمثل ما قرأتها به فسوف ترى البنت البائعة الصغيرة رأى العين، سوف تراها وهي تسير حافية القدمين على الأرض المغطاة بذلك الصقيع المجد، وقد تبتسم بالرغم من ذلك حين يشرح لنا أندرسون كيف صارت قدميها إلى الحفاء، لقد غادرت بيتها وهي ترتدى خفا كبيراً جداً عليها:

"... ربما كانت أمها هي آخر من استعمله، لأنه كان كبيراً جداً فقد فقدته حين أسرعت لتعبر الشارع، إذ مرت بها عربتان منطلقتان بسرعة جنونية، فضاعت الفردة الأولى، أما الثانية فقد ركض بها ولد يقول بأنه سيستعملها كمهد حين ينجب أطفالاً، ومشت البنت ذات القدمين العاريتين اللتين كانتا حراويتين زرقاويتين من شدة البرد.."

من خلال حمرة قدميها المختلطة بالزرقة شعرته في جلدى مباشرة بدرجة البرد التي كان يحيط بالبائعة الصغيرة، ثم عدت فرأيت الصبي الظريف خاطف الحذاء ليحمله مهذا لطفله القادم، رأيت على وجهه تلك البسمة الساخرة وخيل إلى أنه بذلك يرحم البائعة الصغيرة من أن تسير بفردة حذاء واحدة تضاعف من إحساسها بالبرد، وكأنه بذلك أيضاً قد كفاها أن تضيق وقتها في البحث عن الفردة الأخرى. أبلغتني هذه الصورة

الاعتراضية، برغم الجوع والصقيع فالموت، أبلغتني شيئاً طيباً باسمها عن المستقبل، فرأيت هذا الطفل الشقي حين يصير أباً وله طفل يرقده في فردة الخذاء المهده المخطوف! ما علينا، صاحبته البائسة، ورأيتها وقد "سقطت ندف الثلج على شعرها الأصفر الطويل الذي تجعد بشكل جميل حول رقبتها، وقد وقفت "في زاوية بين بيتين أحدهما قد تقدم قليلاً على الآخر في الشارع!!" وقد راحت تتابع ما يجري داخل البيوت الدافئة. وفي محاولة أن تغلب قليلاً على بعض الصقيع الذي جعلها لا تعود تشعر بقدميها من شدة البرد، أشعلت عود ثقاب واحد لتدفئ أصابعها:

"كانت شعلة دافئة صافية مثل شمعة صغيرة، أحاطتها بيديها، كان ضوءه عجبياً. ظنت البنت الصغيرة بأنها تجلس عند موقد حديدي كبير بكرات ومدخنة نحاسية، توهجت النار مشتعلة تنشر الدفء" وبانتهاء اشتعال عود الكبريت اختفى الموقد، وانتهى الدفء، فعاد البرد، فأشعلت آخر، فخلق لها مائدة في غرفة معيشة عليها بطة مشوية محشية... المدهش في الأمر كان عندما قفزت البطة والسكين في ظهرها حتى وصلت إلى الفتاة الفقيرة، وانطفأ حينئذ عود الكبريت، فلم تر غير حائط سميك بارد"

حين أشعلت الصغيرة العود الثالث وجدت نفسها في حضن طبيعة حانية محيطة

"نظرتُ إليها آلاف الشموع الموقدة على تلك الفروع الخضراء والصور الملونة... وعندما مدت الصغيرة كلتا يديها في الهواء انطفأ عود الكبريت وصعدت شموع عيد الميلاد الكثيرة إلى الأعلى، فرأيتها مثل نجوم صافية سقطت إحداها مخلقة شريطاً نارياً في السماء"

نلاحظ هنا النقلة الواصلة بين الطبيعة وشجرة عيد الميلاد بشموعها، كما يمكن أن نشاهد النجم الساقط الذي لم يكن إلا إحدى الشموع منذ قليل. كان يمكن أن ينتهي هذا الخيال في بعض قصصنا الوعظية الإرشادية بجزء طيب مقابل الصبر والإصرار على أداء المهمة، أو كان يمكن أن ينتهي بعثور الطفلة على كنز مخبأ، أو بكافة أوعية تجزيها خيراً على استقامتها... إلخ. لم يحدث أي من ذلك. الذي حدث أنها تذكرت، وهي في حضن الطبيعة الحانية، جدتها التي توفيت والتي كانت تقول لها "عندما تسقط نجمة، تصعد روح إلى الله"، وإذا بعود الكبريت الرابع حين شحطته يحضر لها جدتها في حالة من الضياء

"واضحة لامعة حنونة طيبة". صاحت الصغيرة جدتي خديني معك، أعلم بأنك ستخترقني عندما ينطفئ عود الكبريت. ستخترقني مثل الموقد الدافئ، مثل البطة الشهية وشجرة عيد الميلاد المباركة، ثم أسرع بشحط عيدان الكبريت الباقية في الحزمة تلو الآخر، كانت تود بشدة أن تبقى جدتها، أضاءت عيدان الكبريت ببريق أصفى من ضوء النهار، لم تكن جدتها في يوم أحلى وأكبر منها الآن، حملت الجدة الفتاة الصغيرة بين ذراعيها وطارا بالثق وفرح عالياً، عالياً جداً، حيث لا برد ولا جوع ولا خوف، كانا عند الله"

أيضا كان يمكن أن تنتهي القصة هنا بتصفيق وعطى آخر، لكن أندرسون أهماها وهو يصف جثة الفتاة بشجاعة وجمال أيضا عند الصباح، وفي الزاوية تلك بين البيتين، كانت الفتاة الصغيرة، بوجنتين حمراوين، وابتسامة مرسومة على الفم....

ماذا تتوقع من هذه الصورة؟ الوجدتين حمراوين، والابتسامة مرسومة، الأرجح أنها قد نامت حاملة في حضن جدتها الخائبة، وهذا جزء البنات الخلوات، أليس كذلك؟ لكن أندرسون يقول شيئا آخر:

"..... كانت ميتة، ماتت متجمدة من البرد في الليلة الفائتة من العام الماضي. طلع صباح السنة الجديدة على الجثة الصغيرة التي حضنت عيدان الكبريت ومنها حزمة محترقة، قيل بأنها كانت ولا شك تريد أن تحصل على دفء، لم يعرف أحد كم كان جميلا ما رأيته، أي ضوء مشع دخلت عبره مع جدتها العجوز إلى فرح العام الجديد: (كتبت هذه القصة في عام 1848).

لماذا أمات أندرسون هذه الجميلة؟ لماذا لم يجعل النهار يطلع عليها؟ وتشرق الشمس، فيذهب الناس إلى السوق ويمرون بها ويشترون منها ما يجعلها تعود إلى أهلها راضية ناجحة؟ لماذا لم يرجع أحد قاطن المنزليين التي نامت في الزاوية بينهما فيراها فيوقظها، ويدعوها برحمة إلى الداخل، ويعد لها شوربة ساخنة، ويدفئها ويقبلها فتنام شاكرة صنيعه؟ لماذا لم يرسم لنا أندرسون جثتها بيضاء باهتة من الصقيع على الأقل، ولم يضع على وجهها تفلصات البرد التي أشعرنا بها طوال حكيه عنها حتى كدنا نتجمد ونحن نقرأها؟

لقد علمنا أندرسون من خلال القصة حتى النهاية كيف يمكن أن تكون النقلة هادئة بين الحياة والموت، إلى الله سبحانه، كما عايشنا قبل ذلك هذا التداخل بين الواقع والخيال، كل ذلك ووعينا يضيء المرة تلو المرة في نعومة حانية، وألم جميل، بما يجعلنا أقرب إلى أنفسنا، وإلى خالقنا ورحمته، وبما يجعل الموت هو القريب البعيد، هو الذي نخشاه بقدر ما ننتظره، هو الطريق إليه ونحن نعيش واقعا نجمع بين قسوة الفقر، وقرص الحرمان، ونداء الطبيعة، وفرحة الأمل، وقوة الخيال، في نفس الوقت.

#### استطراد لم يكن في النشر الأول:

حضرني وأنا أتابع صعود خيال الجميلة الصغيرة إلى جدتها الراحلة صورتان تكلمان هذا التشكيل بشكل أو بآخر: الصورة الأولى هي تلك الأغنية النائحة الجميلة التي تصف طلوع الروح جمامة تصعد مع بلبل إلى طبقات المجهول .

حمامة بيضا  
طارت يا نينه

.....

ما خدها البلبل  
وطار وبها  
قصدُه يا نينه  
يعرف لغاها



هل رأيتم هذا التوازي بين خيال أندرسون وهو يتقمص بائعة أعواد الكبريت الصغيرة وهى تناجى جدتها الراحلة وبين قصيدة أندريا الأمريكى الصغير بعد قرنين (تقريباً) من ميلاد أندرسون وهو يحاور جدته الراحلة أيضاً إلى بيتها (أين بيتها؟).

هل يستطيع أئى منا أن يحدد من منهما التى ماتت ومن منهما التى بيتها فى الشمال،

هل يستطيع أحد أن يقرر الفرق بين السماء والشمال والكون الأعظم؟

.....

يمضى أندرسون بعد ذلك يكشف عن الموت فى قصصه للأطفال، ولكن هذه المرة وهو يتقمص مشاعر الأم - فى قصة أخرى - لا الطفلة ، وفى نفس الوقت هو يبلغ من خلال ذلك نقلة الموت السلس المتناغم من زاوية أخرى!

### قصة أم (هانز أندرسون)

هى القصة التالية مباشرة لقصة بائعة أعواد الكبريت (فى طبعة مجلة القاهرة 2005) اسمها "قصة أم". فى تلك القصة يتجسد الموت للأم فى شكل شيخ غريب مخطف ابنها، فتهم على وجهها لتسترده وهى تضحى بكل شىء تعطيه لمن تقابله، وما تقابله، فى مقابل أن يدها على أين ذهب الشيخ (الموت) بابنها: تضحى بعينيها فلا تعود تبصر، ويلسانها و... الخ. حتى تصل إلى "مشتل الموت" فإذا بالموت ليس عدما بل مشتلا انقلب فيه الراحلون إلى زهور واعدة بما لا نعرف، وتنتهى القصة بأن ترضى الأم أن تتنازل عن إصرارها على استرجاع ابنها حيا، وتسلم ابنها زهرة بين الزهور فى مشتل الموت، زهرة تنتظر قدرها وتقبله، إنها تتنازل عن محاولتها استرداد طفلها قائلة للموت:

"...إحمه، إحمه بعيدا إلى ملكوت الله، إنس دموى ، إنس دعواتى"

يتعجب الموت

لا أفهمك، أتريدىنى طفلك، أتريدىنى أن آخذه إلى هناك، حيث لا تعلمين؟

ترد الأم:

"لا تسمعنى حيث أسألك بخلاف مشينتك، التى هى المثلى، لا تسمعنى لا تسمعنى"،

وحنت رأسها إلى الأسفل إلى حضنها، ومشى الموت بابنها إلى البلاد المجهولة

هكذا تعلمنا أندرسون فى "قصة أم" ما يكمل صورة نهاية قصته "بائعة أعواد الكبريت الصغيرة"، فمن من الأطفال يخشى الموت بعد ذلك، ومن منا - كبارا - لا يتعلم من ذلك؟

بلغتني نفس الرسالة من أب مصرى فلاح جميل على الوجه التالى:

### قصة أب مصرى فلاح

خبرة من العيادة (نص بشرى)

هو رجل فى منتصف العمر، دخل إلى حجرة الكشف بالعيادة، طويل جميل، يلبس جلبابا بلديا نظيفا، وجهه سمح جاد، يبدو من وجهاء الريف كما أعرفهم قديما، قال شكواه التى بدأت من بضعة شهور وتراوحت بين الحزن، والأرق، وأعراض جسدية تدل على التوتر بشكل أو بآخر، حكى شكواه بهدوء دون مبالغة، سألته عن عمله، ووقته واهتماماته، فأجاب بما أئد ظنى، أنه ميسور الحال، بدأ تعليمه، وكان مجتهدا، لكنه فضل بعد موت والده باكرا أن يزرع أرضه، وهو راض عن قراره، وغير نادم على ترك الدراسة، وهو يثقف نفسه بنفسه، احتزمته أكثر. سألته عن عائلته، فصمت غير قليل، وطأطأ رأسه ببطء، ثم رفعها وهو يجربني بعدد أولاده وبناته، ووفاقه مع زوجته، خاصة بعد وفاة المرحوم العريس، استرجعته متسائلا: من العريس؟، أخبرني بهدوء أن ابنه البكر ذا الأربع وعشرين عاما مات فى حادث سيارة قبل فرحه بأيام، وكان ذلك منذ ستة أشهر، قالها بهدوء حزين رصين حتى كدت أفض من كرسى جزعا، تعجب الرجل من تعبيرات وجهي، حتى تبادلنا الأدوار فراح يسألنى "مالك يا دكتور؟"، حينئذ انتهت أنى أتصرف كان المصاب مصابى وليس مصابه، فهم الرجل بأبوة حانية وقع المفاجأة على، حاولت أن أقدم له التعازى، لكن يبدو أن حالتي كانت صعبة إلى درجة فاقت قدرتى على إخفائها وراء منظرى الطبي، تبادلنا الأدوار، فراح يطمئننى بأنها مشيئة الله، وأنه سبحانه قد استرد وديعته. قارنت بين قوله "استرد وديعته"، وبين قولى له "البقية فى حياتك"، أية بقية ؟ وهل حياتنا بقية؟

استرجعت دورى كطبيب: حاولت أن أشرح له الوصلة بين رباطة جأشه الصلبة الظاهرة والمستمرة حتى الآن، وبين ظهور الأعراض التى حضر من أجلها لاستشارتى، رفض فى البداية، ثم اقتنع إلا قليلا، سألته إن كان قد بكى عقب الفقد، فأجاب بالنفى، شرحت له من جديد احتمال الربط بين جفاف الدموع، ودرجة الكبت، ولم أجرؤ أن أدعوه للبكاء، كتبت له بعض ما تيسر من عقاقير كعامل مساعد.

وانصرف وأنا أقنع نفسى أن دموعا رقيقة أطلت من عينيه أخيرا وهو ينصرف، وأنه قرر أن يضعف، ليشفى، وحدث.

وفهمت- فيما بعد- علاقة هذا الحديث بما قدمته حكاية بائعة أعواد الكبريت الصغيرة.

بل وما رضيت به تلك الأم وهى تتنازل عن رغبتها فى استرجاع ابنها، كأنها أيقنت أنه لم يحتفى بل انتقل فحسب.

متى يعرف الأطفال معنى الموت

المعلومات العلمية التقليدية تقول إن الطفل لا يعرف الموت إلا في سن متأخرة نسبياً، تختلف الدراسات في تحديدها لكنها تتراوح بين السابعة والتاسعة، لكنني أشك في هذه الحقائق من حيث أنها تتكلم عن الموت بمعنى الفقد، بمعنى الاختفاء الدائم، الطفل فعلاً لا يدرك هذا الاختفاء الدائم إلا في هذه السن بعد أن نكون قد علمناه أن يفكر بطريقتنا. الطفل يحتفظ بكل ما يصل إليه في وعيه إلى الأبد، هذا الاختفاء الظاهر الذي يسميه الكبار الموت هو وهم الكبار فقط،

### أوهام الكبار عن الموت

شتان بين الموت والفقد والعدم،

نحن نضع تعريفاً للموت كما نراه كباراً، ثم نفرضه على الطفل، ونزعم أنه لا يعرف هذا التعريف إلا في سن كذا. لا أحد يمكن أن ينزع من الطفل من محب، جدة بائعة الكبريت لم تمت، حضرت فوراً بمجرد أن احتاجتها الصغيرة، وحين صحبت الجدة فحيدتها إلى السماء في رحلة إلى وجه الله لم نلاحظ ذلك الخط الفاصل الذي نصطنعه نحن الكبار بين الحياة والموت.

**جدة أندريا كلاج (8 سنوات)** التي لا تعرف إن كانت ماتت أم رحلت، أوصلت إلينا من خلال شعر أندريا نفس الرسالة.

الموت الذي يعرفه الأطفال أكثر هو وعى "بين بين"،

هو الحقيقة الواقعة فيما بين مستويين من الوعي، المستوى الفردي، والمستوى الكوني.

حين وضعتُ فرضاً يحدد مستويات الشعر في مقابل مستويات الحلم (مجلة فصول 1984) ("مستويات الحلم" كتاب حركية الوجود وتجليات الإبداع") توقفت عند "القسيمة بالقوة" وهي القصيدة الحاضرة التي لم تظهر بعد، والتي عادة لا تظهر أبداً.

بلغ إدراكي لعمق هذا الفرض أنني فسرت من خلاله جدلية الموت، والوجود قلت في ذلك: "... ولعل كثيراً من حقائق الوجود التي نعجز أصلاً عن قولها هي من باب هذا الشعر الذي لا يقال، فالمت هذا هو شعر لا يقال بالنظر إلى الجانب البنائي فيه، وليس مجرد التحلل والاختفاء.

### طاغور

أختم هذه المداخلة بقول حضرنى لطاغور وهو يستمع إلى الموت يناديه ".. سأفود زورق حياتك عبر البحر". يدعو لرحلة شعرته منها بنفس الإيقاع الهادئ الذي وصلني من كل ما سبق، وذلك بعد أن قالت له حياته باكراً: **ساموت وأنا في منتهى الكمال.**

الرحلة هذه المرة كانت عبر البحر، الذي سمعت هسهسة موجاته، وليس هديرها،

ذلك لأن كل ما كان قبل هذا البيت الأخير، كان يهد لهذه الرحلة هكذا:

المعلومات العلمية التقليدية تقول إن الطفل لا يعرف الموت إلا في سن متأخرة نسبياً، تختلف الدراسات في تحديدها لكنها تتراوح بين السابعة والتاسعة، لكنني أشك في هذه الحقائق من حيث أنها تتكلم عن الموت بمعنى الفقد، بمعنى الاختفاء الدائم، الطفل فعلاً لا يدرك هذا الاختفاء الدائم إلا في هذه السن بعد أن نكون قد علمناه أن يفكر بطريقتنا. الطفل يحتفظ بكل ما يصل إليه في وعيه إلى الأبد، هذا الاختفاء الظاهر الذي يسميه الكبار الموت هو وهم الكبار فقط،

### أوهام الكبار عن الموت

شتان بين الموت والفقد والعدم،

نحن نضع تعريفاً للموت كما نراه كباراً، ثم نفرضه على الطفل، ونزعم أنه لا يعرف هذا التعريف إلا في سن كذا. لا أحد يمكن أن ينزع من الطفل من محب، جدة بائعة الكبريت لم تمت، حضرت فوراً بمجرد أن احتاجتها الصغيرة، وحين صحبت الجدة فحيدتها إلى السماء في رحلة إلى وجه الله لم نلاحظ ذلك الخط الفاصل الذي نصطنعه نحن الكبار بين الحياة والموت.

**جدة أندريا كلاج** (8 سنوات) التي لا تعرف إن كانت ماتت أم رحلت، أوصلت إلينا من خلال شعر أندريا نفس الرسالة.

الموت الذي يعرفه الأطفال أكثر هو وعى "بين بين"،

هو الحقيقة الواقعة فيما بين مستويين من الوعي، المستوى الفردي، والمستوى الكوني.

حين وضعتُ فرضاً يحدد مستويات الشعر في مقابل مستويات الحلم (مجلة فصول 1984) ("مستويات الحلم" كتاب حركية الوجود وتجليات الإبداع") توقفت عند "القسيمة بالقوة" وهي القصيدة الحاضرة التي لم تظهر بعد، والتي عادة لا تظهر أبداً.

بلغ إدراكي لعمق هذا الفرض أنني فسرت من خلاله جدلية الموت، والوجود قلت في ذلك: "... ولعل كثيراً من حقائق الوجود التي نعجز أصلاً عن قولها هي من باب هذا الشعر الذي لا يقال، فالمت هذا هو شعر لا يقال بالنظر إلى الجانب البنائي فيه، وليس مجرد التحلل والاختفاء.

### طاغور

أختم هذه المداخلة بقول حضرنى لطاغور وهو يستمع إلى الموت يناديه ".. سأفود زورق حياتك عبر البحر". يدعو لرحلة شعرته منها بنفس الإيقاع الهادئ الذي وصلني من كل ما سبق، وذلك بعد أن قالت له حياته باكراً: **ساموت وأنا في منتهى الكمال.**

الرحلة هذه المرة كانت عبر البحر، الذي سمعت هسهسة موجاته، وليس هديرها،

ذلك لأن كل ما كان قبل هذا البيت الأخير، كان يهد لهذه الرحلة هكذا:

"قالت لي الغمامة: سأمحي

وقال الليل: سأغيب في الفجر المضطرب

وقال الألم: سألوذ بصمت عميق كأثار خطاه

وأجابت حياتي: سأموت وأنا في منتهى الكمال

وقالت الأرض: إن أنوارى تلثم أفكارك في كل لحظة

وقال الحب: وتمضى الأيام ولكنى أنتظرك

وقال الموت: سأقود زورق حياتك عبر البحر.

- أصل هذه المداخلة كتبت في الجريدة القومية السرية بعنوان (كيف ومتى يعرف الطفل ما هو الموت؟ ونحن أيضا!!؟) بتاريخ 25-11-2005.

"قالت لي الغمامة: سأمحي

وقال الليل: سأغيب في الفجر المضطرب

وقال الألم: سألوذ بصمت عميق كأثار خطاه

وأجابت حياتي: سأموت وأنا في منتهى الكمال

وقالت الأرض: إن أنوارى تلثم أفكارك في كل لحظة

وقال الحب: وتمضى الأيام ولكنى أنتظرك

وقال الموت: سأقود زورق حياتك عبر البحر.

- أصل هذه المداخلة كتبت في الجريدة القومية السرية بعنوان (كيف ومتى يعرف الطفل ما هو الموت؟ ونحن أيضا!!؟) بتاريخ 25-11-2005.

## 128- الشخصية الفرانقباضية (وأخواتها) (من منظور تطوري)

## تمهيد :

الفضل لصاح جاهين، رحمه الله في نحت اسم الشخصية الفرانقباضية، ولو أن التعبير الفرانقباضي المقابل في الإنجليزية هو manic-depressive وهو لا يطلق عادة إلا على درجة اشد (حتى الجنون) من هذا الاضطراب ذي الوجهين (هكذا كان اسمه بالفرنسية يوم وصفه الطبيب النفسى فارليه (Folie de double face) وهو اسم طريف صحيح.

أهمية تقدم هذه الشخصية، وخاصة ما يصل منها إلى درجة الاضطراب، وليس المرض الأشد المقابل لها، للزملاء وللشخص العادي، بدت لي ذات دلالة خاصة في هذه المرحلة ونحن نقدم بعض معالم الفكر التطوري المرتبط بالإيقاع الحيوى وذلك لتوضيح ما يلي:

1. إن اضطراب الشخصية المسماة "الفرانقباضية" هو نموذج للإيقاع الحيوى (المرضى) الذى هو أساس النظرية الإيقاعية التطورية **Evolutionary Rhythmic Theory** التى ينبنى عليها هذا الفكر.

2. إن وجود النبض الحيوى فى ذاته ليس دليل صحة إلا إذا أدت النبضات إلى النمو، وهذه الشخصية تنبض كأعلى ما يكون النبض لكن فى المحل، أى أن النبضة تنتهى حيث بدأت، وبالتالى يتوقف النمو برغم زخم التغير وحدة الحيوية حتى فى طور الانقباض

3. إن الجمع بين النقيضين فى شخصية واحدة يعتبر أمرا مألوفا، وهنا يحدث التواجد بالتبادل أساسا، وعلى فترات طويلة نسبيا، (تراوح بين أيام إلى أسابيع إلى شهور إلى أكثر)، كما أننا يمكن أن نستفيد من ذلك فى تصعيد قبول فكرة الجمع بين المتناقضات من حيث المبدأ، دون الإسراع بهذا الاستعمال الجاهل لوصف أى تقلب من النقيض إلى النقيض على أنه فصام بلغة العامة (يتم ذلك غالبا فى المجالات الاجتماعية، وأحيانا السياسية وأحيان السبابية "ياه شوف دا متقلب ازاي! دا عنده شيزوفرينيا)!!

4. إن مجموعة الاضطرابات المسماة بـ "اضطرابات الشخصية": إنما ينظر لها من منظور التطور، باعتبار أنها "توقف دائم، أو شبه دائم، لمسيرة النمو".

5. إن تنوعات هذه المجموعة تقسم إلى فئات فرعية، من المنظور التطوري بناء على آلية التوقف المستعملة أكثر في كل نوع منها، جنباً إلى جنب مع نتائج هذا التوقف (أو الإجهاض) كما أنها تظهر في شكل سمات وسلوك عام، لا أعراض محددة.

مقدمة عن اضطرابات الشخصية عامة:

(من منظور تطوري)

إن النظر في طبيعة هذه الفئة وصعوبة تناولها وتحديد معالمها، تلزمتنا العودة للمواجهة الصريحة مع مشكلة الحد الفاصل بين السواء والمرض...، هذه المجموعة تحمل كل تحديات السؤال الأزل "من يحكم على من"، وذلك لسببين:

أولاً: أن هذا التشخيص لا يتم بناء على وجود أعراض محددة المعالم، وإنما على سمات ممتدة، صفات تصف الشخص ككل، بلا بداية محددة عادة،

وثانياً: إن من يعاني من أغلب أنواع هذه الشخصية، لا يذهب بنفسه تلقائياً لاستشارة طبيب نفسى في العادة، وإنما هو قد يُنصح بذلك، أو يدفعه المحيطون به إلى ذلك.

استمرار مسيرة النضج، واضطرابات الشخصية

من منطلق الفكر التطوري، يعتبر اضطراب الشخصية نموذجاً لتوقف النمو المفروض أنه المضطرب مدى الحياة، باعتبار أن هذا النمو المضطرب هو أمر طبيعيّ تماماً، إلا أنه، في الواقع، أمر غامض فيما نسميه "الحياة العادية"، خصوصاً في المجتمعات التقليدية والنمطية الساكنة، وهذا الغموض الذي يحيط باضطراب نمو الشخص العادي هو الذي يضيف إلى الحيرة ونحن نقيس اضطراب الشخصية بقياس النمو، الحيرة في تحديد معالم ما إذا كان النمو قد توقف فعلاً حتى نتعرف على (نَشْخَص) ما هو اضطراب الشخصية مقارنة باستمرارية نمو العاديين، فنحن آنذاك نواجه تساؤلات تقول:

• وهل يوجد مقياس لاستمرارية نمو العاديين؟

• وكيف نحكم على هذا التوقف الذي ربما يكون مجرد حالة كمون ينطلق بعدها المسار؟.

بالرغم من كل هذه الصعوبات فإن فهم اضطراب الشخصية من منظور تطوري يظل يعتمد على فرض حتم استمرار النمو في الأحوال العادية مدى الحياة.

إنه بدون تبني مفهوم النمو الدائم هذا يمكن أن نتفق مع من ينكر هذه الزملة أصلاً، ممن يزعمون أنها ليست بالضرورة مشكلة طب نفسية وإنما هي مشكلة اجتماعية، أو أخلاقية، وأن

مجرد دخولها إلى مجال الممارسة الطبية لا بد أن ينقل الاهتمام من التفكير في النمو من عدمه، إلى تحديد ظاهر السلوك الذى أتى بصاحبها إلى مجال الممارسة الطبية يطلب الاستشارة الطبية أو المعونة بأى شكل.

### الخطوط العامة لمسار النمو البشرى

• النمو المستمر، للكائن البشرى يحدث بشكل تلقائى فى الأحوال الطبيعية (مع أن الأحوال الطبيعية أصبحت هى الأكثر ندرة بعد أن أصبحت إعاقة النمو هى القاعدة).

• إن هذا النمو يحدث تدريجياً - غير ملموسة نقلاته عادة - اللهم إلا أثناء ما يسمى أزمت النمو Growth Crises منذ الولادة وحتى الموت، بل إن الموت نفسه يمكن أن يعتبر أزمة نمو بشكل أو بآخر (انظر بعد).

• إن مفهوم النمو الفردى المتواصل، يوازى مفهوم التطور الحيوى المتواصل ، بل إن مفهوم التطور الذى تنتمى إليه هذه المدرسة يقر نظرية الاستعادة (لهيكل Recapitulation Heckl) Theory التى تقول إن الأنتوجينيا (نمو الفرد) تكرر الفيلوجينا (تطور النوع).

• المفروض أنه لا شىء يحول دون ذلك إذا كان للتطور أن يستمر، وإذا كان للنمو الفردى أن يحقق غايته التى تمتد حتى إلى ما بعد الموت

• أن هذا النمو له قواعد الأساسية - من منظور التطور- هنا، كما أن له محكاته المحددة، ومن أهم ذلك:

1. إن النمو يسير فى نبضات تتكون من طور اندفاع (بسط Unfolding) بالتبادل مع طور ملء (تمدد) (Diastole) بما يقابل طورى الملء والانقباض فى دورة القلب النابضة.

2. أثناء نبضات الإيقاع الحيوى على مستوياته المختلفة يتجرع الفرد جرعات أكبر من قدرته على الاستيعاب الفورى ، ثم هو يعيد تشكيلها بانتظام، وهو يجتازها ويتمثلها لينمو بها يوماً من خلال نوبات البسط المتلاحقة أثناء تبادل النوم واليقظة، وأكثر أثناء تبادل النوم الحالم وغير الحالم.

3. يتم النمو بشكل مستمر من خلال هذه النبضات إذا ما كان النوم يقوم بوظيفته الوقائية التفريغية والنموية الاستيعابية معاً، بغض النظر عما إذا كنا ندرك آثار ذلك أم لا

4. هذه الإيقاعات الليلنهايرية عادة لا تكفى للاستيعاب المتكافئ لكل المعطيات المدخلة فالتراكمه، وهى أيضاً لا تكفى للوفاء بالتشكيل الفورى الكامل أثناء طور البسط، مما يترتب عليه تراكمات متتالية متزايدة تحتاج إلى نبضة نمو عملاقة ، وهو ما يحدث فيما يسمى أزمت النمو المتتابعة (الثمانية مثلاً كما عددها إريك إريكسون).

5. إن نبضات عملية النمو تكون نشطة ومتابعة في الطفولة الأولى ثم المراهقة، ثم إنه كلما تقدم العمر تصبح أطوار "الملء" أطول فأطول على حساب أطوار "البسط"، وذلك باضطراب مرور سنين العمر.

6. إن هذه النبضات لاتتوقف فعلا ونهائيا إلا بالموت الجسدي (وقد لا تتوقف)

7. إن ترجيح استمرارية كفاءة النمو لا يتعلق بالسن الزمني بقدر ما يتعلق بمرونة وإبداعية الشخصية في نبضاتها، أى بقدرتها على الاستيعاب والتمثل المنتظم المتزايد للخبرات التى تنمو بها.

8. إن هذا الاستيعاب النمائى يتم من خلال نبضات الإيقاع الحيوي على كل المستويات كما أشرنا حالا.

### ماهية اضطراب الشخصية

#### (من منظور تطورى)

اضطراب الشخصية هو توقف جسيم نتيجة إعاقة ممتدة أو متكررة، (حتى الإجهاض المعاود) لنبضات الإيقاع الحيوي لمسار النمو البشرى بما يترتب عليه الانحراف عن مسار النمو، أو تجميده، أو بالدوران المخلق في المخل، أو إجهاضه أولا بأول، أو غير ذلك،

وفيما يلى سوف نقدم شرح ثلاثة آليات لتوقف أو تأخر نضج الشخصية بشكل شبه دائم، كما سوف نؤجل تقديم آليات توقيف النضج الأخرى حين عرض أنواع أخرى من اضطراب الشخصية تناسبها.

#### بعض آليات توقيف النمو:

1. أن ينتج عن تذبذب عملية النمو وعدم كفاءة أطوار النبضات المتلاحقة تأخر في اكتساب سمات سلوكية تناسب مع مسيرة النمو في أطوار العمر المختلفة، مما ينتج عنه تأخر النضج وظهور مظاهر طفلية ومخلّة في تصرفات الشخص البالغ، ومثال ذلك الشخصية غير الناضجة أو غير المستقرة انفعاليا بوجه خاص.

2. أن يحدث طور الاندفاع (البسط) في ظروف غير ملائمة، مما يعرض الكيان النامي إلى إحباطات ورعب وانكماش بحيث تُجْهَض النبضة لدرجة ألا يجرؤ الفرد على معاشتها ثانية، فلا يعود ينبض إلا نائما وفي السر لسرعة الهو والإنكار، بل إن هذا النبض أثناء النوم والحلم يكون غائرا في طبقات الشخصية الأعمق بحيث لايتبادل مع أى أطوار أخرى،

وينتج عن هذا وذاك توقف النضج بالمعنى النابض المتبادل الذى قدمناه،

وكأن الإيقاع الحيوي القادر على البسط والإبداع قد انقلب إلى انتفاضات تدفن حيث بدأت باستمرار.



بالتوازن إخلالا جسيما .

(د) أن تكون نوبات الاستيعاب نشطة بحيث لاتصبح كمونا خاملا دائما .

(هـ) أن يحدث بعد كل نوبة بسط تغير في اتجاه النمو، بحيث لايعود الفرد النامي إلى نفس مستوى نشاطه السابق تماما، بل يرجع إلى مستوى مختلف نوعيا، بمعنى أنه أعلى ولو قليلا في اتجاه الحركة والنمو والحيوية والتواصل، مما يؤكد أن حركة النمو لولبية وليست دائرية مغلقة .

### النض المغلق الدائرة في الشخصيات النوابية

بعد هذه المقدمة سوف نؤكد على آلية توقيف النمو الأخيرة، حيث أنها وراء الدائرة المغلقة التي ترتب عليها هذا النوع من اضطراب الشخصية :

إنه إذا استبدل بهذا النشاط الإيقاعي المثري المتناوب، نشاط شبيه به، لكنه أكثر حدة ومع ذلك هو لا يحقق الغاية منه إذ يرجع الحال بعده إلى نفس نقطة البداية (وربما إلى مستوى أدنى بالفحص المجهري الدقيق) فإنه لايعود نشاطا ناميا، بل إنه **يعتبر نشاطا توقيفياً**، لأنه حل محل النشاط اللولبي النامي، ومن هنا أسيناه نشاطا دائريا مغلقا، لأنه **يغلق النمو في دائرة موضوعية بدلا من أن يبسطه في تصاعد لولبي**.

تتصف هذه المجموعة بأن الشخصية تتميز بتناوب نشاطها بين **قطبين** دون حتم انتظام هذا التناوب، ومع وجود فترات كمون متفرقة ومختلفة الطول بين كل نوبة والأخرى، وذلك دون أن تترك هذه النشاطات المتناوبة أى أثر نمائى إيجابى بعد حدوثها، وتسمى مثل هذه الشخصيات باسم "اضطراب الشخصية" النوابية Cycloid-Personality Disorder ، ويمكن تمييز بعض أنواع هذه الاضطرابات بعرض الأمثلة التالية :

### الشخصية الفرحانقباضية :

#### 1 - الشخصية الفرحانقباضية

تتميز هذه الشخصية بتناوب مزاجها بين الحزن والفرح بشكل متلاحق دائرى كما أسلفنا، وقد يتخلل ذلك فترات كمون هامد، ولا بد أن نعيد التذكرة بأن كلا من الفرغ والانقباض: هما من أنشطة "البسط"، فالفرح ليس نقيض الانقباض إلا من الناحية السلوكية والدينامية، فهما مظهران لنشاط واحد وهو النشاط الاندفاعى أساسا .

يكون التناوب بين الفرغ والانقباض حادا بدرجة لاتسمح للنشاط الامتدادى الملئى أن يأخذ فرصة استيعاب خبرات البسط هذه، وبالتالي فإن هذا التناوب الاندفاعى المغلق المتلاحق يوقف النمو بطريق غير مباشر، إذ لا يسمح للنشاط المكمل له أن يأخذ فرصة حقيقية لاستيعاب هذه الخبرات.

### أحوالها

قياساً على هذا التناوب المغلق الدائرية، قمت بوصف عدد من الشخصيات الدورية النوابية، تحت مسمى: "أخواتها" (أخوات الشخصية الفرحانقباضية) على الوجه التالي:

## 2 - الشخصية المغرانشحابية: The invasive-withdrawn

تتميز هذه الشخصية بالتناوب بين قطبين أقل شيوعاً من قُطْبَيْ الفرَح والاكْتئاب وهما قطبي **التقدم الجسور** **مقابل الانسحاب المتمادي**.

مثل هذا الشخص بوجّه طاقة نبضات الاندفاع (Systole) إلى اكتساح ما أمامه في **إغارة مهيمنة لا تسمح له بأن يرى الآخر** منفصلاً عن اندفاعه بحيث تتاح له الفرصة في احتكاك يؤدي إلى النمو،

يتبادل مع هذه الاندفاع، **انحسار تراجمي بنفس الحدة أحياناً**، وقد يكون انسحاباً حقيقياً (فيزيائياً بنفسه وجسده) أو تواصلياً يلغى به وجود الآخر تماماً، حتى لو ظل شكل العلاقة قائماً

وقد يصاحب هذا الانسحاب بعض مظاهر الكمون الظاهري

نحن نعني هنا أن كلا من **الانسحاب النشط** المحتج الذي يعقبه **إندفاع تال** - ليس بالضرورة بهذا التتابع - كلا من هذا وذاك يمثلان طور البسط أيضاً، وهذا غير الانسحاب النمطي المتحوص الذي هو من صفات الشخصية الانطوائية الشيزيدية، Schizoid وهو ما نعنيه هنا،

نتيجة لذلك وعلى نفس القياس وبسبب **التناوب المغلق المتلاحق** يتوقف النمو نتيجة لانغلاق الدائرة دون تصاعد لولي، وهذا النوع من التوقف هو الصفة الأساسية في سائر اضطرابات الشخصية من هذا النوع.

## 3 - الشخصية الشكاثوائية: The suspicious-incorporative

قطبي التناوب في هذه الشخصية هما **الشك والاحتواء**:

يغمر **الشك والتوجس** مثل هذا الشخص إذا ما اضطرب لاستقبال الآخر، كآخر، وقد يكون هذا **الشك والتوجس** مجرد تمهيد لخطوة أخرى من الانسحاب،

وعلى قدر غلبة **الشك** واستمراره دون التسرع بالانسحاب، إزاء طور **الحذر والتخوين والتلف وسوء التأويل**،

أما القطب المقابل لهذا **الشك والتوجس** فهو **الاحتواء**، حيث يبدو مع نشاط هذا القطب يبدو أن هذا الشخص **الشك** نفسه، قد عاد ناجحاً في علاقاته مع آخرين نجحاً ملحوظاً، وهو يقربهم إلى نفسه ويضع فيهم ثقة خاصة ومبالغة، والواقع أنه لا يفعل ذلك إلا بقدر ما استطاع أن يحتوى هؤلاء الأشخاص داخل عالمه الذاتي (أى داخل ذاته نفسها)، **فهم ليسوا شخوصاً بالمعنى الموضوعي بل مجرد موضوعات مُدخلة**،

إن المهم هنا هو وجود التناوب بين هذين القطبين بشكل يجهض النمو بإغلاق دائرته،

وكان كلا من الشك والاحتواء يعبران عن التناوب بين استقبال الآخر منفصلا، أو احتواء الآخر تابعا أو قابعا داخل ذات صاحب هذه الشخصية،

وبألفاظ أخرى، فإن مجرد أن يتمائل الآخر خارج ذات المحتوى له، يصبح تهديدا له، ومن ثم الشك، إلى أن ينجح في احتوائه من جديد ومن ثم الطمأنينة المفرطة وأحيانا الاعتمادية، وهكذا.

قد يحدث هذا التناوب في تلاحق،

وقد يمتد ليمثل دورات، تماما مثل الشخصية الفرحانقباضية.

وقد يتواجدان معا، ولهذا شأن آخر في نوع آخر من الشخصية.

#### **4- الشخصية الخلمانفجارية The Tolerant Explosive**

العلم (بكسر الحاء) من صفات الخليم وليس من صفات الحالم

ربما يكون المثل الشائع الذي يقول "إتق شر الخليم إذا غضب"، هو الذي دفعني لإدراج هذا النوع الذي مازلت مترددا في أحييته، ذلك لأن التناقض هنا لا يكون دوريا أو متبادلا بنفس إيقاع وتباعد الشك والاحتواء، أو الفرغ والانقباض.

النتيجة على أية حال هي توقف النمو، وهذا النوع يختلف عما إذا ما كانت آلية الإيقاف هي الإجهاض النزوى لنبضة النمو مما سيأتى ذكره مع اضطرابات أخرى (الشخصية العاصفية مثلا).

#### **5- الشخصية الوغدنبوغية**

استلهمت هذا الوصف من رواية العطر، حين جمع مؤلفها زوسكند بين الوغدنة والنبوغ، ليس فقط في بطلها القاتل زوسكند، وإنما في عدد من أصحاب الأسماء الشهيرة في التاريخ، إن اجتماع هاتين الصفتين "النبوغ" و "الوغدنة" ليس نادرا، وفي نفس الوقت هو ليس مقبولا منطيقا لأول وهلة.

هل يمارس صاحب هذه الشخصية هاتين السمتين بالتبادل أم أن النبوغ في ذاته قد يكون له جانب وغد وبالعكس؟

هذا جائز وذاك جائز، ولو أتى أرجح أن ما يجعل النابغة يتحمل وغدنته هو افتراض هذا التناوب ولو بدرجة يسيرة.

#### **مسار الشخصية الفرحانقباضية (وأخواتها)**

لو تتبعنا هذه التنويعات المختلفة للشخصية النوابية على مدى سنين طويلة، لأمكن أن نلاحظ تناقص النوبات بمرور الزمن تكرارا، وتناقص حدتها كذلك، وذلك لأن النبض النمو يتناقص بطبيعة النمو،



الإثنيون 07-01-2008

## 129- عن الالتزام بتقديم خبرات من ثقافة مختلفة

## (هذه النشرة والمنتدى، وجدوى المؤتمرات)

منذ بداية هذا الشهر، وأنا في حيرة حقيقية إزاء تقرير ما ينبغي أن أقدمه في هذه النشرة اليومية، ما دامت المسألة قد لقيت هذا الاهتمام الطيب حتى تجاوزت مجرد أن أضع أفكارى وآرائى المحبوسة في حاسوى أو من أوراقى، أمام من يهمله الأمر، قبل أن أرحل.

التساؤل الذى ألح ويلج علىّ هو تحديد من هؤلاء "الذين يهتمهم الأمر"، بل إن سؤالاً أصعب يقفز ليتقدم يقول: ما هو هذا الأمر؟ وقد سهل علىّ الإجابة الابن جمال ترك بالعشر كلمات التى لخص فيها ما انتهى إليه وجودى في هذه النشرة، والى أشرت إليها من قبل في **يومية أول يناير 2008 link** (يوم بداية المنتدى) ولا أجد حرجاً في تكرارها، الأمر هو **"...قراءته اليومية للنص البشرى في سوائه واضطرابه من منظور تطورى"**

ثم إنى فوجئت أيضاً بخطابه إلى الزملاء، وهو يحدد شروط المشاركة (أو الدخول) إلى هذا المنتدى، وذلك في قوله دعوة المشاركة في المنتدى مفتوحة للجميع، **ولا يشترط فيها إلا أن يكون الإنسان "إنساناً"**

استقبلت هذا الشرط فرحاً في أول الأمر، إذن لا شروط، ولا اقتصار على تخصص بذاته، ولا مقابل، لكننى بعد أن أعدت قراءة الشرط الذى كتبه **"أن يكون الإنسان إنساناً"** وقد سوده بالبنط الأسود، توقفت طويلاً أمام هذا الشرط خشية أن أعجز شخصياً أن أحدد الحد الأدنى الذى يسمح لى أن أشرف بهذه الصفة **"أن أكون إنساناً"**،

الأمر ليس مجازاً، إن المتلفت حوله ليرى ما مجرى في العالم، من قتل، وإبادة، وإجرام، واستعلاء، وتطهير عرقى، وكذب، مقارنة بسلوك الحيوانات **"المتحضرة"** التى استطاعت أن تصارع كل ظروف التاريخ لتبقى بعد أن انقرض 999 % من أنواع الأحياء جميعاً عبر التاريخ ولم يبق إلا هذا الواحد في الألف الذى لا بد أن النوع الانسانى هو أحد أفرادها، ومع ذلك، فأنا

أشك الآن في موقع هذا النوع الإنساني على متدرج الانقراض القادم، وأعتقد - مع أن لن أتنازل عن تفاؤل أبداً - أن نوعنا يقع في مقدمة الأحياء الحالية (من الواحد في الألف) الباقية، المعرضة للانقراض أسرع من غيرها.

### المهم

إذا كان علينا أن نساهم في الحفاظ على أمل بقاء نوعنا، أو على الأقل زحزحته بعيداً نسبياً عن مصير الانقراض السريع، فلا يكفي أن ننويه إلى الاقلال من المخاطر المحيطة بنا، أو تجنب المصائب التي نفعها بنوعنا، وإنما علينا أن نسارع بالإسهام الإيجابي **بالرؤية، والإضافة، والابداع والتخطيط والتفعيل** لانقاذ هذا النوع الجيد من الأحياء المسمى **"الإنسان"**.

لكي يتحقق بعض ذلك - إن شاء الله - على كل واحد أن يبدأ من حيث هو، لا ليؤكد اختلافه وتمييزه، ولكن لأن هذا هو الممكن والطبيعي، وأن يعتبر أن أبة إضافة حقيقية يحققها لصالح ناسه، هي ليست إيجابيه بالمعنى الذي أعنيه، إلا إذا كانت هي هي لصالح كل الناس، بما في ذلك خصومه،

وإذا كان هذا الافتراض يبدو صعباً لأول وهلة، فلنتذكر :

**أولاً:** أن الأنواع الأخرى التي يفترض أنها أدنى، قد حققت هذا التكامل بين نوعها، والأنواع الأخرى، بشكل ما، وإلا لما بقيت ضمن الواحد في الألف التي ظلت أحياء حتى الآن؛

**ثانياً:** أن الفرصة الرائعة التي أتاحتها شبكة التواصل العالمية هكذا بين كل البشر (تقريباً) أمكنها تجاوز السلطات الحاكمة والمؤسسات الجائئة، مما يجعل إنقاذ البشر فرض عين على الجميع وليس مهمة السلطات فحسب.

### مقدمة كتاب ما

انطلاقاً من هذه النقطة الأخيرة، ومع الوضع في الاعتبار ضرورة البدء في ترجيح الجرعة الطبنفسية والنفسية عموماً في هذه اليومية (برغم عدم تخصصها) رحت أعيد ترتيب أوراقى وأفكارى للانتقاء من بينها ما يصلح للوفاء بما تصورته أن له بعض الأولوية، ولو مرحلياً

أثناء تدريسي في قصر العيني على حالة ليست نموذجية، ومع حيرتنا في وضع تشخيص مناسب (وهو أمر ثانوى بالنسبة لنوع ما أقدمه لطلبتى، بمعنى أن التشخيص يأتي في المقام الرابع أو الخامس وأحياناً الأخير في الأهمية أثناء رسم بورتريه للحالة يسمى "مياغة الحالة")، أقول مع حيرتنا في تشخيص تلك الحالة ذكر لى أحد طلبتي -زملائى- ما سبق أن أشرت إليه عن كتابتى وصف **لستة ذهانات غير نموذجية**، واختار مقدم الحالة أحدها ليكون تشخيصاً فارقياً Differential Diagnosis، ثم أنه طلب منى في لقاء تال أن أحضر له ما كتبته عن هذه الذهانات الست، فبحثت عنها، وكنت أحسب أنها إحدى افتتاحياتى في المجلة المصرية للطب النفسى، حين كنت

رئيس تحرير مشارك فيها، لكن سكرتاريتي لم تجدها، وبدلاً من ذلك أحضرت لي مسودة كتاب لي بأكمله سجلت فيه هذه الذنانات، باسم "رؤية (عربية) مصرية في مسألة تصنيف وتشخيص الأمراض النفسية من منطلق تركيبي- غائي (1992)، وبداخله هذه الذنانات الستة، وإذا بي أفاجأ في أول صفحة بعد العنوان بأني أهديته إلى:

"إلى زملاء المهنة الذين لم تتح لي فرصة أن أتشرف بالحوار معهم أو التدريس لهم مباشرة .

أهدى هذه الملاحظات الإكلينيكية، والفروض العاملة، لعل بعضها يتحقق على يديهم، ولعل الآخر ينفى بفضلهم".

أما كلمة الكتاب فكانت هكذا:

"سوف يكون حساب التاريخ-والحق تعالي-عسرا عسرا لو تنازلنا عن حقنا في أن نرى ونرصد ونفكر ونراجع، مخترقين الوصاية والاستعلاء والإنكار والمناهج المكبلة الخامة.

ثم إنى أخطت بدعاء قلت فيه:

اللهم إنا نعوذ بك أن نشتهل أو نُطحن، من داخل أو من خارج.

اللهم واجعل عملنا خالصاً للمعرفة الحقيقية،

وسامح المطّفين من الفرجة، الذين إذا اكتالوا علينا يستوفون، وإذا كالونا أو وزنونا يجسرون.

اللهم لا تحرمنا فضلهم، ولا توقفنا عندهم، وألهمنا كدح السعى إلى الحق، إليك، لا إليهم.

اللهم لا تجعل كل همنا أن يقولوا لنا "برافو".

ولا تكَلِّنا إلى أنفسنا متصوّرين أننا أحسن منهم بمجرد حسن النية أو تعصب المستضعفين.

وامنحنا القدرة أن نضيف إليهم ما نعرف، بكل ما نستطيع،

... وهو ليس قليلاً ما دمنا نمعن النظر، ونحاول الفهم، ونبادر بالتسجيل، ولا نخشى النشر."

يا خير!!

إذن، فأنا أعرف لمن أوجّه الخطاب منذ 16 عاماً (أو ربما منذ خمسين عاماً) أعرف من يهمه الأمر، وأعرف ما ينبغي فعله، فلماذا لم تبين ذلك بهذا الوضوح إلا الآن؟

ولكن كيف يصل خطابي إلى هذا الذي تحدّد هكذا فعلاً؟

حتى لو نشرت خبرتي الإكلينيكية والتنظيرية هذه في "كتاب" فمن الذي يقرأه بعد ما تبينت واقع وحدود نشر كتابي الأم "دراسة في علم السيكيوباتولوجي" والذي أشرت إلى انتشاره ومآله في يومية سابقة؟ خلال عشرين عاماً منذ نشره 1979

الأكثر مضاعفة لصعوبة نشر الفكر الجديد، أو الفكر الآخر، أو الفكر المخالف، هو أنني أمتنعت عن المشاركة في كل الامتحانات الأكاديمية، وأغلب المؤتمرات العلمية،

فما العمل؟

ثم تطورت الأمور، وظهر ما يسمى المدونات والمواقع الخاصة، وعرفت طريق أن يكون لي موقع متواضع، وفرحت فرحا يعلمه الله بهذا الجهد الهائل الذي يقوم به هذا الابن الكريم د. جمال ترك في تونس إلى العالم، ورحت أقارن مرغما بين محدودية إمكان توصيل كلمتي عبر التدريس والامتحانات، وعبر المجلات والمؤتمرات، وبين هذه الفرصة الرحبة التي وجدتها أمامي واعدة، وفي نفس الوقت متحديّة.

لبيان هذا الفرق الحقيقي قدرت أن أبدأ بإعادة نشر بعد ما سجلت من مواقف أثناء وبعد (وقبل حضوري) بعض المؤتمرات على الوجه التالي:

### المؤتمرات وأنا!!

مؤخرا (خلال الشهرين الماضيين)، جاءني ثلاث دعوات للمشاركة في مؤتمرات علمية، كالتالي:

**الأولى:** من البحرين للمشاركة في مؤتمر عقد في أواخر نوفمبر الماضي 2007

**الثانية:** من قسم الطب النفسي قصر العيني سوف يعقد بتاريخ 7 فبراير 2008

**الثالثة:** من مستشفى عرفان باجادو بالسعودية ستعقد بتاريخ 5 ، 6 مارس 2008

### الحديث عن الدعوة الأولى:

فقد وصلتني رسالة كريمة ، ودعوة صادقة، وبتقة أشرف بها للمشاركة في هذا المؤتمر حيث وضعوني حيث اعتقدوا أنني أستأهل، وقد حمدت لهم كل ذلك ووعدت بإلقاء كلمة عن "الأمراض النفسية بين الواحديّة والتجزئ التصنيفى Link Unitary" وحين حالت الظروف الخاصة دون سفرى أرسلت لهم أعتذر، واعدًا أن أجعل الورقة (المداخلة) التي كنت سألقياها في المؤتمر متاحة في موقعى لمن يههم الأمر، مع شرح توضيحي مصاحب لعرض الشرائح بصوتى، كما أعلنتهم أنني على استعداد لتلقى المناقشات حولها وكذا، وكيت. إلا أنهم -ربما لفرط إنشغالهم بالإعداد للمؤتمر- لم يردوا علىّ بالموافقة (ولا بالاستلام!)، وتركوني لأحوالى الخاصة التي حالت دون مشاركتى... إلخ.

وحين وجدت - وأنا أقلب في هذا الكتاب الذى عثرت عليه مؤخرا- أنني كنت مشاركا في مؤتمر سابق في البحرين عقد في 28-30 أكتوبر سنة 1991، حضرتني نفس المشاعر المتحفظة على ما جرى، وسجلتها شعراً ساخرا (أنظر بعد).

رحت من خلال هذه الخبرات السابقة والحالية، وبعد ظهور الموقع، ثم هذه النشرة التي تكتب يومياً منذ أكثر من 128 يوماً، ثم المنتدى رحبت أبحث عن زملائي وأساتذتي وطلبتى الذين يحضرون هذه المؤتمرات ليسمعوني خلال 30 دقيقة كل بضعة سنين، ويناقشون دقيقة أو اثنتين بعد كل محاضرة، ونتحاضن ونأكل بقية الوقت، رحبت أبحث عنهم، وأعاتبهم، وأدعوهم الجمعة تلو الجمعة، وكل صباح، فلم يستجيبوا لى ، حتى أولئك الذين دعوني إلى البحرين مشكورين مؤخرأ ، لم يبلغنى أنهم تابعوا حرفاً مما أكتب طبعاً معهم أعمارهم، ولهم كل الحق فيما يفعلون

لكن أنا ، وكلمتي، ومن يهمله الأمر؟

ماذا أفعل؟

فقررت أن أخص بعض هذه اليومية لمناقشة موقفى هذا من المؤتمرات، ومن ثم المقارنة! هكذا:

مقدمة : عن المؤتمرات والنظام العالمى الجديد ومسئولية المعرفة

ابتداءً، لا أستطيع أن أنكر فضل المؤتمرات على شخصى، وتكفى الإشارة إلى تكريم فكرى (الذى أسموه مشكورين "مدرسة الرخاوى .. الخ") وذلك فى المؤتمر العالمى الأخير الذى عقد فى القاهرة ، وذلك بفضل أ.د. أحمد عكاشة، والابنة د. رضوى سعيد عبد العظيم ومنظمى المؤتمر.

ومع ذلك -وقبل ذلك- فقد كتبت سنة 1992 ما يلى :

نعم لى أصدقاء من الزملاء بعض الوقت، ولى طلبة، وأحضر مؤتمرات علمية، وأخاطب الناس، وأبتسم، وأرطن باللغة الإنجليزية، وأظهر فى وسائل الإعلام قائلًا: "...فى الواقع، وفى الحقيقة"، وقد ارتسمت صورتى أمام عيني فى هذا المؤتمر الأخير (فى البحرين) بنفس الملامح التي كتبتها لابنى شعراً منذ عشر سنوات فى قصيدة الحاجة والقربان، تلك الملامح التي أقدم نفسى بها حتى يطمئن زملائي وطلبتى أننى مازلت محتفظاً ببصيرة كافية فيما أفعل للأسف.

قلت لابنى منذ عشر سنوات:

هل تسمعنى ولدى؟

هل تعرفنى من خلف الأقنعة السبعة:

وأنا أتكلم مثل السادة،

وأنا أمشى بينهموا كالعادة؟

وأنا أدهش وكأنى لا أعلم؟

وأنا أفتى وكأنى أعلم؟

وأنا أضحك وكأنى أفرخ؟

وأنا أحسب وكأنى أجمع؟

وأنا أرنو وكأنى أسمع؟

أخطو مغلولاً فوق الأرض القبر الأمل الواقع

تنغرس بقلبي أشواكه،... أدمى،  
أتمرغ بترابه  
لا يسكت نزفي  
لا أهرب.

\*\*\*\*

قبل ذلك بعشر سنوات، كنت قد أدركت ما على أن أفعله حتى  
يُسمع لى في المؤتمرات وغير المؤتمرات، ربما أستطيع من خلال ذلك، أو  
بعد ذلك، أو برغم ذلك، أن أوصل كلمتي "الأخرى"، كتبت:

.....  
...حتى لا تخدعني كلمات الشعر،  
أو يضحك مني من جمعوا أحجار القصر القبر،  
أو يسحق عظمي وقع الأقدام المتسابقة العجلى،  
أقسمت بليل ألا أضعف...  
.. ألا أنسى ..

.....  
وأخذت العهد،  
غاصت قدمائ بطين الأرض  
وامتدت عنقي فوق سحاب الغد .

.....  
هدبت أظافر جسعي  
ولبست الثوب الأسمر  
ولصقت اللافطة الفخمة

تلك هي الخلفية الثائرة التي كانت، و التي أحاول  
ترويضها طول الوقت، حتى بدا لى أنني نجحت نسبيا ليصل الأمر  
أن أقول لاحقاً:

إن فوائد مثل تلك المؤتمرات - لشخصي- كثيرة بلا حصر:

- (1) فأنا أضطر فيها أن أتصنع التواضع
- (2) وأن أحتمل الاختلاف، وأحيانا الاستهانة
- (3) وأن ألتقى بمن لا أعرف
- (4) وقد أراجع ما أعرف،
- (5) وقد أتراجع (قليلا قليلا) وأنا أتخاور على موائد  
الغداء والعشاء، لا في قاعات المؤتمر (فلا حوار في القاعات إذ  
يستحيل أن يقوم حوار بين ثمانين مستمعا حول سبعة أبحاث في خمس  
دقائق أو ربع ساعة!!).

أما فوائدها على البلد (بلدنا مثلا) فهي أيضا كثيرة:

- (1) سياحة
- (2) وتعريف
- (3) وإعلان
- (4) وتسويق





ثم أعود فأقول إن كل هذا، وبمنتهى الصدق (بقدر ما أدرى)، لا ينقص من ضرورة عقد مثل هذه المؤتمرات بمنتهى الإقدام والخماس، وبغاية الحذر واليقظة، شريطة أن نعود دائماً بعد كل مؤتمر، وحول كل مؤتمر إلى مواجهة التحديات الحقيقية، فنقيس مسيرتنا بمقاييس الإضافة المعرفية الحقيقية، ولا نكتفى بتحصيل الحاصل، أو تدشين الواصل.. إلخ.

وإلا فسينتهى كل مؤتمر بأن "يركب الخليفة وينفض المولد"، ليغيب الوعي وتبهت الموضوعية.

والشكر واجب من قبل ومن بعد لكل من يخوض هذا الواقع ليخرج منه أقوى وأقدر.

### المقتطف الثاني:

المؤتمر عقد في البحرين 28-30 أكتوبر، سنة 1991.

(تذكرته بمناسبة الدعوة الأخيرة نوفمبر 2007)

في هذا المؤتمر أهاجتني بشكل صارخ كل تلك الأرقام الخاوية، والإحصاء اليراق بلا إضافة،

كما أثارني ماتصورته استكبار الإنجليز خاصة (بترول وانا سيدك)

وقد عشت في هذا المؤتمر آثار سحق العراق والعرب والعالم الثاني والثالث،

وأحسست أنه لم يبق أمامي إلا أن أسلم عقلي لهؤلاء البيض الحمر، وكنت قبل ذلك دائماً أفخر في بداية حديثي في كل مؤتمر أنني لا أفكر إلا بالعربية، وأنتى لا أجيد الإنجليزية، لكن هذه المرة ملأني خزي عظيم: أى عربية أنكلم بها عربية صدام أم عربية البشر أم النذير. أم عربية ابن رشد وابن سينا أم عربية القرآن الكريم؟

وشعرت - رغم سلامة البحرين ورقة أهلها- أنني واقف على أطلال عقولنا وليس فقط أطلال تاريخنا ولغتنا وديننا.

وفي وقفتي تلك ما بين أطلال الديار القريبة، وأطلال العقول المنتهكة والمستسلمة، قلت شعرا عموديا لم أقله منذ كنت طالبا، قلت:

قفا نَبِكْ "مجرين" التَّقِينَا بِهَا مَعَا  
وكأسيّ مثقوبٍ به الوغَى ضِيَعَا  
شرائح أرقام تدقّ نَعَوْشَنَا  
وَنَحَاسُ أسواقِ العيد تَرَبَّعَا  
و"مِسْتَر تِشْرَمَنْ" هَاتِيهَا ثُمَّ هَاتِيهَا  
وإحصاء أشلاءٍ بأطلال أُرْبَعَا  
إلخ.....

### المقتطف الثالث:

(عقب المؤتمر الإقليمي للجمعية العالمية للطب النفسي، والجمعية المصرية للطب النفسي 16-18 يناير 1992. القاهرة) قلت فيه وعنه ما يلي:

**أولاً:** كان مؤتمرا ناجحا بالمعنى السابق للنجاح، أدى الواجب، وقام باللازم، وأكرم الضيوف، وشرف البلد.

**ثانياً:** تأكدت من خلاله، وبعد كارثة الخليج، ونازلة الاتحاد السوفيتي أن المخاطر التي كانت تصلني بعد كل مؤتمر قد زادت أضعافاً مضاعفة، ذلك أن شعورنا بالفشل والوحدة (و فقد السند البديل) سوف يضاعف من شعورنا بالدونية، ومن ثم بالتسليم ليس فقط لبعض المعلومات المستوردة، وإنما أساساً لطريقة التفكير التي تفرض علينا دون أن ندري (وربما دون أن يدروا هم أيضاً)، فالنظام العالمي الجديد ليس إلا احتكاراً لكل شيء بما في ذلك طريقة التفكير، وربما العبادة، وبالمرّة جنة الخلد، من يدري؟

**ثالثاً:** حين قدمت البحث الخاص بـ "مستويات التكامل النفسي من منظور إسلامي" وأعلنت من خلاله أن نمّة طرقاً أخرى للتفكير، وأن لغتنا وإيماننا (وهو ما استوحيتته من إيمان إسلامي) يتحان لنا أن نرى تكامل الإنسان النفسي على مستويات متصاعدة وليس على مستوى سلوكي واحد، وهذا يتطلب الرؤية والملاحظة والبحث بأكثر من منهج قبل وبعد الأساليب الشائعة في علمهم... إلخ، حين قدمت هذه الورقة استجاب لها الضيوف باستطلاع وأمانة أكثر مما رحب بها، بما ليست هي، الزملاء الأقرب من أهل لغتي وديني. فقد تصور كثير منا أنها ورقة تمت إلى ما يسمى الطب النفسي الإسلامي، وما شابه، لأنني ضد ذلك، هي كانت ورقة تعلن كيف يسمح لنا ديننا وتتيح لنا لغتنا أن نتناول المسائل المعرفية من منطلق آخر، ليس بديلاً بالضرورة، وإنما قد يكون مكملاً ومناسباً، ليس لنا فحسب، وإنما لهم أيضاً.

**رابعاً:** حين حضرت الجلسة قبل الختامية عن "كيف تكتب ورقة علمية" How to write a scientific paper

أصبحت بإحباط شديد، وقد أخت فيما بعد لصاحب الورقة، وغن على المائدة بأنني في انتظار ورقة أخرى تقول لنا "كيف يقيمون ورقة علمية" How to assess a scientific paper ولا أدري إن كان فهم ما أعنى أم لا.

أما عن هذه الجلسة تحديداً فقد عقب عليها بما يلي:

1- شعرت أن عنوان الجلسة يتجاوز ما ينبغي أن يتدارس في مؤتمر عالمي بهذا الحجم، فهي أشبه بورقة مدرسية يمكن أن تدرس للجنة الثانية لطلبة علم النفس في كلية الآداب.

2- شعرت أن أغلب المشاركين (وليس كلهم) قد حددوا نوعاً غالباً من الكتابة العلمية دون أنواع أخرى أهم وأولى،

وأكثر تناسبا مع فرعنا من ناحية، ومع ظروفنا الخاصة بتواضع مرحلة نمونا من ناحية أخرى.

3- أيقنت أن استقبال أغلبنا - والأصغر خاصة- لهذه المسألة، هو أن النشر عندهم بمقاييسهم قد أصبح هدفا في ذاته. حتى يصدق القول الذي يشيعونه "إما أن تنشر أو تهلك" Publish or Perish وهو قول صحيح جزئيا، وإن خالف الحقيقة التاريخية موضوعيا.

4- شعرت أن الذين تحدثوا في هذه الجلسة: إما أنهم لا يواكبون الثورة المعرفية الأعمق والأحدث، والمتأثرة بثورة التوصل، والعلم المعرفي وغيره، إما أنهم يواكبون كل ذلك لكنهم يحدثوننا على قدر عقولنا.

5- في تمسكهم بضرورة التحدث **بلغة واحدة**، افتقدت المسألة الأسبق، وهي ضرورة التوجه **لهدف واحد مشترك**، وشعرت بالإهانة التي أصبح لديهم ما يبررها بعد مصيبة الخليج وانهايار السوفيت.

6- من كل ذلك خفت أكثر فأكثر مما يجرى حثيثا لإتمام مهمة تشكيل عقولنا بالصورة التي يرتضونها، حتى يصبح رضاهم - هكذا- بدليل نشر بعض أرقامنا في مجلاتهم التي هي، يصبح ذلك هو غاية المراد من رب العباد، وممول الموائد والأسفار بين البلاد

وبعد (2008)

ألستم معي أن علينا، والأمر كذلك، أن ننتهزها فرصة (اليومية والمنتدى والشبكة... الخ) ونتحرك أشجع، ونحرم أكثر، ونصبر أحمل، ونخطئ أيضا !؟

الخلاصة

أرجو أن أكون بهذه المقدمة الجديدة/القديمية، قد حققت بعض الأهداف التي من أجلها كتبتها، ومنها:

أولاً: أن أتعرف عن "من يههم الأمر"، وأنا أوصل هذه اليومية، وأشارك في هذا المنتدى

ثانياً: أن أؤكد حرصى على مزيد من التعرف على **المخاطبين الجدد باضطراد**.

ثالثاً: أن أكون قد أوضحت كيف أننا لسنا حريصين على أن نؤكد اختلافنا، ولكننا ملتزمين بأن نقدم شيئاً مختلفاً، إن كان عندنا ما هو كذلك.

رابعاً: أن المؤتمرات - مهما كانت فائدتها- قد أصبحت أعجز من أن تفي بحوار متصل

خامساً: أن المسألة ليست طرح بديل .. "طب نفسى شرقى" أو "طب نفسى عربى"، أو "طب نفسى إسلامى" وإنما هي التزام بتقديم خبرات عملية، ورؤى علمية، وفروض عاملة، نابعة من ثقافة مختلفة، بمنهج متنوعة متكاملة ما أمكن ذلك.

سادساً: أن هذا الملتقى، وهذه النشرة "الإنسان والتطور" ليست قاصرة على التخصصات النفسية، وإنما هي خاصة بقراءة النص البشري، كما التقطها وأجزها الابن جمال.

- الانقراض جينات سيئة أم حظ سيء؟، دافيد م. روب، ترجمة: مصطفى ابراهيم فهمي، 1998، المجلس الأعلى للثقافة..

- كنت قد وصفت بالتفصيل ستة أنواع من الذنانات، لم ترد في التفسيحات المتاحة، هي الذهان الانشقاقى، والذهان الكوسى، والذهان التفسخى، والذهان الضلالى الوجدانى الدورى، والذهان النزوى، والذهان القهرى التسلى

Dissociative Psychosis, Regressive Psychosis, Disorganization Psychosis, Affective Periodical) paranoid Psychosis,, Impulsive Psychosis and Obsessive Compulsive Psychosis.

- رؤية (عربية) مصرية لتصنيف وتشخيص الأمراض النفسية من منطلق تركيبي - غائى، يحيى الرخاوى، 1992.

- أنا طبيب نفسى ختم من 1958.

-III World congress of psychiatry

Cairo, September , 10 - 15 , 2005 , Egypt

SY139

Rakhawy School in Psychiatry "35 years of Egyptian Experience in Integrative

Therapy and Training in Cairo University hospital- Kasr El Eini"

INTEGRATIVE PSYCHIATRIC THERAPY CENTERED AROUND GROUP THERAPY WITH SPECIAL CULTURAL CONSIDERATIONS

Yehia T. Rakhawy1

SY139.2

CHILD GROUP PSYCHOTHERAPY: AN EGYPTIAN EXPERIENCE

Suaad M oussal

SY139.3

FOLLOWING THE GHOST OF THE DEAD DRUG

Maha Wafi Mobasher

SY139.4

CASE STUDY IN GROUP PSYCHOTHERAPY: A PROCESS ORIENTED VIEW AND MODEL OF RESEARCH.

Noha Sabri , Rakhawy Yehia1

SY139.5

MILIEU THERAPY: AS A PART AND PARCEL OF AN INTEGRATIVE THERAPY PLA

*Aref Khweiled1*

SY139.6

INTEGRATING FAMILY AND COUPLE THERAPY IN PSYCHIATRIC MANAGEMENT

*Mona Rakhawy1, Noha Sabri*

SY139.7

PSYCHOTHERAPY AND THE TRAINING OF THE PSYCHIATRIST

*Azza El Bakry1*

SY139.8

RAKHAWY SCHOOL: REFLECTIONS IN CREATIVE ARTS THERAPIES (DANCE/MOVEMENT THERAPY IN GROUP EXPERIENCE/ PSYCHODRAMA "ARTS IN PERFORMANCE")

*Rania Mamdooh . Radwa S. Abdelazim 1 .Cairo University Hospital Egypt*

- البيت الزوجي والثعبان، د. يحيى الرخاوي، 1983

- ديوان سر اللعبة، د. يحيى الرخاوي، 1978

Forum Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

Forum Subscription

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

Mail To Forum Participate

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

FORUM INVITATION

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

## 130- الممارسة الإكلينيكية : بحث علمي مستمر

"أصل هذه المداخلة (1980) كان بعنوان "الباحث أداة البحث وعقله في مجال الطفولة والجنون" link، إلا أنني قمت باختصارها وتحديثها، والتركيز على الممارسة الإكلينيكية بصفة عامة، حيث أنني اكتشفت أن أغلب ما أقدمه في هذه اليومية بالذات وخاصة في ما هو حالات وأحوال أو عينات من العلاج الجمعي لابد أن يتضح أبعاد منهجه وهو ما ورد في هذه المداخلة كحد أدنى للاتفاق على اللغة التي أحاول أن أوصل بها خرتي"، وقد استبعدت منها ما يتعلق بالطفولة تفصيلا، اللهم إلا كمدخل لاستيعاب السيكوپاثولوجي (الإمراضية).

إذا كانت الكلمة أمانة - وهي لا شك كذلك - فكلمة العالم هي أخطر الكلمات جميعا، وأثقلها مسئولية وأبعدها أثرا، وإذا كانت هذه المسئولية يمكن أن تخف نسبيا في مجالات العلم التي تحكمها الأدوات المضبوطة والمقاييس المقتنة، فإنها ليست كذلك تماما في العلوم الإنسانية التي يحكمها - أو ينبغي أن يحكمها في المقام الأول - موقف العالم ذاته ودرجة نضجه، ومدى وعيه، وعمق بصيرته، ومدى كفاءته شخصيا كأداة موضوعية أساسية في انتقائه و ملاحظته واستنتاجاته وتفسيراته وتنظيره معا.

يزداد يوما بعد يوم، مع زيادة أمانة العلماء وصدق مراجعتهم لنتائجهم (الفاشلة خاصة) وتتبع تعميماتهم، يزداد اليقين بأن الموضوعية في شكلها المثالي المطلق كانت حلما لم يتحقق أبدا، ولعل الفضل في هذا الاعتراف الأمين لا يرجع في المقام الأول (ربما للأسف) لعلماء العلوم الإنسانية كما كان منتظرا، بل لعلماء الفيزياء مثل بلانك وبوهر (كما يقول فان كام - 1958)، ربما بفضل نمو مفاهيم الفيزياء الكمية الحديثة،

على أن فريقا من علماء الإنسانيات ظلوا - رغم خوف زملائهم واختبائهم في الجزئيات والمنهجية - متمسكين بأولوية الإنسان كأداة أساسية وجوهرية في البحث العلمي في مجالهم، ذلك الفريق الذي نجده يندرج الآن تحت ما يعرف بالباحثين الفنومولوجيين (حيث دراسة الخبرة الأولية سابقة وأساسية



نشرها وعرضها على الآخرين، لا من حيث دقة المنهج أو حسن التسجيل فقد راعينا ذلك تماما، ولكن في قدرتها على وصف حقيقة ما لاحظنا. وفي غمرة هذه المسألة المتزايدة أتيت لي فرصة معايشة طفلين حديثي الولادة يعيشان في بيئة واحدة رغم اختلاف أسرتهما، وقمت بتسجيل هادي، خطوات نموها منذ البداية، وخرجت في النهاية أشد حيرة إزاء طبيعة النظريات النموية والسيكوباتولوجية المتاحة.

وكان لزاما على أن أراجع الأسانيد التي بنى عليها أصحاب هذه النظريات المطروحة نظرياتهم حتى أجروا أن أوصل تدريسيها في العام التالي، فضلا عن الاستفادة من تطبيقاتها في الممارسة اليومية، ولم تقنعني الأسانيد المتاحة إلا أني ظلت مقتنعا بأن هذه النظريات - بدرجات متفاوتة - تحمل لنا جزءا هاما لاغنى عنه من الحقيقة الموضوعية (بالمعنى الأعمق للكلمة). ويقفز سؤال منطقي من واقع هذا التسلسل يقول: "هل يمكن أن تكون نظريات النمو، ومن ثم نظريات السيكوباتولوجي صادقة ومتماسكة ومفيدة وتطبيقية... رغم ضعف الأسانيد التي بنيت عليها؟" ثم سؤال تال: وهل يصح القول التصالحي بأن "الحقيقة العلمية موضوعية في حين النظرية ذاتية؟" وكأن الحقيقة العلمية ليست جزءا لا يتجزأ من النظرية؟ وكأن الفصل التبعي بينهما هو فصل منهجي ليس إلا، أما في واقع الممارسة فالتداخل عميق وكامل ومن البداية للنهاية بحيث يستحيل أن نهرب من المواجهة الحتمية لإعادة النظر في التداخل بين الذاتية والموضوعية في كل خطوات البحث من أول الانتقاء حتى التنظير مارين بكل خطوات الملاحظة المضبوطة.

ووسط هذا الموقف المتصاعد العنف يبدو لزاما لتحمل التناقض الظاهري سعيًا للحقيقة ألا نستسهل رفض هذه النظريات رفض عابدي أصنام الأرقام والمنهجية، وألا نستسهل - في نفس الوقت - الإيمان بها إيمان الخائف من إعادة النظر فيها وفي نفسه. إذن... فإنه يبدو لزاما على العالم - إذا ماصدق في المراجعة أن يستمر زمنا مطروحا بين نظرية متماسكة بلاسند مقنع، وبين ملاحظات ثابتة لارابط محوري بينهما، فإذا التقط أنفاسه قليلا وسمح لنفسه أن ينظر في التاريخ فسيجد أن اختبار الزمن قد حافظ على النظريات المتكاملة (النابعة من التحليل النفسي مثلا من أول فرويد حتى إريك إيرن، مارين بميلاق كلاين وإريك إريكسون) في حين نحى جانبا، بدرجة ما، الملاحظات العلمية (هكذا تسمى) الجزئية والطفوية والكمية والعينانية حتى لو تجمعت تعسفا في نظرية ما فهل معنى ذلك أن ماهو ذاتي (حسب التعريف الشائع) أبقى وأكثر نفعاً وتماسكاً؟ وأن ما هو موضوعي (بالمقياس الشائع أيضا) أضعف وأكثر تنافرا فيما بين اجزائه؟؟ لا بد أن تكون الإجابة بالنفي، ولا بد أن هذا النفي سيجعلنا نعيد النظر في تسمية ماهو ذاتي على أنه ذاتي، وماهو موضوعي على أنه موضوعي. والذي أطرحه في هذا البحث هو سلسلة من الافتراضات والتفسيرات تقول:

1- إن أهم مصدر هذه النظريات المتماسكة هو ذات الباحث حالة كونها جزءاً لا يتجزأ من الظاهرة، سواء اعترف الباحث بذلك أم أنكره، سواء أقدم عليه بإرادته الواعية أم كان نتاجاً طبيعياً لنوع خاص من الممارسة البحثية.

2- إن درجة صدق أى نظرية هذا مصدرها تتناسب تناسباً طردياً مع درجة نضج الباحث ذاته التى تتناسب بدورها مع درجة وجوده الموضوعى (وليس مجرد موضوعية حكمه ومنهجه)، وهذا الوجود الموضوعى مرتبط مباشرة بمدى وعيه وقدرة ترابطه.

3- إن مثل هذا الباحث، إذ هو أداة البحث الموضوعية ذاتها، لا يقوم ببحثه من داخل ذاته، وإنما يستعمل ذاته كحقل لاستيعاب الملاحظات وزرعها ونموها وإثمارها، فلا بد له من مصدر ثرى حافل بالملاحظات الضرورية، ولا بد لوجوده من تنمية تسمح بتدريب قدرته على التقاط هذه الملاحظات وإعادة إفرازها في نظرية تبلغ صحتها ما بلغت قدرته على استيعاب هاتين الخطوتين المتداخلتين، وهذا الاستيعاب وإعادة الإفراز ليسا مرادفين للمعنى الضيق للملاحظة أو الاستبطان، لأن الباحث يستعمل ذاته بكليتها، وليس بجوانبها الظاهرة وفكرها التأملى المنشق فحسب.

وبإعادة النظر في أغلب نظريات السيكيوباتولوجى فإننا سنكتشف أن الخبرة "الذاتية-الموضوعية" معا بما تشمل جزئياً من تقمص إسقاطى تلعب دوراً هاماً وأساسياً في التنظير وترتيب المعلومات وتقسيم مراحل النمو، فمن يراجع نظرية فرويد وماحوت من تفاصيل عن السنوات الأولى من العمر، أو من يراجع مادة ميلانى كلاين عن العلاقة بالموضوع، أو كتابات إريك إريكسون عن الطفل والمجتمع وعصور الإنسان الثمانية لابد أن يثار ليعترف في شجاعة بهذا الاحتمال الأرجح القائل "إن الاستنتاجات التصنيفية المحددة التى صيغت في نظريات واضحة مسلسلة لا يمكن أن تكون مجرد تجميع ملاحظات بقدر ما هى خبرة ذاتية تقترب أو تبتعد.. عن الحقيقة الموضوعية بقدر موقف "وجود" صاحبها ذات نفسه من هذه الحقيقة"، على أن هذا القول لايعنى، بداهة، طرح الملاحظات جانباً وإنما يعنى دراسة دورها الحقيقى في إثارة هذا الموقف "الذاتى-الموضوعى" معاً، أى إن ما بالخارج يثير بالداخل ليسقط ثانياً إلى الخارج ثم ينظم المنظر هذا وذاك فيما يسجله في شكل نظرية متماسكة للنمو وخاصة فيما يتعلق بعلم السيكيوباتولوجى.

وقد أوضحت بعض الدراسات اللاحقة ما يوجد من علاقة بين المنظرين ونظرياتهم فيما يتعلق بظروف نشأتهم ومراحل تطورهم الذاتية (راجع على سبيل المثال دراسة إريك فروم لفرويد) ومثل هذه العلاقة كانت تفسر بعض الفلاسفات ومدى تأثير أصحابها أثناء تنظيرهم لها بنشأتهم وتطورهم الروحى (حسب التعبير الشائع عند مؤرخى الفلاسفة).

في خيرتي الخاصة وأنا أكتب كتابي الأم "دراسة في علم السيكوباتولوجي" امتزجت الذاتية بالممارسة الاكلينيكية بالإبداع الشعري فخرج المتن ابتداءً شعراً صرّفاً "ديوان سر اللعبة" link الأمر الذي لا يمكن معه استبعاد الجانب الشخصي الإبداعي، ثم حين رحلت أكتب شرحاً على المتن بعد التحدى الذي ألقاه في وجهي المرحوم صلاح عبد الصبور (أنظر مقدمة الكتاب link) أثناء مناقشة الديوان في البرنامج الثاني، خرج هذا العمل الضخم مستنداً إلى كل ما جاءته هذه المداخلة.

### معالم الممارسة الإكلينيكية منهجاً للبحث العلمي:

أعني بالممارسة الإكلينيكية العمل التشخيصي والعلاجي والتبعية في مواجهة مسئولة، ولا أعني بها مجرد الفحص وتجميع المعلومات وتصنيفها ورسم نتائج للصورة الاكلينيكية من خلالها، وتشمل هذه الممارسة التعرض الذاتي والمواجهة والمباشرة عبر كل وسائل التوصيل بين الممارس والممارس معه وبالعكس (ولا أقول الفاحص والمفحوص)، ولا تقتصر وسائل التوصيل في هذه الخبرة الطويلة على البعد اللفظي الشائع (رغم أنه أرقى ما وصل إليه الإنسان تطورياً قبل أن يتشوه باللفظنة verbalism)، ولكنه يتعداه إلى التواصل بلا ألفاظ وعبر الألفاظ كذلك، وهذه الإضافة ضرورية في مجال بحوث الأطفال والجنون خاصة، حيث تفشل الألفاظ في تحقيق الدرجة الكافية من التواصل، كما تفشل أحياناً في صياغة الملاحظات في ألفاظ قادرة على الوفاء بالإلمام بأبعاد الظاهرة قيد البحث، وتشمل الوسيلة غير اللفظية في الممارسة الإكلينيكية التعبيرات الحركية ولغة الجسم كما تشمل الحدس الإكلينيكي المباشر في نفس الوقت. وهذه الممارسة الإكلينيكية إنما تتم وتنمو بقدر المواجهة مع المرض، ولكن درجات الوعي بها وبطبيعة أبعادها تختلف من ممارس إلى آخر، كما أن نتائجها تختلف كذلك من النقيض إلى النقيض كما سيرد حالاً.

وأحب أن أشير إلى أن عمق هذه المواجهة تكون مع الذهانيين (واسمحو إلى أن استعمل أحياناً مرادفاً آخر هو "المجانين" لأن لفظ المجنون رغم عموميته وقسوته مازال أكثر تحديداً من كلمة الذهان التي لم يتفق على حدودها بطريقة حاسمة حتى الآن)، وقد سمح التقدم الهائل في استعمال العقاقير المضادة للذهان أن يتجرأ الممارس ويجلس مدداً أطول مع الجنون، وكذلك أن يتجرأ فيتعمق معه في معنى جنونه ولا يكتفى بتسجيل ظاهر أعراضه، وفي مرحلة أخرى وتحت مظلة العقاقير أيضاً-وبقدر ما وهب الممارس من شجاعة ذاتية وموضوعية بحثية يخطو خطوة أعمق في محاولة تقمص الذهان بما يشمل خبرة النكوص البحثي والمعالجي معاً (كما سيرد ذكره)، ويتم ذلك كله في كل من المقابلة الفردية وأثناء التنبع، كما يكون أشمل وأطول في الوسط العلاجي، ويكون أعمق وأكثر تركيزاً وتحديداً في موقف العلاج النفسي الجمعي المكثف المهاجم للدفاعات والهادف إلى إعادة التوافق وإحياء الديالكتيك النموي (راجع مقدمة في العلاج الجمعي للمؤلف link).



(ت) أن يستطيع العودة إلى تنظيمه الأعلى حاملا معه بعضا مما وعاه في رحلته هذه التي زار فيها المريض في بيته البدائى مستعملا هو ذاته أقدم ألواح وجوده.

هذه الخبرة الفاحصة والمعالجة فيها من البحث والخلق ما يدرجها بشكل ما تحت النشاط الفنى وفي نفس الوقت، هي نط جديد من البحث يختلف بطرق كثيرة عن البحث العلمى التقليدى، حيث لغته أقرب إلى لغة الشاعر لأن الباحث ينزع إلى أن يصبح أداة البحث باستعمال كل ذواته في وعى فائق .

### التدريب المستمر بالممارسة الممتدة

تمت هذه الممارسة الإكلينيكية في كل مقابلة إكلينيكية جادة ومسئولة، ولكن الاختلاف بين الفاحصين يكون في درجة الشجاعة في رؤيتها، وأخيرا في مدى قدرة الممارس على صياغتها في ألفاظ، فقد تتم هذه المواجهة آلاف المرات دون أن يصل إلى الوعى أية تفاصيل مما ذكرنا، ولكن بتكرار هذه المواجهة- حتى في درجة متوسطة من الوعى بها- ينمو الحدس الإكلينيكي رويدا رويدا حتى يصبح هو رأس مال الممارس للتشخيص والتصنيف، والممارس للعلاج معا. إذن فالحدس الإكلينيكي ليس ضربا أعشى يعتمد على الفطنة والألمعية الشخصية، ولكنه نتاج طبيعى للممارسة الإكلينيكية السليمة الطويلة والمسئولة

هنا ينبغى أن نقر أن هناك ممارسة إكلينيكية روتينية ونافعة ولكنها لاتنطبق عليها هذه المواصفات مهما طال، إذ لاينبغى أن نتصور أن مجرد مرور السنين مع المرضى الذهانيين خاصة قد يكسب الفاحص هذه القدرة، بل إن العكس تماما كثيرا ما يحدث، ومن خبرتى الشخصية وخبرة إشرافى على من هم أصغر منى طوال عشرين عاما (حاليا خمس وأربعين) نتعرض فيها في اليوم الواحد لعشرات المرضى.. وجدت أن الممارس يمر بأطوار مختلفة، وقد ننقسم في النهاية إلى فريقين: فريق يحمى نفسه أكثر وأكثر بمرور الزمن من رؤية هذا التنافر والتناثر-في نفسه وخارجها يوميا باستعمال مزيد من الدفاعات (الميكانيزمات)، ومزيد من الاتجاه إلى التنظير والتفسير العضوى الآلى الميكانيكى الجزئى البحث، وفريق يغامر تدريجيا باستيعاب مايرى بما يتضمن ذلك من آلام ومخاطر، وليس من حقى أن أفضل أحد الفريقين على الآخر فكل يقوم بدوره، وإنما قد قدمت هذا الاستدراك خوفا من التعميم السطحى، إذ أنه من الطبيعى أن يستعمل أى فاحص أو معالج ماشاء من ميكانيزمات ليستطيع أن يواصل عمله بكفاءة معقولة، ولكى يؤكد أن الفريق الأول (الدفاع ميكانيكى التفكير)، قد يصلح معالجا مسكنا ممتازا، ولكنه لا يصلح باحثا منظرا بالمعنى الذى أقدمه، وهنا أقول إن الممارسة الإكلينيكية المعدة لهذا النوع من الباحثين المنظرين المعالجين لابد أن يكون لها شروطها الخاصة وإشرافها الخاص وتتبعاتها الخاصة وقياساتها المميزة مما سأرجع إلى بعضه بعد قليل.

إن هذه الممارسة الاكلينيكية التي أعنيها ليست هي حساب الاحتمالات من خلال تجميع مظاهر الأعراض في زملة بذاتها، وإن كانت لاستغنى عن تفاصيل هذه الملاحظات والمعلومات في إعادة البناء والتصنيف والتقويم الحالى والمستقبلى.

وهي لاتشمل كذلك التأمّل الذاتى بالمعنى العقلى الانشاقى القديم، وإن كانت تشمل الحضانة الذاتية للملاحظات ثم التأليف الذاتى بين الداخلى والخارج كما في الإبداع الحقيقى.

وهكذا، يمكن أن نؤكد على أهمية الدور الذاتى إذ نقرب من الذات الموضوعية من خلال الممارسة في كل من الملاحظة وإعادة التركيب، كما نؤكد في نفس الوقت على خطورة الدور الذاتى إذا مازادت الدفاعات (الميكانيزمات) فزادت الشخصية من خلال الخوف من المواجهة الأعمق.

### مواصفات -وشرط- الممارس الإكلينيكي (الباحث)

إذا كان لا مفر من الاعتراف بأن الباحث هو أداة البحث في الممارسة الاكلينيكية، فجدير بنا أن نشترط فيه مواصفات معينة مثلما نفعّل مع أية أداة بحث، وأن نتيح له فرصة تنمية ماينبغى أن ينمو، فهو خليق أن نعامله بانتقاء وصيانة بدرجة لاتقل عن جهاز أشعة جيد، أو مقياس نفسى مقنن، وفي الخبرة والممارسة الاكلينيكية يمكن أن نعدد بعض المواصفات اللازمة، ولكن يحشى أن تستقبل هذه المواصفات بمنطق قيمى أو أخلاقى، وكأنها قائمة مدائح يسارع أى إنسان لتصور التحلى بها، إلا أنه ينبغى التأكيد ابتداءً أن مواصفات بذاتها تبدو لازمة لمجال بحث بذاته أو في نوع خاص من الممارسة، ولكنها ليست ضرورة ولا شرطاً مسبقاً في مجالات أخرى، والنظرة العلمية هي التي تحترم الفروق بين الأفراد واختلاف مراحل نموهم، وتحسن الانتقاء المرحلى مع فتح الباب للتنمية أمام من يشاء أن يتعرض لمجالات أصعب وأصعب من البحث والممارسة.

وأورد الآن تحديداً بعض المواصفات الواجب توافرها (أو المأمول توافرها) في الممارس الإكلينيكي إذا ما أردنا الاعتماد على حكمه التلقائى كأداة تسجيل ذات كفاءة مقبولة.

1- أن يكون .. لامبا بالأسس العامة لفرع تخصصه من مصادرها المتاحة، وبصفة متجددة، على أن يكون يقف من اطلاعه موقف القارئ الخلاق، لا المتلقى في استسلام، حتى إذا محاول باستمرار أن يختبر إمكانية تطبيق ما قرأ أو تعلم كان أمامه سبيل للمراجعة، وهكذا يمكن باستمرار التقريب بين ماهو نظرى وماهو عملى، وكذلك بين ماهو مثالى وماهو ممكن، من خلال هذا الموقف الذى يشمل التهديد المستمر بالإحباط، ومن ثم الألم الشخصى، فهو لابد وأن يضع في اعتباره احتمال تغيير ذاتى مستمر.. وقد يغتفأ أحيانا.

3- أن يكون مسائرا للأحداث اليومية، بمعنى أن يكون ملما بما جرى في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من حوله وما صاحبها من تغيرات في الأفراد والجماعات، بادئا بالبلد الذي يعيش فيه مع مريضه، فإذا كان لابد من تأثير وتأثر فلا بد أن يكون في مجال الوعي تحت الضوء ما أمكن، على أن هذه المتابعة اليومية وفي ظل سرعة الاتصالات العالمية لابد وأن تتعدى حدود وطنه ليساير من موقفه الواعي كل التحركات في العالم التي تؤثر ضمنا على نوعية وجوده ووجود مريضه، ولعل هيجل كان يعني هذا البعد حين أشار إلى أن قراءة الصحف اليومية هي الصلاة اليومية لانسان العصر.

4- أن تكون حياته الشخصية على درجة من الاستقرار، ليمعنى الثبات والجمود، ولكن بمعنى الوعي ووضوح المسيرة في حركة هادئة ما أمكن نحو مزيد من الإيجابية والمسئولية، فاتحا باب المراجعة المستمرة والقدرة على تغيير مفاهيمه.

5- أن يكون متابعا لمسيرة الاتجاهات المختلفة في فرعه.

6- أن يكون واعيا للتغيرات التي يمكن أن تطرأ على فكرة وعواطفه بمرور الزمن من خلال ممارسته لمهنته وحياته، ليجعلها تتم قدر الامكان باختيار وإدراك ومسئولية.

7- أن تكون له رؤية للحياة، ورأى في تفاصيل مسيرتها ليتخذ من هذا وذاك موقفا في الوجود... يترجمه إلى فعل يومي، بسيط ما أمكن.

8- أن يكون مستعدا للتغيير من خلال الاحتكاك المستمر، وخاصة من رؤية مرضاه وتفحصهم، حتى تصبح ممارسته هي ثروته الحقيقية، ودافعه لمزيد من التغيير نحو الموضوعية.

9- ألا يكتفى باتساع دائرة وعيه بمعنى شحذ بصيرته، ولكن عليه أن يختبر حقيقة بصيرته تلك بمراجعة آرائه إزاء فعله اليومي، وفي مجتمعه الصغير، وفي ممارسته المهنية.

10- أن يدرك ضرورة معاشته وحدته" الخاصة في شجاعة، مع إدراك حاجته للآخرين وطريقته في إشباع هذه الحاجة ذهابا وإيابا بوعي وإرادة من نفسه إليهم وبالعكس.

وعلينا أن ننتبه تماما، طول الوقت، إلى أن مجرد ذكر مثل هذه المواصفات لايعنى إلا نقطة البداية،

أما الأهم والأخطر فهو إعداد المجال لنمو هذه المواصفات.

خاتمة:

لا أعتقد أن هذه الأفكار والمناهج قابلة للتطبيق في المرحلة الحالية من نمو شعوبنا في ظروفه المرهقة، إلا أن الحقيقة تظل حقيقة دون النظر إلى توقيت تطبيقها،

إن الذين نتاح لهم فرصة الممارسة الإكلينيكية الطويلة والعنيفة ليسوا مجاثا في المقام الأول بل معالجين مهين أساسا،



الإربعاء 09-01-2008

131-الأصل والصور!!

تمهيد

كيف تتشكل الشخصية؟

كيف تتكون الهوية؟

بداية من أي سن؟

هل الصورة التي نرسمها لهم أو التي نفرضها عليهم، أو التي نتمناها لهم: تمثلهم؟

أم أنها بداية لا مفر من مراجعتها؟

ثم ما هو الحد الفاصل بين صورة أطفالنا كما تبدو لنا؟ أو كما نريدها؟ أو كما نصنعها؟ وبين حقيقتهم كما خلقهم الله ليكونوا فيصيروا، إليهم، إليه؟

هل نحن نستعملهم لنسقط عليهم ما عجزنا أن نكونه؟

متى نعرف كيف نتفاعل معهم لعل وعسى: أن يكونوا فيصيروا؟

هل نحن نتعرف على أولادنا لنواكبهم إلى ما "هم"؟

أم أننا نشكلهم ليثبتتونا كما "نحن"؟

نبدأ بعرض مقتطفات من حالة نبين من خلالها خطورة التركيز على الشكل على حساب الجوهر، والتعامل مع الخارج دون الداخل، والاقتران على النفخ في جزء على حساب الكل مهما بدا بديعاً فعلاً، حتى يطغى على الكيان فيلغيه وتفشل عملية تشكيل الذات تكاملاً.

النس البشري

..... حالة شاب حالوا دون نموه (حتى توقف، فتسبخ، ونكس) نتيجة التركيز على صورته (شكله المليخ) على حساب حقيقته (مشروع تكوينه)، وقد احتد هذا التناقض في فترة المراهقة فكان ما كان. وسنعرض جانباً من شكواه.

ثم عينة من حوار معه أثناء الفحص الإكلينيكي.

موجز تقديمي

هو شاب وسيم فعلاً، (ليكن اسمه محمود) "أمور"، (بحسب تعبير ثلاث طبيبات على مدى سنتين) أصغر إخوته (المريض له سبعة

إخوة، خمسة منهم أشقاء، وكلهم وصلوا إلى تعليم متوسط، وأنهوه بنجاح، ويعملون). هو من قرية قريبة من القاهرة، عمره عشرون عاماً، مازال في السنة النهائية ثانوى صناعي، وكان يعمل بشكل متقطع سواء في مساعدة والده (فلاح). أو والدته التي تتاجر في الخضروات جائلة في الأسواق. بلا تاريخ أسرى للمرض النفسي. الأب رجل طيب مجتهد اجتماعي محبوب من الآخرين خارج المنزل، لكنه باهت نسبياً في المنزل، يجيب محمود كل طلباته تقريبا، والأم حانية شاطرة قريبة جدا من محمود، تفضله عن إخوته، وهي فرحة بجلوته، وتفخر بشكله منذ ولادته، وخاصة أنه "آخر العنقود".

### جاء في شكوى محمود ما يلي

حاسس إن شكلي أوحش، مش عاوز أطلع شبه والدي، عايز شكل مستقل، عاوز أبقي حاجة لوحدي، زمان كنت وسيم بس مش دلوقتي، أصل اخواتي بيحطولي حفن في الأكل تخليني أبقي عندي كرش، واتخن، ويمشوني على مزاجهم. لما بابقى في الشارع باحس إن الناس بيضحكوا عليّ وبيقولوا العبيط ااه، والبلد كلها بتكرهني، وعايزين يفرحوا في عشان شكلي أحسن منهم، كنت عايز اهرب من البلد كلها... قلت لو هم (أهلي) مش راضيين يعترفوا ان هما السبب في اللي جرى لي: حاقتل نفسي. حاسس إن ذكي زيادة، وعندي معلومات، ومخني كبير وممكن أبقي عالم كبير بس لو أهلي ينتبهولي".

### ومن شكوى الأم

"... هو أول ما التعب جاله كان يغسل إيديه كثير ويفضل يعيد ويزيد، ويقف قدام المرايه، ويص على نفسه بالساعات، ومخش الحمام، يكب على نفسه ميه كثير، بعد سنة ابتدا يتعب ويتخانق ويمشي ويسيب البيت وبيبات في الجامع، وابتدا يتهم اخواته انهم عاملين له عمل عشان شكله يبقى وحش، ويشك في الجيران وأهل البلد، يقول إن كل الناس في الشارع عارفين حكايته وبيتكلموا عليه، ويضحكوا عليه.

### عن ما آلت إليه الحالة

وصل الأمر بعد توقف العمل والانسحاب والعزلة إلى أنه كان يتبول ويتبرز دون تحكّم أثناء يقظته، وكان ذلك بمثابة علامة خطيرة على تدهور حالته، ولو أن هذا توقف بعد دخوله المستشفى العام (قسم النفسية).

وقد عولج بكل أنواع العلاج خلال أربع سنوات، وكانت استجابته ضعيفة، أو مؤقتة، فسرعان ما كانت حالته تنتكس المرة تلو الأخرى.

وقد شخصت الحالة تشخيصاً سيء السمعة، ومع ذلك كان المريض مستجيباً، وقريباً، فإمما لما يجري حوله بوعي حاد، ورغم وجود مسحة من طفولية طازجة، وإن كانت رخوة، وكان شكله جميلاً بالمقاييس العامة في مصر بالنسبة لما هو جمال الذكور: البشرة البيضاء، والشعر الناعم المائل إلى الحمرة، والملامح المتناسقة.. إلخ

تمت المقابلة مع الأستاذ (كاتب هذه السطور) بعد عرض تاريخ الحالة من طبيبة أصغر. نقتطف من المقابلة التي استغرقت أكثر من ساعتين، ما يلي:

#### د . يحيى

= الدكتورة قالتلى إنك ما بتتحسنشى، أو بتتحسن وتساء على طول.

#### محمد

- أيوه .

= إنت خدت كل العلاجات بلا استثناء، وما فيش فائدة .

- حضرتك يائس منى؟.

= .... بس يعنى....!

- يعنى ما فيش فائدة؟.

= ربنا موجود، ما حدش ييأس وربنا موجود.

- اخل إليه؟.

= ما اعرفشى، إنت بقى تشوف لنا حل وانا اساعدك فيه.

- ما اعرفشى .

= أنا حاعمك إليه ؟ إليه اللى عندى تانى؟ أضحك عليك واقولك عندى دوا جديد ما حصلشى؟

- وانا اعمل إليه؟ حاسس إن حضرتك زهقت منى.

= هوأ انا لحت أزهب؟ حتى لو زهقت: هوأ أنا زهقت منك، ولا من حاجة فيك؟ أنا مش من حقى أزهب من عيان، مابقاش دكتور.

- إليه الحاجة إالى زهقت حضرتك؟.

= إليه بقى حكاية شكلى شكلى شكلى دى؟.

- هى دى الحاجة اللى تعبانى.

= .... شكلك ماله؟

- ما هيا دى الحكاية .

= خلينا نبتدى بداية جديدة . شكلك حلو ولا وحش ؟

= كويس، لا حلو ولا وحش.

- لا يا شيخ !! إمال كل اللى احنا فيه ده إليه؟ تعالى نتفق يعنى إليه "شكل"، مثلا الدكتور همام، (أحد الأطباء المقيمين)، شكله حلو ولا وحش؟

- كويس .

- = هو ظريف، إنما احنا بنقول شكله؟  
 - مش فاهم ؟  
 .....
- = إسمع يا محمود: أنا متصور إن فيه "محمود"، وفيه "شكل محمود"، زى ما تكون انت استغنيت عن محمود وعمال تلف حوالين شكلك  
 -... يمكن ، بس مش انا السبب.  
 = عابزين نشوف كلمة "شكل" دى أولها إيه وآخرها إيه، أربع سنين عيا، وييجى عشر سنين تحضير للعباء، وادى احنا زى ما احنا.  
 - أهو دا اللى حصل (يضحك)  
 = إنت بتضحك على إيه؟ إنت مركّز على حكاية الشكل دى، ما عادشى عندك حاجة غيرها.  
 - هوا فيه إيه غيرها؟  
 = فيه محمود، هو انت "محمود" ولا "شكل محمود"؟  
 - مش عارف.  
 = إنت باين استغنيت عن محمود، أو يمكن نسيته، أو يمكن عمرك ما عرفته.  
 -هم اللى اهتموا بشكلى، وشى إيه، وعنى إيه، وشعرى إيه .  
 = يعنى إيه؟  
 -يعنى هم اهتموا بشكلى كده، و انا اتدبست فى شكلى، و نسيوا محمود.  
 = آه صحيح، إيه حكاية أمّور دى ؟  
 - أنا ما قلتش أمّور.  
 = الدكتورات عندنا هنا قالوا عليك قمور، إيه رأيك؟  
 - أنا ما ليش دعوة .  
 = إيه يعنى شاب عنده عشرين سنة يبقى أمور؟  
 -عند حضرتك حق .  
 = عرفت الحكاية؟ أصلها وفصلها؟  
 - بصراحة انا شكيت فى حاجة زى كده .  
 = الأمّور راج، الأمّور جه !!! يا فرحتى.  
 - أهو اللى حصل. هية الحكاية دى لها علاج؟ ولا طبيعية ؟

= يمكن طبيعية، بس ما توصلشى لدرجة إنك تتهرز على روحك، وانت صاحى زى اللى عنده أقل من سنة !

(يسكت وينظر فى الأرض) .....

= مش كده ولا إيه؟ يعنى إيه ما تتحكمشى فى ده؟ إنت بتكسل تروح دورة المية ولأ إيه؟

- يمكن كسل

= وانت عندك عشرين سنة؟ يكونشى عايز ترجع أيام الرضاعة الأولانية؟

-مش عارف.

= طب وبعدين؟

-وانا ذنى إيه؟

= الظاهر لازم نبتدى ما الأول.

-أول؟ أول إيه؟

= مانت راجع للأول بعمايك دى، بس الأول اللى احنا عايزينه نركز فيه على محمود بدال شكله

- إزاي؟.

= ما اعرفشى، الحكاية عايزة بداية بعيدة عن الشكل، عايزين محمود، زى أى حد ما يبقى هو مش شكله.

-بس الحكاية دى من صغرى.

= ما انا عارف ، زى ما يكون حطوا شكلك مطرحة.

- كنت باقول لنفسى حاجة زى كده، حتى قبل ما تقابلنى حضرتك.

= مجد؟ يبقى احنا ماشيين معقول. طب عايزين نخلها، نعملها ازاي؟

-أنا باعمل اللى على، حضرتك نخلها.

= لا يا شيخ؟ كسل برضه؟ أذك دوا أغلى؟ ولأ نكرر العلاجات اللى ما نفعتش؟

-أعمل انا إيه، المطلوب منى إيه؟

= آدى احنا بندور على مفتاح.

- هوا احنا لسه ما امسكناش المفتاح، أهلى مش راضيين يعترفوا إن هما السبب فى اللى جوايا،

= إنت لما بتقول "اللى جوايا"، بتشاور على حاجة تانية، بتشاور على الوسوس والأفكار والمرض، مش على حكاية "الشكل".

- تقريبا  
 = حتى لو كانوا هما السبب، إنت برضه لازم مشارك في اللي جرى.  
 - في إيه؟  
 = ما اعرفشى، إوعى تكون فاهم إني عارف، أنا باحاول معاك، كل اللي عارفه ان الحكاية محتاجة وقت  
 - يعنى أستنى قد إيه؟ ما انا بقالى أربع سنين.  
 = أربعة عبا، وعشرة تحضير للعبا، نعمل إيه دلوقتى؟.  
 -أنا باعمل اللي على.  
 = حكاية "باعمل اللي على" أنا مصدقك، بس لا هى كفاية ولا هى نافعة، بس أنا مصدقك، أنت بتسرح شعرك ازاي؟(كان شعره مصفف ومجفف ولامع مثل الشباب الروش).  
 - باشده .  
 = إسمع يا محمود، حتى لو كانواهما اللي عملوك، إنت الظاهر استحلينها، لا انت قادر تتنازل عن شكلك ولا فيه حاجة موجودة تحل محله، زى ما تكون عملوك قالب مطبوط، لما جيت تلبسه، لقيت نفسك مافيش، ما فيش محمود يلبس القالب، ما فيش حاجة عملا شكل محمود.  
 - ياخير!!! باين كده!  
 = لا انت قادر تتنازل عن شكلك، ولا تقدر تتمسك بيه عشان ما هؤاش انت، أدى المشكلة.  
 - إيه الحكاية ؟ طب والوسوسة؟  
 = أظن هئ تبع الموضوع ده ، تبع الخناقاة بينك وبين شكلك. تبع الرقص عالسلم، عمال بتكرر كل حاجة عشان تفضل مطرحة.  
 - بس انا حاسس إن شكلى أوحش.  
 = مشم فاهم . كان حلو واتوحش؟ ولا كان وحش وبقي أوحش؟  
 - زمان كنت وسيم بس مش دلوقت.  
 = ما انت لسه وسيم وانت عارف كده كويس، أمور، ما سمعتش الدكتوراة ( )، والدكتوراة ( ) ؟ إسمع، أنا جتلى فكرة : لوتصورنا يا عيني ان فيه محمود جوه، وإنه رافض إالى عملوه فيك، لدرجة إنك بقى الود وذك تبقى شكلك قبيح فعلا، يمكن ما كانشى حاجة من دى حصلت، مش قبيح يعنى وحش قوى، قصدى عادى. يعنى انا تصورت ان من كتر ما ركزوا على شكلك، تمنيت إنك تبقى وحش.  
 -أبدا، أنا تمنيت ان ما يكونشى حد أحلى منى.

= ..ياه !! رغم إنك أحلى من كل اللي حواليك؟  
- أيوه .

= يبقى شاركت في الحكاية أهه، ولسه بتشارك فيها لحد دلوقتي؟ بدل ما تدور على محمود اللي بيق وحقيق، قمت متمسك بمحمود الأمور إلی هو مش انت، وعايز تبقى أمور أكثر؟ يا خبز!! يبقى الفرض الأولانى اللي انا حطيته طلع غلط، دا انت طلعت شريك أساسى فى اللي حصل.

- أهلى هما أثروا فى، أنا اعنى شكلى يرجع تانى حلو زى الأول عشان أجدب البنات وكده .

= ماهو لسه زى الأول، هو إيه اللي جرى فيه؟ باقولك إيه: هم البنات بيتجذبوا للشكل ولا حاجة تانية؟

- حاجة تانية

= إلی هيه إيه بقى؟!!!؟

- مش عارف. لما يكون الواحد طفل يعنى أقل من اربعتاش سنة بحس إن شكله كويس، ينبسط، لكن لما بيكبر، يبلغ، يبقى عايز شكله يتغير على راجل، عايز البنات يبصوله راجل

= وانت إيه اللي حصل معاك لما كبرت؟

- البنات ما بقوش يبصولى زى زمان، كنت عايز حاجة تانية، أبقى أحلى، شكل تانى، حاجة تملى حاجة ، يعنى...، مش عارف أقول ....

= تقصد رجولة تملأ الحلاوة

- حاجة زى كده، بس باين عليها ما نفعتش

= إيش عرفك؟

- باين كده،

= إنت مش عايز تسبب أى حاجة. عايز يبقى شكلك حلو، وفى نفس الوقت تبقى أحلى، وتتملا رجولة، والبنات تحبك كراجل، مش عيل حلو وأمور، كل ده مع بعض مرة واحدة .

- يمكن.....

واستمرت المقابلة، وقد نعود إليها، وإلى متابعة الحالة فى يومية لاحقة ما أمكن ذلك..)

#### قراءة فى بعض ملامح الحالة

ولد محمود فى قرية مصرية، لا تعلب عادة من قيمة جمال الذكور، لكن شكل محمود استرعى انتباه أمه، وأنه ليس مثل إخوته، أو مثل سائر أطفال العائلة أو أطفال البلد، وقد أقر كل من رآه هذه المسألة، وأصبح شكله موضع اهتمام، ومديح، وربما حسد المحيطين جميعا.

يبدو أن هذا التركيز على الشكل قد بولغ فيه حتى أصبح هو كل شيء، فحل - تلقائيا - محل وجود الطفل في ذاته.

توضيح هذه المسألة صعب نسبيا :

أن تستقبل الأم طفلها من خلال صورته الجميلة أساسا، أو تماما، قد يعني أن الأم تستعمله كنوع من التباهي ببضاعة هي التي صنعتها،

وقد يمثل ذلك تعويضا للأمر عن شكلها هي شخصا خاصة إذا كانت تشك في درجة جمالها (كانت أم محمود متوسطة الجمال أو دون ذلك)

أو لعل الأم كانت قد جُرحت في هذه المنطقة، فجاء ابنها الجميل يثبت لها أولا أنها جميلة، ثم "لهم" غضبا عنهم! أليست هي التي أنجبتته؟

في هذه الحالة يصبح الطفل مثل دمية للعرض، أو مثل تحفة للثنين، ما دام تصادف أنه يملك ما يُعرض أو يُؤمن بفخر واعتزاز.

وهو يصبح بذلك مثل أحد المقتنيات البديعة لا أكثر، ربما هذا هو ما جعل محمود يكرر بإصرار أن أهله هم السبب فيما هو فيه،

صحيح أنه كان يشير إلى مسئوليتهم عما هو فيه من مرض وأعراض،

لكن يبدو أنه شخصا فرح بذلك تماما، وهل كان يملك غير ذلك؟

لقد أقر ميررات اعترافهم به (أنه كيان جميل)، فاستزاد منه،

وهو ما زال يريد أن يصبح أحلى وأحلى،

هو قد أصبح بهذا امتدادا لما فعلوه فيه.

لكن كل هذا لم يحقق له شيئا حقيقيا، فشك في قيمة وجدوى حلاوته، حتى شك في استمرار وجود حلاوته: أنه لم يعد حلوا (مثل زمان)، ثم تمدى الشك في أنهم (إخوته بالذات) يريدون أن يجرموه حتى ما تميز به (الجمال الظاهر)، يريدون تقبيحه، أن يكون له كرش... إلخ،

**فهم كما رسموه صورة حلوة، يمكنهم أن يفعلوا العكس.**

وحيث حلت أزمة المراهقة، صاحبها الرغبة في أن يكون موضع اهتمام البنات في سنه، مثلما كان موضع اهتمام الكبار طفلا جميلا، فانكشف زيف الواجهة.

لم تعد صورة الطفل الجميل كافية لتملؤه، اكتشف أن ثمة نقلة حدثت غيرت الموازين: أصبح يريد أن يكون الشاب الجذاب الممتلئ رجولة،

لكن من أين له ذلك؟

لم تنجذب البنات إليه رجلاً، أو هكذا خيل له، وكأن ذلك كان بمثابة إعلان زيف جماله الطفلي الظاهري،

جماله هذا أصبح قبجا ما دام لا يجذبهن إليه،  
لكنه لا يملك غيره،

فليعد طفلاً لدرجة ألا يتحكم في إخراجِه، فهو الجنون الذي  
هدم حتى الواجهة،

لم يعد جماله ينفع،

ولا هويستطيع أن يكون أجمل،

ولا هو يريد أن يكون إلا أجمل (خصوصاً بالمقاييس الجديدة)،  
وليس وراء الواجهة إلا الفراغ،

### الخلاصة

محمود لم يكن موجوداً يوماً، والصورة الجميلة التي أخفته  
وراءها لم تعد كما هي في نظره، لا هي كافية، ولا هي نفعته  
أصلاً.

فشل الشكل الطفلي أن يحافظ على تبرير وجوده، وفي نفس  
الوقت لم يستطع أن يكتسب اعترافاً به كشاب جذاب مطلوب - من  
البنات - لأنه أحداً لم يره أبداً غير شكله.

فكان ما كان.

أكتفى بهذه القراءة لأنتقل إلى أغنية كتبها للأطفال؟  
الأطفال،

### الأغنية

وكتبت هذه الأغنية للأطفال قبل لقائي مع هذه الحالة  
بشهور طويلة.

آنا بصيت في مرايتي

شفت نفسي: هي صورتي

إنما رُجعت في كلامي:

إلى شفته "مش أنا بدر التمام!"

آنا مين؟ آنا كام؟

إنتو شايقين اللي برّة

بس ده مش كلّي مرّة

أنا لسه ليّا جوة

حتى باين: إني هوّه

"أنهو أحسن؟؟"

أنهو أحسن !!!

آنا أحسن!!  
آنا يعنى...، أصلى إتنى...، هؤا انا !!  
آنا قصدى،  
آنا كلّى على بعضى.  
باتعمّل منك ومنى  
بابقى "انا"، "مش غضب عنى"  
شفت: انا ما بقيتشى صورتى،  
آنا باتكوّن بجزى.  
مش آنا الشخص إالى إنت كنت "فاكره"  
مش آنا الشخص إالى إنت كنت ناكره  
آنا خلقه ربنا،  
حابقى نفسى ليّا انا  
حابقى نفسى واحده واحده  
زى ما هي مستعده  
آنا حابقى نفسى ليكم، يعنى ليّا  
آنا حاسم إى أملأ نفسى بيّا،  
حاتلاقينى فى رحابّه، زى ما هو خلقنا،  
غمّ باخبط عالى باه: زى ما غيرنا سبقنا

Forum Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

Forum Subscription

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

Mail To Forum Participate

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

FORUM INVITATION

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

الخبيس 10-01-2008

## 132- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاثة

## قبل النقد

وصلنا من د. أميمة رفعت قراءة أخرى لخم "20" وهي القراءة التي أشرت إليها في حوار بريد الجمعة 4 يناير 2008 وهي منشورة في زاوية "الخرورن الضيوف" link، أرجو أن تحقق بذلك بداية متواضعة لما كنت أرجوه مما أسماه "نقد النقد"، أو لعله "نقد على نقد"، وأحيانا "نقد آخر"، أرجو أن يمثل مثل هذا النقد البذرة التي كنت أتمنى أن تزرع في أرض أكثر خصوبة، وحقل أوسع انتشارا برعاية الدولة بما أسمته "دورية نقد أعمال محفوظ" Link ليست بالنسبة لأحلام فترة النقاثة فقط، وإنما لكل أعماله.

ثم أني عثرت مصادفة على بعض اجتهادات لي سابقة بالنسبة لأحلام النقاثة كنت قد نسيتها، ووجدت اختلافا بين ما قرأته ناقدا مؤخرا في هذه اليومية، بين ما كتبته سابقا، وبدلا من أن ألقى القديم أو أقارنه بالأحدث فضلت - في هذه المرحلة - أن أنشر هذه القراءة القديمة مع الجديدة لخم "14" وأدع للقارئ (الناقد) دور المقارنة، حتى أعود إليها، أو لا أعود، حين يكمل العمل طويلا. (أنظر الملحق: القراءتان والخلم (14) مع قراءة حلم د. أميمة (20) ولا أجد حرجا في نشر نص الخلم قبل كل نقد).

والآن إلى الخلمين الجديدين

الخلم (23)، الخلم (24)

الخلم (23)

أسر في الشارع وأنا على بينة من كل مكان فيه، فهو عملي ونزهي، وأصحابي وأحبائي، أحيى هذا وأصافح ذاك، غير أني لاحظت أن رجلا يتعداني بمسافة غير طويلة وغير قصيرة، وبين كل حين وآخر يلتفت وراءه كأنما ليطمئن إلى أني أتقدم وراءه. لعلى لم أكن أراه لأول مرة، ولكن على وجه اليقين لا تربطني به معرفة أو مودة، وضايقتني أمره فاستفزني إلى التحدي.. أوسعت الخطى فأوسع خطاه، أدركت أنه يبيت أمرا فازددت تحديا، ولكن دعاني صديق إلى شأن من شئوننا فملت إلى دكانه



بدا في أحلام سابقة - في الدعوة إلى العودة إلى البيت الملاذ (السكن/الرحم/النوم) .

لكن البيت - كما تكرر أيضا من قبل- يثبت أنه لا ونيس فيه، على عكس ما راوده من أمل "ووجدت البيت خاليا"

وحين يخطو خطوة أخرى إلى الداخل إلى النوم (حجرة النوم)، لا يجد الونيس أيضا، بل ربح هذا "الآخر" الغامض.

ينتهي الحلم حين يتحول هذا الآخر "الشعور المتعين رجلا"، (يتقدم أو يتبع)، يتحول إلى شعور عام غامض محيط،

هذا وارد، حين ينتهي دور التفكك (الإنشقاق الإيجابي المؤقت) إلى ما يسمى "المعرفة الهشة" amorphous cognition التي هي الخطوة الحامل لأجنة إبداع ما.

هكذا نتعلم من هذا الحلم - وعموما - أجدية أخرى من بعد آخر عن النفس وتعددتها، وحركيتها، وإيقاعها، وعن علاقة هذا الشعور "المحيطي" الذي انتهى به الحلم، والذي برغم هلاميته التي توحى ولا تحدد،

تتخلق منه الشخوص والموضوعات في الإبداع، حين يتشكل في "الجديد الأصيل".

#### الحلم (24)

قررت اصلاح شقتي بالاسكندرية بعد غياب ليس بالقصير، وجاء العمال وفي مقدمتهم المعلم وبدا العمل بنشاط ملحوظ، وحانت مني التفاتة إلى شاب منهم فشعرت باننى لا أراه لأول مرة، وسرت في جسدى قشعريرة عندما تذكرت أننى رأيتة يوما في شارع جانبي يهاجم سيدة ويخطف حقيبتها ويلوذ بالفرار، ولكنى لم أكن على يقين وسألت المعلم عن مدى ثقته بالشاب دون ان أشعر الشاب بذلك فقال لى المعلم:

- إنه مضمون كالجنه الذهب، فهو إبنى وتربية يدي، واستقر قلبي إلى حين، وكلما وقع بصرى على الشاب انقبض صدرى، وطلبا للأمان فتحت إحدى النوافذ المطلة علي الشارع الذى يعمل فيه كثيرون ممن أعرفهم ويعرفوننى ولكنى رأيت حارة الجراج التي تطل عليها شقتى بالقاهرة فعجبت لذلك وازداد انقباضى، وجرى الوقت واقترب المساء فطالبتهم بإنهاء عمل اليوم قبل المساء لعلمى بأن الكهرباء مقطوعة بسبب طول غيابى عن الشقة.

فقال الشاب: "لا تقلق.. معى شعة".. فساورنى شك بأن الفرصة ستكون متاحة لنهب ما خف وزنه ومجئت عن المعلم فقيل لى أنه دخل الحمام وانتظرت خروجه وقلبي يتزايد، وتصورت أن غيابه فى الحمام مؤامرة، واننى وحيد فى وسط عصابة، وناديت على المعلم ونذر المساء تتسلل إلى الشقة.

#### القراءة

التداخل التنقل يتم هنا بين مكانين على بعد أكثر من

مئاتي كيلو متر، شقة الاسكندرية بعد غياب، يفتح شياكها على حارة الجراج التي تطل عليها شقة القاهرة، هذا التكتيف للزمان والمكان يتواتر أكثر فأكثر في إبداع الأعلام، ومن فرط تكرار ذلك، وصلني أنه قد يبعث رسالة للمتلقي **ليحذق "الحركة" و"التداخل" و"الكلية معاً"**، هذه الآليات تبدو لي أنها أصل في التركيب البشرى قبل أن تحتزله إلى ما نعرف عن ظاهره،

شقة الاسكندرية كانت مهجورة لفترة **(بعد غياب ليس بالقصير)** أما شقة القاهرة فهي إلف مألوف، هي وشارعها **(الذي يعمل فيه كثيرون ممن أعرفهم ويعرفوني)**

أما لماذا نتج عن اكتشاف هذا التداخل والتكتيف **العجب وزيادة الانقباض**، فلعل ذلك إشارة إلى أن إصلاح الشقة الذي بدأ به الحلم ليس إصلاحاً يحقق النقلة والتجديد، فالقديم المألوف يفرض نفسه بديلاً عن الإصلاح المهزوز، الذي بدأ أنه لا يعدو إلا أن يكون أملاً لا أكثر، ومع ذلك فالقديم لم ينجح في تخفيف الانقباض بل زاده.

السيدة موضوع الهجوم والاعتداء من ذلك الشاب المشتبه فيه المزعجة رؤيته، المشكوك في أمانته، الخاطف حاجة غيره، قد تذكرنا بالسيدة التي اعتدى عليها الشبان الأربعة في حلم "21"، لكنها هنا ليست عابرة طريق ولا هي موضوع اقتحام يلوح باغتصاب، إنها عابرة طريق، موضوع سرقة ما (خطف حقيقية)، ومع ذلك فقد تكون ذات دلالة مشتركة في الحلمين.

من هو هذا الشاب اللص الغامض؟ هل هو رمز أهل ثقة الرئيس "المعلم"؟ ولهذا هو **"مضمون كالجنيه الذهب"**، وهو **"إبنه وتربية يده"**. (لست واثقاً إن كانت حكاية التوريث كانت قد أثرت في الواقع بهذا الحجم أيامها أم لا).

**المسألة** إذن ليست توجسا موجهاً تجاه فرد واحد له سابقة ما، يبدو أنها عصابة مترابطة تحت لافتة التجديد والإصلاح (الدولة)، التغطية على اللص تتم من قبل السلطة الأعلى بوضوح بإعلان أنه **"مضمون مثل الجنيه الذهب"**.

ويحل الظلام (بلغة السياسة الأحدث: نعدم الشفافية أكثر فأكثر)، ولأن صاحب الشقة موضوع التجديد والإصلاح الوهمي كان غائبا عنها طوال تلك المدة، فهو لم يشارك في مواصلة تعهد نظافتها وصيانتها وإصلاحها بنفسه أولاً بأول، فليدفع الثمن بالضيق في الظلام الآن مهدداً بالسرقة.

أين الرئيس "المعلم" نستنفذ به من الجارى، أو يؤمننا ضد السرقة والخطف؟

دخل الحمام

مهمة خارجية، تأجيل المواجهة، خطاب رسى بالنيابة؟

المعلم هنا دخل الحمام"، ولا أمل في خروجه قريباً

## "وتصورت أن غيابه في الحمام مؤامرة"،

فهى العصاية، وهو الغياب، وهو النداء بلا طائل، وهو المساء الظلام، وهى المسئولية على الجميع بدءاً بغياب صاحب الشأن عن شقته، وإهماله لها، امتداداً إلى الظلام، تحت مظلة الفساد التأمري، واختفاء المعلم الرئيس.

وبعد

أعترف أنني فشلت هذه المرة أيضاً أن استبعد اختزال الحلم إلى أحوال البلد

ولو صح ما حضرنى، رغماً عني، فإنني أميل إلى رفض أن يوظف الإبداع في شجب الفساد الجارى، ذلك أن شجب الفساد والتآمر علينا أصبح أمراً لا يحتاج - حالياً - إلى مثل هذا التحايل، بمثل هذا الإبداع.

ومن ناحية أخرى أشعر أنني بقراءتي الحلم كذلك، ربما كنت استسهل.

لكن بيني وبينك

الصورة المبدعة حلماً: جميلة ودالة أكثر من مائة مقال صارخ.

Forum Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

Forum Subscription

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

Mail To Forum Participate

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

FORUM INVITATION

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

الجمعة 11-01-2008

133- حوار بريء الجمعة

### مقدمة :

الأمر طيبة، وأصحاب الفضل الجادون موجودون في كل مكان، الإيقاع هادئ، والوعد واضح،

لكن المخاوف تظل تحفز الوعي بمسئولية العمل على ضمان الاستمرار، ومرونة الحوار، وتجاوز تركيز المسئولية على فرد واحد سواء كان الابن المسئول عن الشبكة، أم العبد لله المسئول عن النشرة فالمنتدى، وعن ما أكرمه الله بما تورط فيه هنا وهناك.

ولنبداً اليوم بمقتطفات محدودة من مراسلات الابن الكريم جمال التركي، فهي تحتوي المعلومات اللازمة "لن يهمله الأمر" أرجو ألا تنوه منا وأنا أقلبها إلى حوار، لكن هذا هو شكل البريد منذ ظهرت النشرة، عذرا يا جمال.

### في آخر لحظة :

صباح الخميس 10-1-2008، وصلتني مداخلات تفصيلية من الابن جمال التركي أيضاً، سوف أحققها كاملة بعد نهاية الحوار لأنني كنت قد انتهيت منه، أحققها فرحاً فرحاً شديداً بهذا الاهتمام وهذه الجدية، يا خير يا جمال هل عندك وقت لي هكذا مع كل مشغولياتك .

وسوف تسمح لي يا جمال أن أرد ببضع كلمات لا أكثر بعد كل مداخلة .

### د . جمال التركي :

عزيزي محيي، اسمح لي برد موجز وسريع أملتة على مطالعتي "حوار الجمعة" اليوم 4-1-2008.

### د . محيي :

تصور يا جمال أنني ترددت وأنا أكتب "جمال" في المقدمة، دون تلك الدال الزائدة "د" التي اعتدنا هنا أن نلصقها قبل أي اسم زميل خوفاً من اللوم، والأهم الأستاذ الدكتور "....." لكنني أذكر كيف تعلمت في باريس (سنة واحدة / 68 / 69) أن العكس أجمل وأقرب. (وأنت سيد

العارفين)، تعلمت أنك حين تشطب الألقاب، وتخطب الآخر بـ.. "أنت" وليس "أنتم"، فهذا إعلان بالقرب والاحترام والحميمية معاً. ذات مرة حضرت شجاراً بين صديق كنت أبحث معه في باريس في مبنى كلية الطب في مستشفى سانت آن، وبين زميلة له - باحثة-، وحين احتد الشجار صاح بها (وكان نصفه طليانيا شرقاًوسطيا والنصف الثاني من "وسط" فرنسا في الجنوب صاح بها قائلاً: لا تخاطبيني بعد ذلك بـ "أنت"، وأظنها علي ما أذكر بالفرنسية Ne me tutoyez plus.... مع أنني أخشى أن أكون أخطأت الهجاء أو التركيب النحوي، شكراً يا جمال أنك تخاطبني بـ"يجي".

د. جمال التركي: جاء في حوار الجمعة " اليوم 4-1-2008 قولك للدكتور أسامة عرفة:

... "المنتدى": على الشبكة العربية للعلوم النفسية. لا أعرف بعد كيف أتعامل معه، ويبدو أنه يحتاج اشتراك مدفوع وتفاصيل أخرى". "... لم أعرف يا أسامة بعد ما هو دوري في ذلك الذي اسمه "المنتدى"، وقد أرسلت إلى الابن جمال التركي استفسر".

د. يحيى:

حصل، وقد جاء ردك يا جمال وافيا مفصلاً، فهل تسمح لي أن أعيد نشره هنا، وأسامة معنا، فيكون توضيحاً لكل قارئ (زائر) للموقع، وليس فقط لأسامة.

د. جمال التركي:

1- موقع المنتدى مفتوح للعموم على العنوان التالي:

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

ولا يخضع تصفحه لدفع أى اشتراك ولا إلى أية تفاصيل

2- التسجيل في المنتدى، حر وبدون رسوم، يتم بإرسال بريد الإلكتروني العنوان التالي:

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

يعبر فيها المرسل عن رغبته في الاشتراك في المنتدى والدوافع (يقبل الاشتراك حتى ولو كانت الرسالة فارغة دون محتوى)

3- للمشاركة في "الحوار" بمنتدى الإنسان والتطور، ترسل المداخلة/ التعقيب/ الرأي/ وجهة النظر... بالبريد الإلكتروني على العنوان التالي:

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

د. يحيى:

شكراً يا جمال مرة أخرى، ولن أشغل بقية المساحة في تحديد دوري الذي حددته بوضوح في بقية خطابك،

ولكن اسمح بملاحظة نوهتُ بها في يومية 2008/1/7 "عن الالتزام بتقديم خيرات من ثقافة مختلفة" ولكن سوف أدعك تقولها أنت بلسانك وقلمك.

د. جمال التزكي:

دعوة المشاركة في المنتدى مفتوحة للجميع ولا بشرط فيها  
إلا أن يكون الإنسان "إنساناً".

د. يحيى:

دعني لا اكتفي بالإحالة إلى تلك اليومية يومية 2008/1/7  
"عن الالتزام بتقديم خبرات من ثقافة مختلفة"، وأعيد  
تعليقي على هذا الشرط السهل الصعب في تلك اليومية حيث  
قلت بالحرف:

استقبلتُ هذا الشرط فرحا في أول الأمر، .... لكن بعد أن  
أعدت قراءته: "أن يكون الإنسان إنساناً" توقفت طويلا  
أمامه خشية أن أعجز شخصا أن أحدد الحد الأدنى الذي  
يسمح لي أن أشرف بهذه الصفة "أن أكون إنساناً".

والآن يا جمال دعنا نستمع لأسامة، خاصة وأنه كان صاحب  
الفضل في التساؤل حول توضيح الموقف من المنتدى، فأحضرنا  
معنا محاورا كريما اليوم، نستمع له، وقد عاد يقول:

د. أسامة عرفة:

لم أفهم على الإطلاق مسألة المنتدى رغم المحاولة، وهل هو  
وكيل بريد وسيط لتجميع مداخلات القراء و المحاورين ومن  
ثم نشر الرد عليها.. ما الدنيا سهلة هنا و الباب  
مفتوح في نهاية كل مقالة.. سأحاول الفهم مرة أخرى.

د. يحيى:

أرجو يا أسامة أن يكون فيما سبق من حوار مع جمال رد  
كاف، والممارسة يا أسامة سوف توضح الأمور أكثر فأكثر  
بلا أدنى شك.

د. أسامة عرفة:

أتمنى أن ينشر حوار ساقية الصاوي بموقعكم مع تحياتي  
للدكتور محمد يحيى.

د. يحيى:

والله يا أسامة كانت تجربة مثيرة فعلا يوم الأحد الماضي،  
فهذه هي المرة الأولى التي يكون شريكي في الندوة هو أبني  
الأكبر (بعدكم طبعا) والندوة موجودة حاليا في الموقع،  
وأنا لم أشاهدها بعد، لأنها أكثر من ساعتين، ويسعدني  
وأظن يسعد محمد أن أعرف رأيكم، هل تذكر يا أسامة  
المقطع الذي اقتطفته في افتتاحية "عن التزام بتقديم  
خبرات من ثقافة مختلفة" كان ذلك جزءاً من قصيدة قصيرة  
كتبتها مخاطباً محمد بعد أن تفوق في سنة أولى آداب  
القاهرة، سنة 1980، وكان قد فشل في دخول كلية الطب  
كما يتمنى كل طبيب يريد من أبنائه أن يكملوا ناقصه،  
وهو يزعم أنه يريدهم أن يواصلوا طريقه، كان محمد  
عنيدا صريحا ليس كما أخفى عناده في الندوة بعد 28 سنة،  
و حين فشل نجح، كان عنوان قصيدتي هو: "رسالة إلى الابن  
العنيد ينجح وحيدا"

أنا اعتبر أن مسئولية تنشئة أولادنا - خاصة لمن هو مثلى - هي من أولى التحديات التي تلقى في وجوهنا، وهي أيضا - برغم كل شيء - اختبار لصدقنا.

تذكرت هذه القصيدة ومحمد يناطحي متأدبا في الندوة، كما تذكرت أن عناده وحيرته بدأ منذ سن 14 سنة بأقل قدر من المضاعفات، أو ربما منذ سنة كما أحث في الندوة، وإليك يا أسامة القصيدة كلها مع ما في ذلك من احتمال أخذ مساحة شخصية في الحوار، ليست من حقي، لكن لعلها تفيد غيرنا ممن يريد أن يأخذ مسألة أنه أنجب أولاداً وبناتاً، مأخذ الجد، هذه هي:

رسالة إلى الابن العنيد ينجح وحيداً

(الحاجة والقربان)

من بَعْدِ الشكرِ الوجِلِّ و مُرِّ الأشواقِ

قلت أقول لك المكنون

(والقولُ ظنون)

يا ويحك - ولدى - من حوفي جشعى

تأه أنينك كيدى

وسط حوافر مُنكبه

أهات ضاحكة مقتوله

- 1 -

دورى جاء

أعترف أبوخ:

إنسان أعزل

ضارغ وخذة:

كل العالم والأعلام

كل الأديان الماتزل ربي منها شيئاً

كل الأشياء المفهومة،

والمضغومة

ما استطعت الثمناً

- 2 -

هل أصرخُ صرختى الكبرى؟

هل تسمعننى ولدى؟

هل تعرفننى من خلف الأقنعة السبعة:

وأنا أتكلم مثل السادة؟

وأنا أمشى بينهم كالعادة؟

وأنا أدهش وكأنى لا أعلم؟

وأنا أفتى وكأنى أعلم؟

وأنا أضحك وكأنى أفرح؟

وأنا أحسب وكأنى أجمع؟

وأنا أرنو وكأنى أسمع؟

أخطو مغلولا فوق الأرض القبر الأمل الواقع

تنغرس بقلبي أشواكه

أدُمى

أتمرغ بترابه

لا يَسْكُتْ نَزِي

لا أَهْرَبْ

- 3 -

تنظر بعيني فترى القدرَ الأغر؟

أحرمك بكاراة سعيك؟

أكشف مكنون؟

يا زغب الطير!

تحمل عني - ولدى - عجزى؟

وأنا الأقوى؟

أدفعك تواصل سغي،

وسلاخك أقصر؟

لا يَسْكُتْ نَزِي،

لا أترجع

- 4 -

لدغتك الحكمة

تتحدث عن حُرِّ يَنُمُو؟

عن ربِّ يصدق؟

عن طفلٍ يقدر؟

عن وُعي يعبر؟

- 5 -

لا ولدي..

الدنيا سبَّت فتمهل

يأتيك الأحدُ الإثنينُ الجمعة

تُنضجك البسمة والخيرة والدمعة

لا تتعجل ظهرك صُبْحًا قبلَ الشَّمْسِ

- 6 -

وحذك؟؟

وحذك!!!

ولدى لم يحدِّي بعد فنونُ اللُّعبة

والكفر العندُ الإيمانُ

يغلي بعروقه

- 7 -

عذرا ولدى . . لم أقدرُ وحدى

قبرك جوفي

أرجو ضُخبتك لِنَفْسِي

غاصتُ خطواتي في ثِقَلِ الوَهمِ الهَمِّ

والواقِعِ أوْهمِ

أبسطُ كفي

تبسطُ كفك

الخوفُ شرائحُ مصقولة

تطفئُ وهجَ الحركة

تقسمُ نصفَ الزندِ وعُنقَ الرِشغِ وظفرَ لسانِ يتكورُ

- 8 -

سَلَمْتُكَ سيقك قبلَ العِدَّة

أشهدتك سرى من قهر الوحده  
القسمه ضيزى  
تحمل عني عبء الكلمة؟  
تحميني من بهر النور أمام جبال الظلمة؟  
ترعاني - ولدى - طفلاً!!

- 9 -

وأمر المرُّ أحيه عيني أولادي  
أن تعرف ما لا تقدر تكتمه  
لكن تكتمه!  
أن تخرج قولاً لم يحظر في بالك  
تحسبه أنت،  
تنطلق تدافع

تتقرب بلسان غير لسانك،  
والآخر ميث صخر أجوف  
تمشي بينهمو كتفا كتفا  
وحدك أبداً  
فأعذرنى ولدى أتصور جوعاً متهما بالبطنه

- 10 -

تلتحف بأستار المبكى  
تتجرع آلام المسعى

إذجني فدية  
أنت الأولى

هل لاحظت يا أسامة "سلمتك سيفك قبل العده، أشهدتك سرى  
من قهر الوحده .. تحمل عني عبء الكلمة؟ تحميني من بهر النور  
أمام جبال الظلمة، ترعاني - ولدى- طفلاً؟

هل لاحظت كيف يطلب الأب من الابن (وهو في السابعة  
العشرة) أن يصبح أباه؟ ! إلخ.

هذه القصيدة التي انتهت بتوصية أن يكون الأب هو فداء  
الابن، لم أتأكد أنني كنت أعنيها فعلاً منذ 28 عاماً إلا وهو  
يشاركني في هذه الندوة منذ أربعة أيام.

أسف مرة أخرى، لكنني كما قلت في البداية، لعل بها فائدة  
"لن يهमे الأمر"

لكن دعنا نعود إلى حوارنا العلمي بعد هذا الاستطراد  
المقحم.

د. أسامة عرفة:

.. منذ عدة سنوات أتاحت لي الظروف تقديم محاضرة بالندوة  
العلمية بدار المقطم عنونها: الهوس والاكتئاب هل هي  
اضطرابات وجدانية؟؟

د. يحيى:

بصراحة يا أسامة أنا معك من حيث المبدأ، وقد تناولت  
بعض هذا الموضوع من قبل، وأنا أضع ما سمعته أبعاد  
تشخيصية Dimensions إضافة إلى المحاور التشخيصية Axes

الموجودة في الدليل الأمريكي والفكرة كما تجدها في الموقع Link قد نشرت كافتتاحية في المجلة العربية للطب النفسي، الفكرة تقول إن "البعد الوجداني" Wijdanic Dimension يمكن أن يضاف إلى أي تشخيص معروف، باعتباره توصيفاً مستقلاً، والزملاء يتعجبون كيف نشخص اكتئاب: غير وجداني Non Wijdanic Depression (مثلاً) في مقابل، اكتئاب آخر وجداني Wijdanic Depression

أرجو أن ترجع إليها في الموقع مؤقتاً الآن، إن شئت، لأنني أنوى أن أعرض الأبعاد بالتفصيل في فرصة لاحقة في هذه النشرة، يا حبذا مع عرض حالات تثبت أحقية هذه الإضافة.

#### د. أسامة عرفة:

الأقرب عندي أن هذه الاضطرابات هي بالأساس اضطراب في منظومة الإيقاع يشمل إيقاع الطاقة و الرغبة و المزاج والنوم والتفكير والحركة وبقية ما يسمى الوظائف البيولوجية ارتفاعاً أو هبوطاً..

#### د. يحيى:

بصراحة، هذا فتح جيد جداً، يشغلني كما تعلم من قديم، هل نأمل يوماً في تقسيم أو صياغة للحالات المضطربة، بحيث نضع كل ما ذكرت هكذا في الاعتبار: "الإيقاع" الطاقة "الرغبة" ...إلخ، وبالتالي تكون وظيفة العلاج هي ضبط وتنظيم هذه الوحدات المتناغمة التي اختلّت العلاقة فيما بينها وهي تعزف لحن الحياة، فينتظم النغم من جديد؟

هذا ليس شعراً ولا حلماً يا أسامة هذا ما نهدف إليه يوماً في التداوي حين يعود الطب فنناً تشكلياً، وبيني وبينك أظن أنه كان كذلك جزئياً قبل الإغارة الكيميائية الاختزالية التجزئية، تلك الإغارة التي ألغت كل التشكيلات والتنظيمات الداخلية من أصله، حتى أنها ألغت التفكير في شيء اسمه "مستويات الوعي".

#### د. أسامة عرفة:

... أرجو أن تسعفي الذاكرة في تصنيف "هنري إيه" لمستويات الوعي إذ جعل في أعلاها ما أسماه (التمبو= الإيقاع الزمني) وربط اضطرابه بالهوس والاكتئاب

#### د. يحيى:

ما هذا يا أسامة! من أين لك معرفة "هنري إيه"، لقد بهرن هذا الرجل سنة 68 - 69 وكنت قد حضرت له بانتظام في سانت آن عاماً بأكمله، مع أنني لم أكن أتقن (أو حتى أعرف بدرجة كافية) الفرنسية، سألت الإبن رفيق حاتم مؤخراً عن موقع "إي" عند الفرنسيين الآن فقال لي أنه تراجع جداً، مع أنه بلغني أنه كان بدأ يأخذ بعض حقه عند الإنجليز في الثمانينات. كل العظماء تراجع دورهم يا أسامة: ياسبرز، ليونهارت، بنزفانجر، أدولف ماير، ما علينا، "مصر الحق يتصل صاحبة" (مثل عامي مصري)، وصاحبه هنا هو "المريض والحقيقة".

نرجع إلى "هنري إى": عدت من فرنسا ومعني صورة جزأين مكتوبين على الآلة الكاتبة عن ما هو ضلال (أو هذا معاً) Declire (مسودة كانا، ربما) حيث كان "إى" يرادف فيها بين الهلوسة والضلال في مستوى السيكيوباتولوجي على الأقل، ثم حصلت بعد عودتي على كتابه عن "الوعي" مترجماً إلى الإنجليزية، ففرحت به جداً، فقد كان أمر الوعي: مفهوما ومعنى، (ومازال) يشغلي، وقد عرفت أنه كان يشغله أيضاً، جداً، جنبا إلى جنب مع انشغاله بموضوع علاقة الصرع بالأمراض النفسية (تلك النظرة التي تلاقت مع فروصي تقريبا تماما)، المهم أمسكت بكتاب "الوعي" بالإنجليزية وإذا به شديد الصعوبة أيضاً، توقفت بعد بضع وثلاثين صفحة وحتى الآن .

أتمنى الآن يا أسامة بعد انفتحنا على إخواننا في المغرب أن يتصدى أحدهم لترجمته إلى العربية، أما أنت فشكرا شكرا على تذكرتك لي بمسألة "التمثؤ" وإن كنت غير متأكد أنه يعني "الإيقاع الزمني" كما أشرت.

قل لي بالله عليك يا أسامة كيف يمكن أن نتناقش في أمور بهذا العمق في مؤتمرات يقال لها "علمية" تجرى بهذه العجالة التي تعرفها، هل عذرتي في إلحاحي في البحث عن بديل، وكيف بدت لي عقولنا في بعض هذه المؤتمرات أطلاقا مبعثرة؟

#### د. أسامة عرفة:

... "أطلال العقول" .. تعبير صادم يتحدى، أثار شجون تجاه مجموعة مميزة من أساتذة الطب النفسي، شديدي الدماثة والاجتهاد والبريق، ساروا على الطريق حسب النظام، والتفصيل، تفوقوا تماما ولكن حسب النظام، هؤلاء المتلقين الناقلين العظام نسوا أمرا هاما نسوا أن يفكروا .. نسوا أن يبدعوا .. عذرا ربما لم يسمحوا لأنفسهم بذلك، وربما لم يفتنوا إلى أن دور عقولهم يبدأ بعد التلقي ويتجاوز حدود النقل..

#### د. يحيى:

إسمح لي أن أعذر هؤلاء الزملاء، وأن أحترم وصفك لهم بـ "مجموعة متميزة .. الخ" المسألة صعبة، ومغامرة الإبداع هي مغامرة الخلق، وقراءة النص البشري تحتاج إلى التخلص من اللافتات الخائفة حتى نحسن نقده (ونحن ننقد أنفسنا معه) لنتشكل معاً، هل لاحظت مثل ذلك في الحوار مع المريض "محمود في يومية" الأصل والصورة؟ link

#### د. أسامة عرفة:

.... هذه التركيبة للشخص أو الفرد اللي عمره ما كان نفسه (الأصل والصورة) نراها بين الحين والآخر مثلا في الشخصية: غير الكفو أو في "شخصية كأن" وكذلك في بعض الفصامين. ..

سؤالي خضرتك: لماذا نفس التركيبة تؤدي لمآلات تشخيصية مختلفة؟ لماذا في هذه الحالة بالذات كان المآل ذهاني؟؟

د . يحيى :

.. أنت تعرف يا أسامة أطروحتي عن "مفهوم الواحدة في مقابل التفتيت التصنيفي"

Unitary concept versus multiple nosological categories

وتجدها في الموقع تفصيلا ولو أنها في صورة شرائح غير محكية بصوتي "بعد"، إن هذا الفرض يُرجع كل الأمراض النفسية (وأياها: الإبداع والسوء) إلى أصل واحد وهو مواجهة النزوع إلى التفسخ (الفصام بالمعنى التركيبي النشط)، وبالتالي تكون المظاهر المتنوعة لكل ما سبق ذكره من أمراض واضطرابات هي محاولات منع ذلك التفسخ بآليات وأعراض مختلفة، ينتج عنها اضطرابات الشخصية التي ذكرت، وغيرها من اضطرابات.

يتوقف نوع المرض على حدة هذا النزوع إلى التفسخ (العامل الوراثي) ثم على الظروف البيئية والتربوية التالية التي تحدد التوجه والتفاصيل والمآل، ويتشكل المرض المحدد حسب غلبة آليات بذاتها، أو فشل بعضها، أو كلها.

وفي حالة اضطراب الشخصية يعامل هذا النزوع بإيقاف النمو قهرا بآليات متنوعة، ذكرت بعضها في **يومية 6-1-2008 "الشخصية الفرحانقباضة وأخواتها"**

المهم: الحمد لله يا شيخ أنك تتذكر ندوات المقطم ومشاركتك فيها، والحمد لله أن هذه النشرة، والمنتدى قد أعاد لنا صوت رفيق حاتم من سان سباستيان قرب باريس، وهذا صوت آخر، أنت تعرفه، يأتينا من نيويورك هو صوت د. خالد العلي، هل تذكره؟

د . خالد عبد العلي:

منذ زمن بعيد وأنا أرغب بالكتابة إليك. لهذا انتهزت هذه الفرصة عندما مررت بهذا المنتدى لأبعث سلامي إليك، وكل من جالست. لقد ذهلت عندما اكتشفت أن رأيتك آخر مره منذ حوالي 17 عاما. علمت أن السنين تمر مرور الكرام.

د . يحيى:

أهلا خالد، 17 سنة!!! كنت أحسبها أكثر، أين أنت الآن؟ وماذا تعمل؟

د . خالد عبد العلي:

منذ تركي للمقطم جسمانيا وأنا أسعى بأطراف المعمورة (مش بتاعت أسكندرية)، حتى انتهى بي المقام بنيويورك بعد سنين من خيرة إنسانية ومهنية ثريه في جبال الأبالشيا بكيينتاكي. ثم أتممت زماله في السيكوفارماكولوجي

psychopharmacology وحصلت على البورد. وحاليا في طريقي للحصول على MPH ماجستير في الصحة العامة.

أنا أعمل حالياً كرئيس وحده مكونه من 14 مريضاً نستقبلهم من المستشفيات الأخرى لمحاولة تأهيلهم وإعادةهم إلى المجتمع بدلاً من State Hospital .

د . يحيى:

السبح لي يا خالد أقول لك أنني مستغرب، إيش جاب السيكوفارماكولوجي لماجستير الصحة العامة للتأهيل بدلاً عن المستشفى الحكومي، أنا أعرف العلاقة بين هذا وذاك وتلك من بعيد، وأثق فيك، وفي قدرتك على التوليف، كثيرون يتصورن أنني بتفكيري التطوري بعيد عن الأدوية والصحة العامة، مع أنه بدوئها لم يكن بمقدوري أن أغوص في دنيا الجنون ولا في دنيا الناس ولا أن أعرف ما عرفت .

أرجو ألا تحرمنا من مداخلتك سواء فيما ينشر في النشرة اليومية، أو فيما هو متاح بالموقع، ولا من إسهامك في المنتدى، وياليتك تتناول تفصيلاً علمية محددة، وخاصة وأنتي فرحت بقلة هذا العدد "14"! مريضاً الذين تتولى رعايتهم، أرجو أن يكون النقاش العلمي والعملية مفيداً لتناقل الخبرات، مما قد يغنينا أن نتحدث في أمور خاصة قد لاتهم بقية المتحاورين أو المشاركين.

د . خالد عبد العلي:

أرجو أن يجمعنا الله قريباً ولتعلم أن لك بيتاً هنا مفتوح دائماً.

د . يحيى:

الظاهر يا خالد أن هذا المنتدى سوف يفتح لي بيوتاً كثيرة عبر العالم، وقلوباً إن شاء الله ، لصالح خلقه في كل مكان، هل تذكر د . أحمد عبد الله يا خالد، أخيراً بدأت مساهمته .

د . أحمد عبدالله: بريد الجمعة 4-1-2008

أنا ممتنع عن التعليق والتعقيب في هذه المرحلة (مرحلة)، لكنني أستقبلك- أستقبله، كل صباح فتعمل بي ماتعمل. يزداد يقيني بأشياء ويرتد عن أشياء ، أقلق وأنتس أخجل من نفسي وأشحن...، أدعو لك، يقول الإمام الشافعي: "من سمع بأذنه صار حاكياً ، ومن أصغى بقلبه صار داعياً ، ومن وعظ بفعله صار هادياً . "فليرسل من يرسل وليمتنع من يمتنع وليظل استمرارك فيما أنت فيه معنا . ونهايةً أذكرك أنك القائل

" يتبعني الناس المثلى،

ليسوا مثلي،

من مثلي لا يسلك إلاً دربه،

يحفره بانين الوحدة." "

د . يحيى:

أنت كما أنت يا بوهيد!!، ولكنني مصر على طلب مشاركتك مفكراً وممارساً وشاعراً، تقرأ معنا النص البشري من موقعك. أرحب بقلقك واثناسك، وأرفض خجلك، ولا أوافق

الإمام الشافعي على "أن" من سمع بأذنه كان حاكياً" إلا إذا أضفنا "فقط" بعد "أذنه"، أي من سمع "بأذنه (فقط) كان حاكياً.

تصور يا أحمد أن الناس لا يصدقون أنني فعلا لا أحتاج أتباعاً بقدر ما احتاج "تحريكا معاً" في اتجاه ضامٍّ في النهاية بلا نهاية، لأن المطلوب هو توحد اتجاه السهم، لا توحد الآراء.

هل نستمع معاً إلى صوت قادم من رأس الخيمة، هو ابن آخر، يبدو أنه لم يصدقني وأنا أقول أن هو د. طلعت مطر، أظنك تعرفه.

#### طلعت مطر: مقالة العطر 4-1-2008

أظنك مازلت تذكرني وهل مازلت تعذرني أحد تلامذتك ؟

د. يحيى:

لا يا شيخ !! وهل من حقي أن أنتقى تلاميذي؟

لو كان الأمر كذلك لكان من حقي أن أنتقى أولادي أيضاً، (سابقى التجهيز!) ؟

يا عم طلعت ! يا عم طلعت، ربنا يخليك.

طلعت مطر:

حاولت - ربما بدون قصد - وربما عن قصد أن أبعد عن فلكك، حين أحسست في وقت ما أنني لا أستطيع التفكير بدونك، أي بدون منهجك في رؤية الأشياء، غير أنني وللحق، لم أفصح تماماً في ذلك، ربما لتشابه ما لا أفهمه، واكتفيت بمتابعة ما تكتبه أو ما تقوله في وسائل الإعلام المختلفة.

د. يحيى:

حلوة هذه "ربما لتشابه ما لا أفهمه"، تذكرني يا طلعت كيف يعلمنا مولانا النفري أن نتعلم مما لا نفهمه، من جهلنا المعرفي، هل قرأت يا ترى كتابي المشترك في رحاب النفري مع ابن مثلك من غير ملتي د. إيهاب الخراط، (مواقف النفري بين التفسير والاستلهام) أظنك وأنت القارئ النهم، سوف تجد فيه شيئاً يستحق وقتك هذا، إذا كنت مازلت تتابع أعمالي.

طلعت مطر:

... (أتابع ما ذكرت آنفاً) مرة بالإعجاب الطويل، ومرة بنقد واعتراض سلمي اكتسبته من وجودي هذه السنوات الطويلة في منطقة الخليج حتى أني أشعر أنني لم أعد مشاركا في مسيرة الحياة، واكتفيت بموقف المتفرج عليها فقط، فقراءاتي كثيرة جدا - ليس لدى شيء غيرها - وأما مشاركاتي فتكاد تكون معدومة.

د. يحيى:

اسمع يا طلعت، مجرد القراءة بهذه الجدية تثبت أنك لست

متفرجا يا أخي، وعى الناس الإيجابي يتجمع فيما بينهم رغما عنهم، إن لم تتبن هذا الفرض معي -ولو كان تحريفا- فسنضيع.

**د . طلعت مطر:**

ترددت كثيرا في ان أكتب لكم حتى أظل أنا انا، أو وربما حتى لا أرجع مرة أخرى الى الفلك القديم، سمه الفكر الممتع، أو الفكر، مجرد الفكر او التحليق في الشمس الذي لن يجلب إلا العمى لكن الحنين والوحدة الشديدة هنا- رغم كثرة الأصدقاء- دفعاني إلى الكتابة إليكم، وما أحمد العود إذا كان العود مجمبي من أن أكون كجرينوى قاتلا وحيدا.

**د . يحيى:**

هل رأيت!!؟! ولكن ما الذي ذكرك بجرينوى الآن؟ لولا أن وعى الناس في كل مكان يلتقط الإبداع الذى يغوص في أعماقنا معاً، ما لقيت رواية العطر هذا الانتشار كله، وما تركت هذه الآثار في كل (أو معظم) من قرأها

**د . طلعت مطر:**

..... لقد قرأت الرواية منذ سنوات وانتشيت حتى انى كنت اشعر بالقلق كلما اقتربت من النهاية. وحاولت رؤيتها من منظور الطب النفسى - وإن كان ذلك يفسد جمال الأدب - وشاءت الظروف أن أعلق عليها في برنامج إذاعي وكانت رؤيتي مغايرة بعض الشئ لرؤية سيادتكم فلقد قرأتها من منظور "أذري"، أكثر من منظور فرويدي

**د . يحيى:**

أنا لا أذكر أنني أعلنت عن رؤيتي المتكاملة لهذه الرواية حتى الآن، ولا أظن أن مدرسة أذر يمكن أن تستوعبها، وقد سبق لى أن أشرت إلى قصور عطاء هذه المدرسة للنقد الأدبي حين حاول د. سامى الدروبي تطبيق بعض مقولاتها على رواية ديستوفسكي نيتوتشكا ترفانوفنا، ويمكن أن تطلع على رأيي في ذلك تفصيلا في كتابي "تبادل الأئنة"، (تبادل) - ثم أذكرك أنك لا تحتاج إلى أن تسمى نقدك باسم مدرسة معينة، إلا لاستشهاد جزئى إيضاحي أحيانا ، قل لى كيف قرأتها

**د . طلعت مطر:**

... كنت أرى أن جرينوى كان باحثا عن الحب الذى حرم منه منذ ولادته، ولما كانت حاسة الشم هى الغريزة الأقدم من منظور تطوري ولما كان جرينوى ولد بين الروائح القذرة في إهمال تام، ظل حياته كلها يبحث عن الآخر بهذه الغريزة، وكان بحثه مبالغا فيه حتى أنه أراد ان يحتوى ذلك الآخر بالاستحواذ على خلاصته أو ماهيته وهى رائحته. وفي الوقت ذاته أراد ان يندمج مع هذا الآخر ويبحث عن حبه عن طريق رائحته هو، حتى ابتلعه الآخر بلغة مدرسة العلاقة بالموضوع التي أشرت إليها.

**د . يحيى:**

أظن أننى أتفق معك جزئيا، وسوف أعود إلى ذلك حتما حين

أقدم نقدي مكتملا من أكثر من بعد وزاوية، من أول البعد البيولوجي التطوري حتى محاولة التأله بزيف التكامل المستقل العبثي القاتل.

**د . طلعت مطر:**

أعجبت بالرواية لأنها من الأعمال الروائية القليلة التي تتناول حاسة الشم وكنت أجدها فقط في أعمال جارسيا ماركيز في\ " ساعة الشؤم\ " مثلا أو\ " أحمل غريق في العالم \ " وقليلًا ما تحدث الشعراء عن هذه الحاسة الأقدم ربما لصعوبة التعبير عنها أو الوصول إليها لا أدري.

**د . يحيى:**

أظن أنني أوافقك أيضا على هذه البداية، وأنت تحفزي لقراءة هذين العملين لماركيز اللذين أشرت إليهما، برغم أنني لم أكتب بعد نقدي لمائة عام من العزلة، وربما أعزو تأخري في ذلك إلى طموحي أن أقرن بينها وبين حرافيش محفوظ (باعتبارهما من روايات الأجيال) لكنني عدلت مؤخرا عن هذه المقارنة، نظر للاختلاف الصارخ.

**د . طلعت مطر:**

... لماذا قرأت هذه الرواية (العطر) مرات عديدة كما ذكرت في موضع آخر؟ هل مست في جوهركم شيئا ما؟ هل هناك رغبة في الامتزاج بالكون والكائنات والملا الأعلى؟ ربما.

**د . يحيى:**

.. طبعا مشت ونصف، ومن ذا الذي ليست عنده رغبة ونزوع تتواصل للامتزاج بالكون والكائنات والملك الأعلى، أنت تعلم أنه: إما أن تحاول ذلك بالإبداع الخالقي، أو بادعاء النبوة، أو بالتحوصل حول الذات زيفا واستغناء وتعاليا فقتلا (مثل غرينوى) أو أنه يتم بالمكابدة الصوفية، أو بالكدح إيمانا، فهذا كله يتوقف على مسار كل منا وفرصه في سعيه للامتزاج بالكون الأعلى.

وللحديث بقية إذا ما واصلت الحوار - يا طلعت- مطمئنا، أنني لا أفرض لا إرادتي ولا منهجي على أحد يا شيخ

حتى اسأل د. أميمة، وأنا لا أعرفها شخصيا، ولم أرها في حياتي، ولكن ما بلغني منها وعنها يقول إنها مجتهدة بنفسها لنفسها ولمرضاهما وللناس، وهي بمسيرتها المستقلة تثبت استشهاد د. احمد عبد الله بقولي: "المثلى لايسلك إلا دربه".

**د . أميمة رفعت: (الممارسة الاكلينيكية بحث علمي مستمر) 8-2008-1**

... بعض الناس لديهم \بذرة\ "هذه المواصفات ولكن إحساسهم بأنهم خارج القطيع ربما يشعرون أحيانا بالتحدي، وفي أغلب الأحيان بالإحباط، وربما بالدونية وفي النهاية بالإغتراب...مقالتك تعيد الثقة في النفس لهؤلاء وتجعلهم يفهمون طبيعة نهم وتطورهم....

منذ عدة سنوات عندما أردت تعلم الفرنسية، وأنا أعرف منها أقل القليل، كان أمام عيني شخص واحد.. هو طه حسين .... صغير ضريب في قرية صغيرة يتعلم في الكتاب ثم الأزهر ثم يتعلم الفرنسية ربما أفضل من أهلها...قصته أهمتي، لست ضريبه وأنا من أهل المدن وتعلمت في المدارس و تخرجت من كلية الطب فماذا ينقصني إذن....فلأكن مثله....وقد تعلمت ليس فقط اللغة الفرنسية، بل درست أدبهم وشعرهم وتاريخ حضارتهم حتى أن أحدهم كان يظني فرانكوفونية منذ نعومة أظفاري.....رحم الله طه حسين....

#### د . مجيى :

هل صدقت يا طلعت أن د. أميمة وهى طبيبة نفسية في الإسكندرية حضرت معنا حوارات جمعة سابقة، لم تسلك إلا دربها، مازلت أذكر كيف أمضيت شهرين متفرغاً لتعلم الفرنسية فور وصولي فرنسا في معهد لتعليمها صوتياً سعياء، في شارع متفرع من ميدان الإتوال، لكننى أبدا لم أحذقها، ولو كنت حذقتها لكان "هنري إى" أضاف لى ما أنا في أشد الحاجة إليه كما قلت للإبن أسامة عرفة حالا، فنحن - في الشرق العربى- محرومون من عطاء الفرنسية، وأرجو أن يكون في التعاون الذي يمثله الابن جمال التركي وزملاؤه ما يعوض بعض هذا الحرمان كما فعلت يا أميمة .

#### د . أميمة رفعت:

.... أهمنى فيكتور هوجو بشيء آخر كان له أكبر الأثر في تطور شخصيتي، فمع دخولي في الثلاثينات من العمر شعرت بأن أفكاري تتغير وأن ما كنت أظنها مبادئ ثابتة وجزءاً من هويتي ليست في الحقيقة كذلك، ولكننى خشيت التغيير..فقد تعلمنا في مجتمعنا أن الإنسان المثالي ثابت على المبدأ، لا يغيره الزمن، وهو لا يأسف ولا يندم ولا يكرر كلمته مرتين، فهو كالسيف قاطع حازم دائماً وأبداً....ولكن أثناء قراءة لسيرة \ "هوجو\ وجدته يدافع عن معتقداته السياسية بكل ما أوتى من قدرة على الإقناع وبكل طاقته اللغوية وبكل إمكاناته الفنية، تارة بكتابة المقال وأخرى بالشعر، ثم تمر السنون فإذا به ينضج ويتغير من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، فيفند حججه بنفس الطلاقة فيكون معبود الفرنسيين الأول على الإطلاق في ذلك الوقت.... وقد أهمني ذلك بأننى يجب أن أتغير لأتطور وأن عدم التغيير لا يعنى إطلاقاً الثبات والجساره، بل هو الجمود ثم التضاؤل ... فتركت لنفسى العنان وكانت انطلاقة كبرى في حياتي كلها.

#### د . مجيى :

أرجو أن ترجعي يا أميمة إلى بومبة 16-10-2007 من ملف الأخلاق (2) وسوف تجدين أننى أقررت ما تقولين سواء عن نفسك أو نقلا عن فيكتور هوجو عندما اعتبرت أن قيمة "مجيىا الثبات على المبدأ" هى من القيم التى انتهى (أو ينبغي أن ينتهى) عمرها الافتراضى، ثم إنى أنوى الرجوع إلى مناقشة النمو المستمر عند إريك أريكسون هنا معكم لتوضيح أكثر وتدعيم لما تقولين وغيره .

**د. أميمة رفعت:**

..... د. يحيى، تتعجب أن أحدا لا يرسل تعليقا وتبحث عن الخطأ... ليس هناك خطأ... ولكنكم مصدر إلهام، بطريقة أو بأخرى...مقالتكم، سيرتكم الذاتية، أسلوب الحديث، نمط التفكير، أوكل ذلك سويا...يحتاج الأمر إلى وقت للتفكير ثم التعلل ثم الهضم ثم شحذ الطاقة ثم القيام بالفعل ليحدث أخيرا التطور...أليس هذا هو الهدف في النهاية؟..... نعم أنت مصدر إلهام لكثير منا، فاصبر علينا و لا تيأس منا.....

**د. يحيى:**

وهل أنا أجرؤ أن أياس ، كم تمنيت أن أمتع برفاهية الأيس، أو أن أتباهى بفوقية التشاؤم، يبدو يا أميمة أن المهتمين بما نحاوله يتزايدون فعلا وهم ينضمون إلينا من هنا وهناك.

هذا ضيف جيد

د. منذر محمود البديري

**د. منذر:**

أتابع كتاباتكم على الشبكة العالمية وقد قرأت بعض كتبكم نظرا لأهميتها، خاصة أنها تكتب باللغة العربية أرجو أن ترسلها لي على عنوان بريدي ..

**د. يحيى:**

شكراً د. منذر، وأعتقد أن كل كتبي التي نزلت حتى الآن بالموقع هي بالعربية، وكذا المقالات، هي موجودة في نفس الموقع الذي أرسلت عليه رسالتك، ويمكن أن تنزلها كاملة دون مقابل، وهي ليست كلها متاحة في صورة ورقية حالياً.

ثم إنى أرجو أن يكون لديك الوقت لمتابعة النشرة اليومية أو الاشتراك في منتدى الإنسان والتطور، أو على الأقل تشاركنا فيما تبقى في هذا الحوار الآن، صديقنا المتدفق دائما راضى عادل، وإن كنا سوف نستأذنه أن نختصر طلاقته اليوم فقد طال الحوار.

**أ. رامى عادل: ابداعات محفوظ/ الخميس 2008/1/4**

..... هذا الإبداع واقع، مكثف، مركز، دسم، رابى، وحلوب، أى والله. فأنا اشعر وكأنى على ربوة وأنهل من السحاب، ولا أرتوي ولا أشعر بالظمأ، إنه معين لا ينضب ، إنه إبداع صاف، فأنا قرأته 4 مرات، وكتبته مره، ولم ولن اشبع أبدا منه. حقا إنه محفوظ في إبداعاته الحديثة جدا. إبداعاته التي لا اعرف متى كتبها تحديدا، لكنها معاصره ومواكبه وعامله زى الزبأدى المضروب في الخلط مع العسل النحل ندخل في الموضوع ساعدني يا عم يحيى اوصل لنقد مناسب.

**د. يحيى:**

بصراحة يا رامى هذه مقدمة نقد طريف، أهم شئ أنها

نابعة من جهد التلقى، ومثابرة الإعادة (4 مرات قراءة، ومرة كتابة بالعسل النحل) ثم إنه قد وصلني صدقك وحبك معاً لمن أحب وأرجو أن أوفي ديني تجاهه .

أ. رامى عادل: الموت والوجود (مع اندرسون... 5/1/2008)  
أنت وأنا والبحر والنهارده الذهب والموج الحانى.  
دعونا نستمتع انا وعم يحيى لهذا النداء  
الهامس. تعالى يا عم يحيى وادعوني معك لننهل  
من العطاء المبارك, لنرتشف سويا من نبع الحب  
الدافئ.. هيا هيا يا عم يحيى, فالليل الماجن  
يدعوك للرحيل . انا اعلم انك لن تنتظرنى,  
فأمامك مشوار طويل.....

د. يحيى:

ماذا جرى لك يا رامى، أنت تكتب شعراء، كفى هذا، ليس فقط لأنني أحجل من حضوري معك هكذا، ولكن لأن كثرة الكلمات - حتى مع صدقها- قد لا تضيف إلينا، إلى الناس، شيئاً مما نرجوه لنا ولهم، يبدو يا رامى أن الحاجة إلى الناس، هي التي تلزمتنا أن نقبل وحدتنا، إليهم، ثم تُفرج، هل قرأت نهاية قراءتي للحلم...

أ. رامى عادل: 7-1-2008

يا الله. كل ده شايله\_ لوحدك\_ من زمن؟ شايله مع مين الهم ده؟ هم الوحده والنبذ... أنك مرفوض. انا ببالغ. طبعاً، إمال ايه المولد ده؟ انا باتكلم عن فكرك الحقيقى البسيط الثورى الجميل الطيب اللى بيخاطبني انا وجيلى مش بتاع الرطن الصعب. انا عارف انك ابسط من البساطه. وباتخيلك ومتصور إنك بطل شعبي، وأصغر من كده بكثير في ملاحك ورغم ذلك عملاق شامخ....  
بتهيج مشاعر شعب. سيبك من اللى انت / حضرتك بتبينه.  
الخفي أهم، الخفي من كلامك أهم.

د. يحيى:

اضطرت يا رامى هذه المرة أن أثبت ما أحذفه عادة من وصفك لشخصي وما أحاول أن أقوم به، فمن ناحية هو محرج، ومن ناحية أخرى أجد فيه مبالغة لا أستحقها، وخاصة من لا يعرف قصوري وأخطائي أو خطايي، لكنني أثبتُ ما قلتُ أنت هذه المرة ضد تحفظاتي، احتراماً لحُدُك كالعادة، وفي نفس الوقت لأنتوقف عند آخر عبارة "الخفي أهم" ياه! هذا يطمئني، خصوصاً أنه يبدو خفياً حتى عليّ، لعله هو الأهم فعلاً.

والآن هيا نختتم بـ د.زكى سالم الذى أنتظر مشاركته دائماً، وخاصة فيما أتصور أنه يحصه (محفوظ، والتصوف) فانظر معي يا رامى عذره، فإذا قبلته أنت، فسوف أقبله أنا !!

د. زكى سالم: قراءة كاملة للحلم رقم (22) 3-1-2008

... أنا برغم حبي للكتابة، والتي أعتبرها عملي الوحيد، إلا أنني أجد صعوبة شديدة في عملية الكتابة

د . يحيى :

بالذمة يا زكى، وأشهد عليك رامى. كيف تكون الكتابة هى عملك الوحيد، ومهما كانت صعبة، ثم لا تشاركنا رغم كل هذا الإلحاح منى، ثم إن تعليقك على الحلم كان صادقا وطيبا، لكن هل يكفي ما قلت:

د . زكى سالم :

.... لايد أن نتأمل في طريقة الأستاذ في تحويل المادة الخام (كلامك عن فساد شركات الأدوية) إلى شكل فنى بديع يعبر من خلاله عن مأساة الإنسان في عصرنا

د . يحيى :

..... عندك حق، والله يا شيخ عندك، وقد أنهيت حلم 24 أمس بمثل ذلك،

"فرقُ بين مقال صارخ، وإبداع مخترق يحررنا إلى ما ينبغى".

وفي انتظارك أبداً.

شكرا يا زكى.

الملحق: مداخلات د. جمال التركي

المقتطف (من كلام د. يحيى في بعض حوارات الجمعة) :

" مازلت أتساءل كيف يدعوننى زملائي وتلاميذي بالمئات لأشارك في ندوة أو مؤتمر ثم لا يكلفون خاطرهم بقراءة بضع ورقات أكتبها يوميا لأقول ما عندي، ولا يعتنون بالتعقيب عليها، وكأن المؤتمرات بها فرص أوسع!!، "

المداخلة (د. جمال التركي) :

أتفق الرأي معك فيما يخص تدنى الأهمية "العلمية" للمؤتمرات، كنت حدثتك عن هذا عند لقائى الأخير بك، ولكنى أختلف معك في أنه على صاحب الفكر أن يتواجد في بعض مثل هذه المنتديات، ليس حتما للاستفادة العلمية لأنه مشكوك فيها، إنما للتواصل مع المشاركين، مثلا إن الفرق كبير في تفاعلي مع فكري. بين معرفتي للرخاوي كـ"فكر" من خلال موقع أو مجلة أو وسيلة أخرى، ومعرفتي به كإنسان، إن المعرفة الإنسانية لصاحب أي فكر تعد أوسع المداخل لفكره وأطروحاته. و حسب اعتقادي لو كان يكفي عرض أى فكر على من يهمهم الأمر من خلال أى منبر ( وسيلة إعلام ) لاكتفى رسل الله توزيع ما وصلهم على أقوامهم باستعمال وسائل ذلك العصر دون حاجة للاتصال و التواصل. إن الاتصال الشخصي والتواصل الإنساني مع الآخر المتلقي، يساهم بشكل كبير في التعريف بفكر وأطروحات صاحب الرسالة وفي تجاوز حواجز عقد معيقة عديدة.

د . يحيى (تعقيب على الداخلة) :

أوافقك تماما يا جمال، وأنا لم أحضر مؤتمرا (أو حتى ندوة أو اجتماعا) إلا رجعت نادما معذرا لنفسي (ولهم في نفسي) عن أفكاري قبل المؤتمر، لكن لكل شيء حدوده،

وللسن أيضا اعتباره. و(وكل وقت وله أذان) والبركة فيكم تبلغون إيجابيات ما يجرى في المؤتمرات، مع الحذر من التمويل ما أمكن ذلك!

**المقتطف:**

"مازلت أتساءل كيف يدعوني زملائي وتلاميذي بالمئات لأشارك في ندوة أو مؤتمر ثم لا يكلفون خاطرهم بقراءة بضع ورقات أكتبها يوميا لأقول ما عندي، ولا يعتنون بالتعقيب عليها، وكان المؤتمرات بها فرص أوسع!!"

**المدخلة:**

ومن هنا فإنني أعتقد أن المشاركة في بعض المؤتمرات، خاصة التي تحظى بمشاركة موسعة على المستوى العربي أو العالمي (وهي قليلة) هامة لكل صاحب فكر حتى وإن غاب المردود العلمي، ذلك لما توفره هذه المؤتمرات من فرص التعرف على الآخر ومحاورته (على المدى القريب والبعيد) والذي لم أكن لأصل إليه لولا مثل هذه المناسبات. ومن واقع تجريبي فإنني ألاحظ أنه بعد مشاركتي أي مؤتمر، ارتفع هام في عدد متصفي الشبكة في مرحلة أولى، ثم ارتفع المشاركون إثرها في مرحلة ثانية. أتفق معك في التقليل إلى حد كبير، من المشاركة في المؤتمرات و لكني لا أتفق على مقاطعتها لأنها تقدم دفعا لا يستهان به لما أعرضه من فكر و أطروحات خاصة إن أحسنا اختيارها.

**د . يحيى:**

أنا لا أدعو للمقاطعة إطلاقاً، لا مقاطعة المؤتمرات، ولا حتى مقاطعة الوسواس القهري حسب توصية مولانا النفرى (مواقف النفرى بن التفسير والاستلهام).

**المقتطف:**

"لا أحد يفقد كرامته يا رامي مهما فعلوا فيه، لا أحد يفقد كرامته إلا إذا تنازل هو عنها."

**المدخلة:**

إن كرامة الفرد من كرامة المجموعة التي ينتمي إليها (أسرة، شعباً، ووطناً). أكيد لا يقبل أحد أن يتنازل عن كرامته ولكنها قد تسلب منه رغماً عن إرادته. أي كرامة لمن أذلته أنظمة الاستبداد؟! أي كرامة لمن عبثت به قوى انسانيته أجهزة استخبارات؟! أي كرامة لمن عبثت به قوى استعمارية، أي كرامة لمن مزغ (مبنى للمجهول) شعبه في الوحل، لمن سرق تاريخه على مرأى العالم، أي كرامة لفرد ينتمي لأمة تداعت عليه القوى (داخلية وخارجية) فعبثت به كفيروس في جسد فاقد المناعة

**د . يحيى:**

معك حق والله والعظيم، لكن من ذا يستطيع أن ينتزع مني كرامتي الداخلية إلا بعد موتى؟، من يجرؤ على المساس بجريتي وأنا أتمسك بموقفي أمام ربى حتى وأنا مسجون بأوامر أقبح القوى وراء القضبان، قد يستولون على حرية جسدى أو

يقطعون لسانى، أو يفقئون عيني، لكنى أظل أمام ربى كما خلقنى إنسانا مكرما برغم كل شيء، إلا إذا تنازلت أنا عن أى من ذلك.

**المقتطف:**

"... باسم العدل الحق العليم، باسم الإنسان المصرى (أو العربى) **الفريد** ... " - حوار بريد الجمعة 2008/01/01

**المدخلية:**

قرأتها سنة 1980" .. باسم الإنسان المصرى العنيد "

وأقرأها سنة 2008 " باسم الإنسان العربى الواعد"

وسأقرأها سنة 2036 .. "باسم الإنسان الكادح المكابد"

هكذا قرأتها وأقرأها وسأقرأها بإذن الله، أما وقد توفرت أدوات التواصل لنقرأها اليوم "باسم الإنسان العربى" وقد وفر علينا المخزون الثقافى المشترك، استعداد العربى "الإنسان" لتقبلها والتفاعل معها (وإن كنا لازلنا فى بداية المسيرة)، علينا من الآن العمل و الاستعداد للغد (علما ولغة وحضارة ومعرفة و ...) حتى نستطيع قراءتها " باسم إنسان العصر.. " وما ذلك على الله بعزيز.

**د . يحيى:**

ربنا يخليك وينفع بك أكثر فأكثر .

**المقتطف:**

" فهل يحقق هذا المنتدى 2008 ما تصورنا أننا عجزنا عن تحقيقه برغم كل ما حاولنا؟! "

**المدخلية:**

"أننا عجزنا"، إنه إذن مجرد تصور وليس يقين، إن ما وصل إليه "فكر الإنسان والتطور" قد لا يؤكد هذا التصور بل إنه أخذ حظه على مستوى القطر المصرى (قد يختلف حول النسبة فى هذا) هل أخذ حظه كاملا أم منقوصا مثل هذا الجدل ليس موضوعنا، قد يكون أخذ حظه بما تسمح به أدوات تلك الفترة (الثمانينات)، أما عن تساؤلكم هل يحقق المنتدى ومن ورائه موقعكم وموقعنا ما تصورتم أنكم عجزتم عن تحقيقه" فإنى أقرأها " هل تحقق ما توصلنا إليه وحققناه على مستوى مصر"، الأمل كبير فى أن يتجاوز ذلك بحكم اتساع الشريحة المستهدفة ويسر التواصل وسرعته، والأمل أكبر عندما يتجاوز هذا الخطاب الإنسان العربى إلى إنسان العصر.

**د . يحيى:**

ربنا يطمنك يا جمال، من فمك إلى باب السماء، عندنا مثل مصرى (أعتقد أن له ما يقابله عندكم)، يقول: "إيش خاطر الأعمى، قال: قفة عيون"

**المقتطف:**

" كل إنسان منا يعتقد أن عقله هو فريد نوعه، أو أن

عقله هو العقل الحقيقي، والباقي أشباه عقول... ،  
أنواع العقول، وإلغاء إلى عقول الآخرين 2008/01/02

#### المدخلية:

أصبت، هذا موطن الداء فينا، إن هذا التصور مصدر شقائنا وتعاستنا، إنه الأرضية التي ترعرع في ظلها التطرف والأصولية، إنه المولد لتضخم الشخصية المرضى الذي نعاني منه، إنه بلسم انجراحاتنا النرجسية و نحن غارقون في الوحل، إنه الوسيلة الدفاعية التي تقينا تبخيس الذات... إنه الأنا المتضخمة التي تجعل منا الأرقى عقلا، فكرا، عقيدة، ثقافة، والآخرين في درجة دنيا... أليس المختلف عنا بفكره ومعتقده أهل ذمة "أكرمك الله" (إنك حظيت بكرم الله وعنايته أن اصطفاك و لم تكن من هؤلاء)

#### د. يحيى:

شكراً ، لا تعليق

#### المقتطف:

".. هذه الشركات والحكومات، تحكمها أنظمة قهرية قوية ثابتة تبدو أنها لا ينفذ منها ماء الحياء أو العدل أو المسئولية أو العلم بالمعنى الأخلاقي والحقيقي، لكنها تبدو متماسكة وضرورية " نجيب محفوظ: "في أحلام فترة النقاة"-  
قراءة من أحلام فترة النقاة " الخلم 21-22"

#### المدخلية:

نعم هذه كذلك، وأكثر من ذلك... وليس من سمع كمن شاهد (لا أعنى رأي)... لكن الإشكالية الكبرى في عجزنا وفي حاجتنا: عجزنا عن المنافسة في جميع المستويات: فلا مخابر تكتشف ولا شركات وطنية أو لنقل عربية أو حتى إسلامية للمنافسة... إنها التبعية الفجة وإنه الاستغلال في أقبح وجوهه.. جميعا نعلم هذا والبعض يعلم أكثر... ورغم ذلك فنحن نتعامل معهم ونستعمل أدويتهم... وسنبقى كذلك إلى حين تأسيس صناعة دوائية وطنية قادرة على البحث والاكتشاف في مرحلة أولى وعلى المنافسة بندية، لاحقا في سوق تتحكم فيها مافيا خفية... وإن كنت لا أدري في الأفق حلا قريبا للتخلص من التبعية الدوائية، وفي الانتظار نعمل جاهدين للتخلص من سطوة يدهم الطويل ومن شراك "البرجة الفكرية" التي أسرونا فيها بما يملكون من إمكانيات ضخمة، من خلال "رشاوى و علاوات مستترة" (أهل المهنة يعرفون البعض منها) وحضرتكم أدري بمثل هذه الوسائل.

#### د. يحيى:

تَعَلَّم يا جمال أنى لست ضد الدواء، أنا من أكثر من يستعمل العقاقير، خاصة الأرخض والأنجج، ولا أصدق الإشاعات (المغرضة) حول أعراضها الجانبية، مهما لبست ثوب العلم الزائف، ثم إنى استعملها من منطلق، تطوري، ونجاحي وشفاء

مرضاي يطمئناني ، أما ما نتحدث عنه وتوافقني عليه من شركات عملاقة أكثر جشعا، وبشاعة، فهو سياسة، وتجارة ، وحروب، ومافيا على مستوى العالم ومع ذلك سوف ننتصر.

#### المقتطف:

"أما الآخرون فلم يفهموا كيف أن العلاقات البشرية الحقيقية- بما في ذلك الجنس - يمكن أن تكون طريقا إلى الله "

#### المدخلة :

رائعة هذه "الحقيقية"(العلاقات البشرية) و "الجنسية منها" و "يمكن أن تكون طريقا إلى الله"... "الحقيقية" فقط، لأنها هي التي تسمح لي أن أتعرى كنص بشري شفاف في علاقتي بالآخر ذلك النص المفتوح الذي أقرأه دون حاجتي إلى مفاتيح فك الشفرة. عندما يكون نص كل واحد عار من الرتوش والتجميل المصطنع والمساحيق، عندما أكون أنا "أنا" في وعيك وتكون أنت "أنت" في وعيي... تقرأ في "بديع صنع الله" وأقرأ فيك "الذي سواك فعدلك"... عندها تكون علاقتنا "حقيقية" عندها فقط "يمكن" أن تكون طريقا إلى الله ( ليس متأكدا) وإذا لم يتحقق ذلك فمازلنا في حاجة إلى مزيد مقل النص و تنقيته مما شابه ( نصي ونصك)

#### د. يحيى:

فرحان أنا أن وُضلك الجزء الإيجابي من الرسالة  
شكراً يا جمال على هذه المدخلة الواعية، وأنا مشفق على وقتك،

وشكراً على كل شيء،

وحين أكف عن شكرك خجلا من التكرار،

فاعلم أني أشكرك .

- أدخلت كلمة وجدان بحروف لاتينية، Wijdan لأنني لم أعتز على ما يقابلها في الإنجليزية، فهي لاتعني affect أو emotion أو mood أو Sentiment وبينت أسباب ذلك في البحث .

#### Forum Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

#### Forum Subscription

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

#### Mail To Forum Participate

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

#### FORUM INVITATION

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

## 134- قبيلات وأحضان، وحوار الأديان

## قبيلات وأحضان، وحوار الأديان\*

فرضت على مهنتي، و"لغات" مرضى، أن أحسن الانصات للغات كثيرة معاً، عبر قنوات كثيرة من أهمها تعبيرات الوجه والجسد والعيون، كما فرضت على الفرص المتنوعة التي تتيح لي متابعة الشأن العام أن أقرأ صور الأخبار أكثر من الأخبار والكلمات المتبادلة.

في مهنتي أسمح لأم المريض أو أخته أن تظل مرتدية النقاب وهي تبلغني أحوال ابنها أو أخيها، (هي حزة!) لكنني أعتذر عن مواصلة الكشف على مريضة تصر على ارتداء النقاب لأن الوجه قد يقول كلاماً غير الكلام، فإذا رفضت وأصرت فإنني أعتذر وأرجع لها الكشف، وسوف تجد أفضل مني.

كذلك في العلاج، خاصة العلاج الجمعي، نعتني بالانتباه إلى تفاصيل تغيرات الوجه والعيون، وتغير لون البشرة، وقد صوّرت ذلك في ديواني "أغوار النفس" قائلا "... مش بس غنيك، تّذويرة وشك، وسلام بّك على خدك، والهزه فّ ذقنك، وكلام اللون: اللون الباهت الميث، واللون الأرضي الكلخان، واللون اللّي يطق شرّار، واللون اللّي مالوش لون، وعروق الوش، والرقبة، وخطوط القورة، وطريقة بلّغك ريقك، تشويجة يدك، إلى آخره!

الصور التي تنشر في الصحف لا يصلني منها لون أو رائحة، وإن كنت أخلّقهما، وحتى صور التليفزيون، ليست كافية لنقل نبض الجسد الحي، ومع ذلك فما يصلني يسمح لي أن أتساءل عن هؤلاء الرؤساء العظام، الذين يقبلون بعضهم البعض، ويتسمون للمصورين، بينما دماء الأطفال الأبرياء، والكهول وكل الناس تسيل أنهاراً، وبينما أجساد المظلومين تتناثر أشلاء، وبينما كرامة البشر تداس بأقذر الأحذية، أتابع ابتساماتهم على اختلاف مساحة انفراج الشفاه، ولعة العين، وأتعجب وأنا أدعو لهم بالصبر والتوفيق، ولا أخفي - على نفسي - إعجابي الخاص بهم، وربما حقدى على قدرتهم على السيطرة على مشاعرهم الحقيقية (إن وجدت) وليس هذه الابتسامات الدبلوماسية الرائقة.

الأصعب عندي في الفهم والتقبل تلك "الأحضان الحوارية" التي يتعانق فيها أهل الأديان المختلفة ورؤساؤها وهم يعلنون بصدق أنهم يحبون بعضهم البعض جدا جدا، لدرجة أن أيا منهم لا يدعى للمحسوب أن يهديه عقله القاصر إلى أنه على باطل 100 % وبالتالي، يتمنى المتعانق منهم - إخلاصا لدينه - ومن فرط حبه لحضينه (الذي يحضنه) أن يُدخله دينه، لأن هذا هو **الطريق الوحيد** الذي يمكن أن ينقذه من العمى الذي هو فيه، لأنه لو استعمل "عقله السليم" إذن لاهتدى إلى الدين السليم، (دين الخاضع) وبالعكس! وهم يعلنون "حوار الأديان" و"قبول الآخر"، بالمرّة!!.

أكرر كيف أن البابا شنودة نبهنا مرارا أنه لا "حوار بين الأديان" وأن الحوار الممكن هو بين المتدينين، وقد عاد الابن إبراهيم عيسى ينبه إلى مثل ذلك في كلمته الافتتاحية في أحد أعداد الدستور اليومية منذ أسابيع، وهذا وذاك من أصح الصحيح،

إن حوار المتدينين إنما يدور - على أحسن الفروض - حول كيف نتفق على المساحة المسموح فيها بالحوار، وأن نتجنب المساحات المخرجة الأخرى، التي لا يتم فيها الحوار إلا بين أفراد نفس الدين، بل نفس المذهب، أو نفس الملة، هذا إذا كانوا - ولا مؤاخذه - يعرفون ماذا يعنى الحوار أصلاً .

أما حوار الأديان الحقيقي فأنا مع البابا شنودة - كل سنة وهو وهم ونحن طيبون - ومع أبي يحيى (إبراهيم عيسى) وأستاذهما في شرح السبب":

إن حوار الأديان إن صدق فعلا وكان جدلا حيا ومسئولا ومتطورا، لابد وأن يخرج منه "دين جديد"، توليف يجمع الاختلاف في كل جديد، وقد وقع في هذا المأزق مجتهدون وانتهى بهم الأمر إلى كوارث بلا حدود، حيث ظهرت أديان توفيقية أو تلفيقية مثل البهائية، والكنيسة الذهبية، وكنيسة جيم جونس ..... إلخ.

### ما العمل إذن؟

هل تتوقف الأديان عن الحوار نهائيا؟ وكيف؟

هل نكتفى بحوار المتدينين وهم وشطارتهم؟

هل نضع رؤوسنا في الرمال ويغى كل منا دينه - وخصوصا في البطاقة الشخصية والعائلية وجواز السفر!!- ثم نتحاور ونحن ناقصون معلومات عن بعضها البعض وكأن دين كل منا "عيب" لا يجوز أن يطلع عليه غريب!!.

ليست عندي إجابات قابلة للتعميم في مرحلتنا الراهنة .

فقط ليكن كل منا أمينا مع دينه الذي ولد به، ومع وجوده مع آخرين مختلفين، هم أيضا ولدوا فوجدوا أنفسهم الناحية الأخرى، وأن يتق الله ربّه، وأن يقرأ كتابه، وكفى

بنفسه عليه حسيبا، وأن يفهم تفسير "محمد إقبال" فكرة ختم النبوة بـمحمد عليه الصلاة والسلام، بأنه تنبيه بأن البشرية قد نعتت، وأن الآوان أن يحمل كل إنسان مسئولية وجوده بنفسه دون انتظار وحى جديد يحل له مشاكله.

\* تنويه: ابتداء من اليوم سوف تخصص يوم السبت لنشر ما يسمى تعتعة، وهو المقال الذي يكتبه أ.د. يحيى الرخاوي في العدد الأسبوعي لصحيفة الدستور، ذلك لأنه وصلنا ما يفيد أن الدستور لا تصل إلى من يريدون متابعة هذه التعتعة في الخارج بوجه خاص، هذا علما بأن فكرة التعتعة هي تحريك الوعي للشخص العادي في مواجهة القضايا الجارية والجمود الجاثم.

**The Man & Evolution FORUM Web Site**

<http://fr.groups.yahoo.com/TheManAndEvolutionForum/>

**Forum Subscription**

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

**Mail To Forum Participate**

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

**FORUM INVITATION**

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)



تفسير "أمة وسطا" في الإسلام، وقد رفضت هذا التفسير الساكن للوسطية لهذا الدين الحيوى المتجدد أبداً.

الخل الآخر الذى يمكن أن يتجاوز ما يتبادر للذهن من تناقض قطبي الاستقطاب هو **الخل التبادلى**، بمعنى أننا إذا قبلنا قطبي الاستقطاب مع اعتبار البعد الرابع (الزمن) واكتشفنا أن لكل قطب دوره فى زمنه، فإن القطبين يصبحان متكاملين لا متضادين، تماماً مثل تكامل الليل مع النهار بالتبادل، والنوم مع اليقظة، والنوم الخالم المصاحب بحركات العين السريعة (نوم: ريم) مع النوم غير الخالم بدون حركات العين السريعة (نوم: بدريم). هذا النوع من التبادل هو طولى بشكل أو بآخر، وله علاقة مناسبة بحركية الإيقاع (أنظر بعد).

### الثقة الأساسية مقابل التخوين

المفروض أن الطفل فى بطن أمه هو محاط بحماية كافية، معتمد اعتماداً مطلقاً، يصله غذاؤه جاهزاً كاملاً حتى دمه مباشرة، وهو سعيد بتأخر نمو وعيه، واثق من خطاته الواحدة تلو الأخرى، لا يعمل حساب آخر يزعجه (حتى لو كان توأمه) وهو ليس عنده غدٌ يقلقه حتى لو كان قاب قوسين أو أدنى من خروجه إلى عالم "الآخرين" المزعج، عالماً، وحين يطرد من هذه الجنة الآمنة، وعجرد أن يميز بين ما هو "أنا"، وما هو "لا أنا" تبدأ حركية النمو بكل روعتها ومخاطرها وعودها

الموقف المطروح على وعينا الظاهر فى معظم فترات حياتنا هو **الاختبار بين الثقة والتخوين**،

أنا أثق فى فلان، أنا أستخون فلانة،

إما أنا أثق فىك تماماً، أو أنا لا أثق فىك أصلاً ودائماً،

أنت محل ثقى فعلاً، أنت لا يوثق فىك أبداً،

الصحة النفسية هى أن تثق فى الناس، أما لو استخونت خلق الله فهو التفكير التأمري والاضطراب

هذا كله اختزال معيب، ضد الطبيعة البشرية، والتطور الحيوى، ومسيرة النمو.

فإذا كان الخل الشويأتى هو تسكين مؤقت، وكان الخل الوسط هو أيضاً كذلك، ويصبح خطراً على النمو لو كان هو (أو الخل الشويأتى) **نهاية المطاف**

فما هى البدائل حتى نستطيع أن نستوعب الطبيعة البشرية فى حركيتها النمائية؟

### محاور وآليات حركية النمو

المعادلات الميكانيكية، والرياضة الإقليدية، والطبيعة

النيوتونية، والمنطق الأرسطي، على أهمية كل منها، أصبحت كل هذه المراحل من المراحل التي يجب احترامها في تاريخها، وأيضاً فيما تبقى لها من أدوار محدودة في حياتنا المعاصرة وفكرنا الحديث، ولكنها لم تعد صالحة لتفسير كثير من الظاهر الطبيعية في ذاتها، المعقدة في تفسيرها. لن أدخل في تفاصيل ما طرأ من تحديث وتجاوزات علمية وفكرية ومعرفية لهذه المفاهيم جيمعها: أولاً لأنني لست أهلاً لذلك، وثانياً لأنها شديدة التخصص برغم من أن إضافاتها وإسهاماتها هي جارية ليل نهار في حياتنا اليومية.

من واقع استعادة حركية النمو في علاج الأمراض النفسية عامة، وعلاج الذهان خاصة، والعلاج الجمعي أكثر تحديداً، وأيضاً من واقع رصد ما أمكن من حركية الجنون فالنكوص والتدهور، كل ذلك من منظور حركي تطوري حيوي، يمكن رصد معالم الفرض الذي نقدمه في هذه المداخلة على الوجه التالي:

### معالم الفرض

• تتم حركية النمو (التطور) على محاور متعددة طول الوقت، وهي ليست محاور متتالية أو اختيارية فيما بينها، بقدر ما هو محاور آنية (في نفس الوقت) مواكبة (معاً) متناوبة (إيقاعية) متكاملة (كلية) جدلية (ولافية).

• إن أي تفكير لا يأخذ في الاعتبار بعدئ الحركة والزمن لا يمكنه الإحاطة الكافية بعملية النمو والتطور

• وبالتالي، فإن أي حديث عن النمو أو التطور من بعد ساكن (استاتيكي) هو إما قاصر، أو خطأ

• إن وصف هذه الحركات المقترحة هو من منظور إكلينيكي أساساً، تاركين ترجمته إلى آليات الرياضة أو الطبيعة الحديثتين أو حتى إلى لغة البيولوجي لمرحلة لاحقة، ومختصين أقدر.

• إن وضع هذه الأبعاد الحركية في الاعتبار يترتب عليه إلغاء الاستقطاب السكوني، والعكسي باحتواء القطبين بآليات مختلفة حسب المرحلة والسياق المتاح

• وفيما يلي الحركات المقترحة

الحركة "الذاهبة العائدة، الداخلة الخارجة"، (To-and-Fro & In-and-out Movement)

الحركة "الاستقطابية التكاملية الخيطة" (Containment Polarization Integrative Movement)

الحركة "الإيقاعية الحيوية" (Biorhythmic Movement)

الحركة "الجدلية الولايفية" (Dialectic Synthetic Movement)

أكتفى في هذه المقدمة بشرح شديد الإيجاز (لدرجة قد تكون

خلة) لهذه الحركات الأربع، حيث أفضل تأجيل التفاصيل حين إمكانية الاستشهاد في كل منها بعينات حية من حالات أكلينيكية، بعد تنظير مناسب، وأيضاً تمهيداً لتهيئة استعداد كاف من المتلقى.

الإشكال في تناول أى بعد للحركية في ذاتها أننا نتناولها ونحن في حالة أبعد ما تكون عنها، وأيضاً في أننا عادة لا نتعرف على الحركة ذاتها، بل على ناتجها، حركية الإبداع هي المثال الواضح لهذه المحاذير والصعوبات معاً، معظم دراسات الإبداع تتناول ناتج الإبداع أكثر من تناولها حركية الإبداع باستثناءات قليلة أهمها عمل خالدة سعيد، وأنتوني ستور .

أمل في تقديم باقى التنظير مع عينات حية سواء في سلسلة "حالات وأحوال"، أم مع آليات العلاج الجمعى (كما سيرد في الجزء الثانى من هذه المداخلة غداً: لعبة الثقة والتخوين في جلسة للعلاج الجمعى).

### الحركة "الذاهبة العائدة - الدخول الخروج"، (To-and-Fro & In-and-out Movement)

هى أشهر أشكال هذه الحركات وتسمى عادة " برنامج الدخول والخروج In-and-Out Program"، وهو البرنامج الذى يبدأ منذ خروج الطفل من الرحم، ويستمر بعد ذلك طول العمر بأطوال مختلفة، وتنوعات مختلفة، وهو برنامج نشط يسمح بالتقدم والتأخر باستمرار، وفي حالات السواء يكون ذراع التقدم أطول أو ذراع التأخر أقصر فتكون المصلحة هي التقدم دائماً، فيضطرد النمو. إذا تساوى الذراعان يتوقف النمو وتنقلب الحركة إلى نص معاد (سكرىبت).

تدل هذه الحركة (وترمز أيضاً) إلى طبيعة بشرية هي النزوع إلى الرجوع إلى الرحم، (أو ما يكافئ الرحم) خاصة أمام التهديد الخارجى: (إلى الكهف، أو إلى الذات، أو إلى النوم، أو إلى البيات الشتوى)،

ومن ثم، وبعد الاطمئنان النسبى وتجميع آليات دفاع قادرة، إعادة الخروج من الرحم (أو أى مما سبق).

وقد تكون فاعلية بعض العلاجات حتى الفيزيائية منها لها علاقة بهذا البرنامج (الدخول- الخروج)، وبالذات علاج غيبوبة الإنسولين، والعلاج بالتبريد، وحتى علاج تنظيم إيقاع الدماغ (المسمى خطأً: العلاج بالصدمات الكهربائية). في كل هذه العلاجات (وقد مارسناها جميعاً في حينها: الأول والثانى في نهاية الخمسينيات، والثالث حتى الآن) حيث يتم إحداث دخول أو توقف مؤقت فيما يشبه سكينه الرحم، تمهيداً لبعث (ولادة) جديد، مما لا مجال لتفصيله الآن. (للأسف ينعنون الآن معظم هذه العلاجات أنها "غير رحيمة، وغير إنسانية !!!!!).

على مستوى آخر تتم حركة الذهاب والعودة To-and-Fro بين أى قطبين متضادين لأسباب متنوعة وبآليات مناسبة، وذلك

لاستيعاب أبعاد كل قطب بشكل يسمح بالاختيار بينهما، أو احتوائهما معا (الحركة التالية) إن لزم ذلك:

مثلا في العلاج الجمعي الجشثالى يتم التبادل بين الشكل والأرضية عن طريق الألعاب، والدراما القصيرة، والتركيز على هنا والآن (أنظر تكملة هذه اليومية غدا)، وتكون حركية الذهاب والعودة بمثابة تعميق معالم القطبين الظاهري التناقض، ومن ثم السماح بمعايشة كل منهما على حدة، ثم التبادل بينهما وكأننا نتحرك بينهما إلى أن تتضح الأمور للاختيار الأكثر واقعية ومسئولية، أو لاستيعاب بحركية أخرى كما يلى.

الحركة "الاستقطابية التكاملية الخيطية" (Containment Polarization Integrative Movement)

حتى يتواصل النمو، وبرغم أن الإنسان من حيث المبدأ قد احتوى كل مراحل تطوره، وتاريخه الحيوى في هذه الواحدية الناتجة عن جدل الحياة المتطورة Phylogeny، ثم جدل نموه الذاتى Ontogeny، فإنه يحوى في نفس الوقت داخل هذه الواحدية كل مراحل تطوره، التى هى تاريخ طويل من الاستقطاب فالولاف. ولكى يتنشط نموه فردا، (وجماعة) فإن هذا التاريخ لا ينتهى بتتويج الإنسان إنسانا بشكل جاهز، وإنما يعاد تنشيط كل مراحل النمو، وبالذات أثناء أزمات نمو الفرد التى تعتبر نقلة مكثفة إلى مرحلة تالية لا تخلو عادة من مخاطر، ومن خلال هذا التنشيط تتولد التناقضات بشكل طبيعى، ومن ثم يصبح قبول الاستقطاب هو البداية الطبيعية لأى أزمة نمو، وبمجرد أن يفرض الاستقطاب نفسه، تتولد حركة في اتجاه احتواء النقيضين بكل الأساليب المنغرسه في التاريخ الحيوى، ومن أهمها (أ) التناوب (ب) التقارب (ج) التحمل (د) بدايات التكامل أو التوليف.

إن استمرارية الحركة بين القطبين المنشطين أثناء أزمة النمو، مثلا بين قطبي الثقة والتخوين، من خلال هذه الآليات تعمل على ألا تثت المسافة بينهما، وبالتالي يظل التحرك فيما بينهما دفعا للنمو، وتعميقا للعلاقة بالواقع، وتدرجيا على تحمل الغموض، بما يسهل التقدم المضطرد لاحتواء التناقض بعد الاعتراف به طبيعة تاريخية ومرحلية لها دلالتها حين لا يؤخذ كل قطب منفصلا عن نقيضه مكانيا ونوعيا ونغائيا، بل يعتبر مكملا له في باقى سياق الكيان الكلى (الجشثالت) الذى يحتوى كلا القطبين في كيان أكبر، سواء كيان تاريخي (الماضى حاضرا الآن) أو كيان تكاملي (الأجزاء في كل معا) أو كيان واعد (الحركة الولافية القادمة) أو كيان نابض له طوره المتكاملين (الإيقاع الحيوى).

الحركة "الإيقاعية الحيوى" (Biorhythmic Movement)

كل هذه الحركات السابقة لا تحدث بشكل مستقر على نفس الوتيرة ولا بنفس الحدة، وإنما هى (وغيرها) تحت

وتهدأ في نوبات امتلاء filling وبسط unfolding باستمرار، وهو ما أشرنا إليه كثيراً، وسنشير إليه أكثر ما دمنا نقدم الطب النفسى والتركيب البشرى من منظور تطورى، وتحديدًا أشرنا إلى هذا الإيقاع في "**يومية 2008-1-6 الشخصية الفرحانقباضية وأخواتها**". وقد حددنا آنذاك المعالم التى تتميز بها نبضة النمو، حتى تعتبر نبضة صحية سوية، من حيث تناوب شقئى النبضة (التمدد والاندفاع أى الاستيعاب والبسط) ليكمل بعضهما البعض تناوبًا منتظمًا يسمح لكل طور أن يؤدي وظيفته، ويصل الأمر أن تختل وظيفة أى طور، بل وتندم إن لم يؤد الطور الآخر وظيفته، تمامًا مثلما يستحيل دفع الدم من القلب في طور الانقباض Systole إذا لم يكن الأذين فالبطين قد امتلأ أثناء طور التراخي لامتلاء Diastole ، وتتم نبضة الإيقاع الحيوى على كل المستويات بكفاءة تتناسب مع التلاؤم والتكامل بين الطورين.

هذه الحركة لا تشير إلى أن ما بدأ تناقضا هو ليس كذلك فحسب، بل إنها تؤكد لزوم التناقض الظاهرى لتحقيق الوظيفة المتكاملة بشكل طبيعى.

#### الحركة "الجدلية التكاملية" Integrative Synthetic Movement

هذه الحركة ونتائجها المتجددة دوماً هي غاية كل الحركات السابقة، وهي تهدف إلى - ولا تحقق بشكل حاسم أبداً - تحريك التناقضات في اتجاه بعضها البعض بحيث يتخلق منهما الجديد الذى يعلن نقلة نوعية حقيقية تصل إلى ما يسمى "**إعادة الولادة**"، وهي ليست مجرد تجميع أجزاء في كل (جشثات) يشملها مثلما يحدث في التكامل، وإنما هي تفاعل جدلى بعد تراكم نشط إعداداً لتخليق مختلف اختلافًا حاسماً عن ذى قبل، علماً بأنه يحتوى كل ما هو قبل ذلك بحيث يكون عرضة للتحلل إليه في حالات النكوص أو التدهور أو الجنون، هذه الحركة الولاوية برغم أنها تبدو استيعاباً غائباً لكل حركية النمو، إلا أنها عملية متكررة متصاعدة باستمرار، وهذا ما سوف نتاوله في قراءتنا لعصور الإنسان (مراحل النمو) حين نقرأ إريك إريكسون من جديد في هذه اليومية.

#### تجربة تطبيقية:

لا يمكن منهجياً تتبع حركية النمو هذه أو حركاته على مدى نمو الطفل بشكل يسمح بدراستها وإثباتها الواحدة بعد الأخرى، أو الواحدة جنب الأخرى، وإنما نحن نشاهد ملامح كل منها أثناء استعادة النمو في حركية الإبداع، وأيضاً في العلاج من منظور نمائى، وبالذات في العلاج الجمعى.

سوف نعرض غداً جزئية محدودة تمثل أساساً الحركة الثانية "**الاستقطابية التكاملية الخيطة**" (Containment Polarization Integrative Movement المرتبطة بمآزق المرحلة الأولى للنمو البشرى، مرحلة الثقة في مقابل

**التخوين Trust Versus Mistrust** ، وذلك من خلال عرض لعبة مركبة قام بها ثمانية مرضى وثلاثة معالجين (أطباء) على مستوى العيادة الخارجية مستشفى قصر العيني كلية الطب.

وسوف نعرض رأس اللعبة اليوم استعدادا لتقديمها غدا

ويمكن للقارئ (الزائر) أن يلعبها بنفسها حتى الغد، متخيلا شخصا بذاته، أو مع أحد المعارف أو الأصدقاء، وحده، أو بالتبادل، حتى نلتقى غدا مع المجموعة

فقط لابد من الالتزام باستعمال نفس الألفاظ، وبالذات ضمائر "أنا" "أنت" بالتبادل مع كل لعبة (ويمكن الرجوع إلى قواعد اللعب النفسى في أى يومية سابقة للألعاب)

اللعبة (التفاصيل غدا)

(1) يا (فلان) أنا بثق فيك حتى لو انت ..... (أكمل أى كلام)

(2) يا (فلان) أنا بثق فيك حتى لو أنا ..... (أكمل أى كلام)

(3) يا (فلان) أنا ما باثقشى فيك عشان أنا ..... (أكمل أى كلام)

(4) يا (فلان) أنا ما باثقشى فيك عشان أنا .... (أكمل أى كلام)

وهكذا

**ملاحظة:** كما سوف نلاحظ حاولنا في هذه اللعبة المركبة أن نضيف ضمائر "أنا" و"أنت" تحريكا لكل من المسئولية الذاتية في مقابل احتمال "لوم الآخر" "Putting the Blame" على كل من محورى "الثقة"، و"التخوين"

أنظر غدا

- شوية كلمة عربية فصحي، فى الوسيط: الشؤيّة: القليل من الكثير.

- ورد ما يقابل هذا الوصف فى صدى من أصداء السيرة الذاتية على الوجه التالى:

فيلسوف صغير جدا: يطاردنى الشعور بالشيخوخة رغم إرادتى بغير دعوة، لا أدرى كيف أتناسى دنو النهاية وهمينة الوداع، تحية للعمر الطويل الذى أمضيته فى الأمان والغبطة. تحية لمتعة الحياة فى بحر الحنان والنمو والمعرفة. الآن يؤذن الصوت الأبدى بالرحيل ودع دنياك الجميلة واذهب إلى المجهول. وما المجهول يا قلبى إلا الفناء. دع عنك ترهات الإنتقال إلى حياة أخرى، كيف ولماذا أى حكمة تهر وجودها، أما المعقول حقا فهو ما يجرن له قلبى، الوداع أيتها الحياة التى تلقيت منها كل معنى، ثم انقضت مخلقة تاريخًا خاليا من أى معنى. (من خواطر جنين فى نهاية شهره التاسع).

خالدة سعيد: "حركية الإبداع" - دار العودة - بيروت  
-1979.

- Anthony Storr: " The Dyanmics of Creation"  
Published by Penguin Group 1972.

- برغم رفضي الشديد لأية محاولة في اتجاه ما يسمى التفسير العلمي للقرآن الكريم أو لأى نص مقدس، ومع حرصى وحذرى وتحذيرى من أى استشهاد يجمّل أية شبهة في هذا الاتجاه، إلى أننى أجد نفسى مضطرا إلى التذكرة بأن النفس التى سواها الله سبحانه وتعالى وألهمها فجورها وتقواها، كل ما علينا تجاهها هو أن نتعهد هذين القطبين ليدخلا في الكل النامى كدحا إليه تعالى. هذا ليس تفسيرا ولا دعما للفرض الذى تقدمت به، فقط هو إبلاغ ما وصلنى حين تعجبت وفرحت حين عرفت أن زكاها = نماها لا أكثر ولا أقل، في حين أن معظم ما وقع تحت نظرى من تفاسير جعل زكاها ترجيحا لأحد القطبين. أسف، هذا ليس دليلا على شيء، لكنه استلهام واحترام لما وصلنى، أحسست أنه ليس من حقى أن أكتمه.

**The Man & Evolution FORUM Web Site**

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

**Forum Subscription**

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

**Mail To Forum Participate**

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

**FORUM INVITATION**

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

الإثنيون 14-01-2008

136- من التخيُّب والتخويُّب (2)

### لعبة من العلاج الجمعي المقتطف من جلسة علاجية حديثة:

إن معاينة "حركية النمو" أثناء العلاج الجمعي يمكن أن تكون السبيل إلى التحقق من بعض الفروض التي تحيط بهذا الموضوع الهام، والتي عرضنا بعضها أمس (نصح بقراءة يومية أمس كاملة، مع أنه يمكن الاستغناء عنها لمن يرغب في مباشرة عملية حركية العلاج الجمعي قبل أن يستغرق في التطير)

إن تنشيط عملية النمو لاستعادة حيوية بعض آلياتها قد يسمح لنا باختبار هذه الفروض على مرحلتين:

**الأولى:** أثناء التفاعل وبعده،

**والثانية:** على المدى الطويل بالتتبع النوعي والعميق..

يتم تنشيط حركية النمو في العلاج الجمعي بالتركيز على آليات بذاتها لعل أهمها في مقامنا الآن هي:

- الالتزام بما هو "هنا والآن"
- السيكودراما (الميني دراما) وخاصة تبادل الأدوار
- الألعاب النفسية

في العلاج الجمعي (تجديدا ما نمارسه في مصر: قصر العيني والمقطم وتوابعهما)

- تبرز شكوى معينة،
  - أو يتم التعبير عن شعور ما،
  - أو يُعلن عجز ما، (إعلان العجز ليس دليلا عليه)
  - أو يلوح بقرار أو ضده، بشأن ما.
- فنطرح على صاحب (أو صاحبة) أي مما ذكرنا أن **يعايش قراره** معنا (هنا والآن)، وأن **يجرب نقبضه** (إذا لزم الأمر) بعد ذلك مباشرة (هنا والآن)،



د/يحيى: طيب يا رجاء هي مها رجعتنا الى النقطة اللى كان المفروض تكمل معاكى فيها لأنها مهمة، هي قالت إيه بالظبط، قالت: هل من الممكن إن يبقى فيه ثقة وما فيش ثقة في نفس الوقت، وبعدين انتى قلتي لأ يا ثقة يا مش ثقة، مها الظاهر عندها احتمال تانى أن ممكن، وفي نفس الشخص، وفي نفس الوقت يبقى فيه ده، وده، وده طبيعى وانا برضه مع رأى مها شويه، بس الآراء هنا لا قيمة لها، فياللا "مُجرب":

التعليق:

نلاحظ هنا أن تعبير "الآراء لا قيمة لها"، يحتاج إيضاحاً، ذلك أن المقصود به هو أن الآراء ليست هي الأساس، بل الحضور، واكتساب الخبرة، وهذا يؤكد أن هذا العلاج لا يتم من خلال المناقشة والإقناع،

كذلك يلاحظ استعمال كلمة "مُجرب"، وهو ما يتفق تماما مع آلية تحويل الأحداث والأحاديث إلى خبرات آنية تحت الفحص "هنا والآن" في هذا العلاج.

رجاء: تجرب ازاي

د/ يحيى: يا بلعبة يا بتمثلية يا مواجهة أى حاجة

رجاء: بس دا صعب

د/ يحيى: ما انتى عارفه إن احنا بنحب الصعب،

أنا كنت عايز أتجنب اللعب عشان مانستهلشى، بس باين إنها مناسبة، فاذا كنتم عايزين أهلا وسهلا،

يعنى مثلا حانقول: انا ما بثقش فيكى عشان .... وانا بثق فيك حتى لو، ... ويطلع أى كلام ... زى ما انت عارفه يا رجاء

التعليق:

ليس معنى أننا نحب الصعب أننا نتعمده، لكن فكرة التجريب تشمل عادة ما يتصوره المشارك صعباً، وأحيانا مستحيلاً، وفي بعض الأحيان خارجاً عن المألوف.

د/ مها: هما الجملتين شبه بعض شويه

د/ يحيى: وايه يعنى لما حاتلعي حانشوف شبه بعض ولا لأ، ورينا شطارتك ...

د/ يحيى: ياللا يا رجاء

.....

ساعديها يا (د) مها ساعدها يا حامد (د) بنمثل يا بنتى بنقول أى كلام بنقول أى كلام بعد الجملة اللى نتفق عليها

رجاء: نبتدى بنى وخلص



سوف نعرض فيما يلي استجابة المشاركين (ماعد ا حمد) دون عرض المناقشات التي دارت قبل وبعد كل لاعب، وهي قليلة عادة، وأحياناً يُنهي عنها أصلاً حتى يتم الاستيعاب دون وصاية لفظية لاحقة.

منى: يا دكتورة مها انا ما بثقش فيكى عشان أنا ما جربتيكيش

منى: يا دكتورة مها انا ما بثقش فيكى عشان أنا باحاسب

منى: يا دكتورة مها " انا باثق فيكى حتى لو انت أدتيني أى علاج ،

منى: يا دكتورة مها، أنا باثق فيكى حتى لو انا شايفاكى دكتورة

التعليق:

يمكن أن تجرى اللعبة مع واحد فقط من المجموعة (مريض أو معالج)، وفي هذه الحالة يكون المخاطب هو الذى عليه الدور في اللعب بعد اللاعب، ويمكن أن تجرى على كل أفراد المجموعة، ويمكن على من ينتقى اللاعب من الذى يلعب بعده، والاختيار بين هذه البدائل يعتمد على الوقت والهدف والتلقائية.

في هذه الحالة اكتفت منى باللعب مع اثنتين: الدكتورة مها وشوقية، في حين اكتفى الباقيون باللعب مع واحد فقط،

نستعمل تعبير "تدى الكورة لمن؟"، ليعنى: من الذى تختار ليلعب بعدك؟

وما هي منى تكمل:

منى: يا شوقية أنا بثق فيكى حتى لو أنت أسأتى إليا

منى: يا شوقية أنا باثق فيكى حتى لو أنا غلط فيكى

منى: يا شوقية أنا ميثقش فيكى عشان أنا شيفاك عمالة بتضحكى عمال على بطال

منى: يا شوقية أنا ابثقش فيكى عشان انت ما بتثقيش فيه

التعليق: نلاحظ هنا ما يلي،

أولاً: بصفة عامة:

1. أن نفس الشخص الذى نثق فيه هو الذى يمكن ألا نثق فيه

2. أن صياغة اللعبة كانت تدعم الثقة في حين أنها كانت تبرر اللاتقة (أو التخوين)

3. أن اللعبة اختلفت مع الطيبة عنها مع الزميلة المريضة.

ثم التعليق على استجابة منى تحديداً:

اشتدت منى أن تجرب الطبيبة قبل أن تسمح لنفسها أن تثق فيها، (ماجربتكيش) وهى "تحاسب" قبل أن تأخذ بالنصيحة حتى من طبيبة (عشان أنا باحاسب)، وكانت هذه وتلك هى أسباب عدم الثقة،

لكن ذلك لم يمنع منى من أن تثق فى نفس الدكتورة "حتى لو أعطتها علاجاً" (حتى لو أنت أديتنى علاج) (بما يشمل احتمال أنها سوف تأخذ العلاج برغم عدم الثقة المبدئى)،

عدم ثقة منى فى الطب ربما يرجع إلى أن حالتها كانت من الحالات الراجعة - الدورية- وربما أنها كلما انتكست اهتزت ثقته بالتطبيب السابق،

ومع ذلك فهى لا تملك إلا أن تثق فى الطب ربما أملاً فى فرصة جديدة.

نلاحظ فى كل ذلك أن عدم الثقة، لم يمنع الثقة، وأنه لم يحدث تناقض حاد وصل إلى درجة الوعى فالشلل أو الرفض، ربما لأنها "لعبة" وربما لأن الطرفين المتناقضين دخلا معا فى سياق شبكية العلاج الجماعى الذى يجعل العلاقات متعددة، فيخفف من مخاطر ما يمكن أن يسمها الثقة العمياء.

أما لعب منى مع زميلتها المريضة شوقية، فقد أظهر أسباب عدم الثقة بشكل أكثر منطقاً،

فلم تمنع احتمال إساءة شوقية لمنى، أو غلط منى فى شوقية، لم تمنع حضور الدرجة المطلوبة من الثقة،

أما عدم الثقة فكان أيضاً له معقوليته، فإن ضحك شوقية عمال على بطأل (وهى ظاهرة ملحوظة عليها فعلا سبق أن عقب المعالج عليها واشتغلت فيها المجموعة كثيراً) يوحي بنوع من الطفولة التى يصعب الاعتماد عليها، أما عدم الثقة نتيجة حدس منى (أو خبرتها فى المجموعة فى جلسات سابقة، أو نتيجة للإسقاط) فإن كل ذلك جائز، وهو يضيف فكرة جديدة يمكن أن نسميها "صفقة الثقة المتبادلة" (إن وثقت فى أثق فيك، وبالعكس)

د / يحيى: تدى الكورة لمن بقى ياست منى

منى: أذى الكورة لأقبال

أقبال

(أيضاً بعد تردد وأخطاء مبدئية مقبولة، وتصحيح أقل من البداية، فالأمور بدت أسهل)

أقبال: يافاتن أنا بثق فيكى حتى لو أنتى زعلتيني

أقبال: يافاتن أنا بثق فيكى حتى لو حق انا.....  
(صمت لم يُخَل)

أقبال: أنا مابثقش فيكى عشان إنى قعدة ساكتة على طول

**أقبال: ميثقش فيكى عشان أنا ميثقش في الجروب**

د / يحيى: متشكر يا أقبال يابنتى ترمها الكورة لمن كفاية واحد

**أقبال: أديها لحضرتك**

د / يحيى: هو حضرتى حا يلعب زى ما أنتى عايزة بس أنا بالعب في الآخر، فلما حيجى على الدور حارمها الكورة لحد، بس زى ما أنتى عايزة، الكرة معاى وأنا حستأذنك إن أنا العب في الآخر

**ملاحظة منهجية:**

الطبيب المدرب يلعب في الآخر حتى لا تكون استجابته كأنها الاستجابة النموذجية مما قد توحى للآخرين أن يجذوا حذوه، أما الطبيب الأصغر (المتدرب) فله حق الاعتذار عن اللعب أصلاً، حتى يمر الوقت الذى يسمح له أن يطمئن (بولع النور الاخضر) كما ذكرنا في يوميات سابقة.

**التعليق على استجابة أقبال:**

ظهر أن أقبال يمكن أن تثق بغض النظر عن تصرف الآخر،

برغم مقاومتها في أن تتحمل مسئولية المغامرة بالثقة على حسابها وضد أى احتمال يبرر عدم الثقة،

وقد يرجح هذا التفسير ما جاء في بقية اللعبة حيث بدا أنه من السهل أن تبرر عدم ثقتها بفاتن بصمتها وعدم مشاركتها المجموعة (عموماً)، فالثقة تحتاج قدراً من أن تتعرف على من تثق فيه، والكلام والمشاركة هما من ضمن وسائل ذلك،

ثم إن أقبال تؤكد في النهاية، بدرجة جيدة من البصيرة أنها مسئولة إذ تعلن عدم الثقة بالمجموعة ككل (مايثقش في الجروب)

**أجل المعالج دور هو ألقى الكرة لفاتن**

**فاتن**

**فاتن: يا دكتور يحيى أنا بئق فيك حتى لو انت قولت جملة تزعلنى**

**فاتن: يادكتور يحيى أنا بئق فيك حتى لو أنا شوفت منك موقف لو شوفته من حد تانى بضايق**

**فاتن: يادكتور يحيى أنا ميثقش فيك عشان أنت دكتور**

**فاتن: يا دكتور يحيى أنا ميثقش فيك عشان أنا شوفتك في العلاج بتساعد بطريقة مش عارفه....**

**التعليق:**

**الظاهر من موقف فاتن درجة عالية من الاعتمادية على**

الطبيب الأقدم المسئول، سواء ظهر ذلك في تحملها أن "يزعلها"، أو في اختلافه عن غيره في طريقة اقتحامه في العلاج، يصنّف المعالجون من حيث درجة مبادئهم، وتداخلاتهم، واقتحاماتهم، وتلقائيتهم،

المعالج المدرب هنا معروف أنه يتبنى الموقف الثقافي في بلده الذى يؤكد دور الطبيب والدا حاضراً بثقله، خاصة في بدايات مراحل العلاج، فهو يسمح بالاعتمادية الإيجابية النابعة من موقفه الشخصى، بالإضافة إلى الموقف الثقافي الذى يتبناه،

والذى هو أيضا أقرب للواقع الثقافي في مصر (ربما والشرق) ومن هنا سمحت له فائن بما لا تسمح به لطبيب آخر (أصغر أو أكثر التزاما بالدور الطبى المهنى التقليدى)،

وربما كون الطبيب "دكتوراً فقط" هو الذى رجح في استجابة فائن أن ذلك - كونه طبيبا - أدعى لعدم الثقة إذا اقتصر دوره على الدور المهنى القح (ما باثقىش فيك عشان انت دكتور)، وفي نفس الوقت أعلنت عدم ثقته في المعالج الأكبر لاستغرابها طريقته غير المألوفة.

ثم أَلقت فائن الكرة لعمدى

عمدى

عمدى: يا دكتور حامد أنا بثق فيك حتى لو إنت زعلتني منك

عمدى: يا دكتور حامد أنا بثق فيك حتى لو أنا عملت حاجه تزعلك

عمدى: يادكتور حامد أنا مابثقىش فيك عشان انت دكتور كويس...

عمدى: يادكتور حامد أنا مابثقىش فيك عشان أنا جيت متأخر

التعليق:

استجابة عمدى أكثر صعوبة في التأويل في الجزء الثانى،

الجزء الأول أفاد المتوقع بسطحية سريعة "الثقة حتى لو" ...، فقد بدا التسامح تجاه خطأ الآخر (إنت عملت حاجه تزعلني) وعدم التوقف عند الخطأ الشخصى (لو أنا عملت حاجه تزعلك)،

أما الجزء الثانى فلا يكفى فيه ما قلناه في حالة فائن، لا يكفى أن نشير إلى تشككه في دور الطبيب التقليدى، لهذا - ونادرا ما يحدث ذلك - طلب منه الطبيب المدرب المسئول أن يعيد (وهذا نادرا وغير جائز عادة)، وحين تأكد أن ما قاله ليس بالصدفة وافق بسرعة ولم يناقش.

د.يحيى: طب عيد اللى قلته كده، مابثقىش فيك عشان إنت... أنا مأخذتش بالى منها

حمدي: يادكتور حامد أنا مابثقش فيك علشان إنت دكتور كويس

د. يحيى: ماشى ، يالاً ياحامد الكورة معاك تقدر تولع النور الأحمر ،

د. حامد

د. حامد: يا عبد العظيم أنا مابثقش فيك علشان إنت رجيت في الشغل شوية

د. حامد: يا عبد العظيم أنا مابثقش فيك علشان أنا صعب أثق في حد

د. حامد: يا عبد العظيم أنا بثق فيك حتى لو أنت عملت حاجة تزعلنى

د. حامد: يا عبد العظيم أنا بثق فيك حتى لو أنا شايف حاجة مختلفة عن اللى الدكتور يحى شايفه.

التعليق:

هنا يبدو أن الدكتور حامد يبني ثقته في عبد العظيم على التزامه بالاتفاق العلاجي، ومن ذلك التزامه في عمله، وهذا موقف مهم في هذا العلاج بالذات للتأكيد على قيمة العمل في حركية النمو، أما حين استعمل د. حامد ضمير "أنا"، فقد احتدت بصيرته وانتبه إلى صعوبة عادية رائعة، مثل هذه الصعوبة لا تدل على "نقص قدرات" بقدر ما تدل على "تزايد البصيرة" التي تسمح للطبيب ألا يحمل المريض كل العبء الناتج عن عدم ثقته فيه (عشان أنا صعب أثق في حد)،

هذه الصعوبة تشهد مسيرة النمو الإنساني والمهني للطبيب طالما هو يشتغل فيها ويستفيد منها من خلال هذا العلاج وغيره،

استجابة د. حامد في الجزء الثاني تبين أن الثقة في عبد العظيم هي مكلمة لما يغرى به عبد العظيم من التزام طفلى (أو تلاميذى) وهذا أمر عايشته المجموعة بقيادة المدرب بعيداً عن هذا المقطع تناولت المجموعة آليات (ميكانيزمات) عبد العظيم مكرراً في جلسات سابقة، وربطت بين هذا الأدب الزائد الذى خرج به من النوبة الذهانية، والذى هو هو كان الأرجح أنه كان سبباً في انفجاره في تلك النوبة، وقد حرصت المجموعة طول الوقت أن تخفف من التزام عبد العظيم بكل هذا "التهذيب" المفرط هكذا.

انتهت لعبة د. حامد بجانب آخر يظهر عادة أثناء التدريب، وهو أن المتدرب يعمل حساب المدرب ويتردد في الاختلاف معه أحياناً على حساب المريض،

وهنا سمحت اللعبة للدكتور حامد أن يثق في عبد العظيم بغض النظر عن الهجوم الملاحق للمدرب على عبد العظيم ليتنازل عن فرط أدبه المهذب، الذى أدى إلى ما أدى إليه، وعن اتهامه له بأنه أدب طفلى خائف.

عبد العظيم:

عبد العظيم: يا شوقية أنا بثق فيكى حتى لو إنق عملق  
أى حاجه تضرنى

عبد العظيم: يا شوقية أنا بثق فيكى حتى لو أنا عملت  
حاجه تسنك

عبد العظيم: يا شوقية أنا ما بثقش فيك علشان إنق  
مابتكلمش دروسك

عبد العظيم: يا شوقية أنا مابثقش فيكى علشاننا أنا  
مختلف عنك فى حاجات

التعليق

تبين منذ قليل فى مناقشة لعبة د. حامد طبيعة موقف عبد العظيم المفرط فى الأدب، وهذا تبدو الاستجابات الثلاثة الأولى بشكل يؤكد هذا الموقف "التلاميذى المهذب" الذى يراعى مصلحة الغير جدا، ويتحمل أذاهم، ويطمع فى سماحهم.

أما الاستجابة الرابعة فكانت مفاجأة لأن عبد العظيم انتبه إلى أمر طبيعى يفسر "الحق فى عدم الثقة"، وهو الاختلافات الفردية،

مجرد أننى أختلف معك، مجرد أننا لسنا نسخة بالكربون، فلابد أن تتخلق فيما بيننا درجة من عدم الثقة، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه أمس واليوم بأن عدم الثقة، وحتى التخوين، هو جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية.

وهذا فى حد ذاته يدل على أن عبد العظيم برغم مقاومته، يعلن أنه يتم تنشيط حركية النمو التى نأمل أن تكون بديلا مناسباً عن فرط استعماله للميكانيزمات "فائقة التهذيب"، التى كبتته حتى "أنفجر ذهاناً".

شوقية

شوقية: يا رجاء أنا مابثقش فيكى علشان أنا مابثقش فى  
حد خالص

شوقية: يا رجاء أنا مابثقش فيكى علشان إنق مابثقش  
فى حد

شوقية: يا رجاء أنا بثق فيكى حتى لو إنق مارديتش  
عليا،

شوقية: يا رجاء أنا بثق فيكى حتى لو انا زعلتك

التعليق

تذكرنا استجابة شوقية الأولى باستجابة أقبال من ناحية (ما بثقش علشان ما بثق فى الجروب)، واستجابة د. حامد من ناحية أخرى (علشان صعب أثق فى حد).

أما استجابتها الثانية "عشان أنت ما بتثقش في" فهي تذكرنا أيضا بما أسيناه "صفقة الثقة المتبادلة" عند "مئي" (أنا ما بايثقش فيك عشان أنت ما بيتثقش في).

أما الثقة الإيجابية "حتى لو"، فبدأت أقوى وهي تتجاوز الصفقة التبادلية من جهة (حتى لو أنني مارديتش علي)، كما أنها أظهرت درجة مناسبة من "العشم" من جهة أخرى (حتى لو أنا زعلتك).

رجاء

رجاء: يا دكتورة مها أنا بئق فيكي حتى لو إنتي زعلتيني،

رجاء: يا دكتورة مها أنا بئق فيكي حتى لو أنا ماجيتش الجروب،

رجاء: يا دكتورة مها أنا مابثقش فيكي علشان أنا مابثقش في حد،

رجاء: يا دكتورة مها أنا مابثقش فيكي علشان إنتي دكتورة

التعليق

عجيب تكرر أمر "ربط عدم الثقة" (وليس الثقة كما نتوقع) بحالة كون الموثوق فيه "دكتوراً!!"

بدأت الحكاية بمئي وتأكدت بمجمدي ثم ما هي رجاء في الاستجابة الأخيرة تعلنها من جديد.

أما استجابة رجاء "مابثقش في حد" فهي أقرب إلى استجابة د. حامد، وهي أيضا في اتجاه تحريك البصيرة وتحمل مسئولية "عدم الثقة" وليس مجرد وضعتها في الآخر.

أما الاستجابة الأولى "حتى لو أنتي زعلتيني" فهي مكررة كما لاحظنا وتدل على تحمل أفراد المجموعة لبعضهم البعض.

وتتبقى الاستجابة الثانية التي تشير إلى الإشارة إلى العلاقة المتولدة مع المجموعة، وأنها ممتدة حتى لو لم تحضر المجموعة (حتى لو أنا ماجيتش الجروب).

د. مها

د. مها: حختار حضرتك

د. يحيى: ماشي

د. مها: يادكتور يحيى أنا مابثقش فيك علشان إنت مش فاضي،

د. مها: يادكتور يحيى أنا مابثقش فيك علشان أنا بخاف من الثقة،

د. مها: يادكتور يحيى أنا باثق فيك حتى لو أنت مش حتمش لي،

د. مها: يادكتور يحيى أنا باثق فيك حتى لو أنا مش عايزه

التعليق

الدكتورة مها هي المتدربة الثانية مع د. حامد، وجاء اختيارها للطبيب المتدرب (برغم أنه سبق أن كان موضوعا للعب من أخرى؟) ليظهر جانبا آخر من علاقة المدرب بالمتدرب:

فمن ناحية قد ينتهز المتدرب الفرصة ليعبر من خلالها على مرحلة علاقته الإنسانية والتدريبية بالمتدرب به فتلاحظ هنا:

- يبدو أن تولد الثقة بين المتدرب والمدرّب يحتاج مساحة (من الوقت) تتجاوز مجرد التعليم والتدريب والتلقى طول الوقت، وهذا يشير أيضا إلى أن الثقة هي غير الاعتمادية،

- كما تعلن د. مها أيضا عمومية حقها في عدم الثقة "مثل د. حامد وشوقية ورجاء وأقبال". (علشان أنا باخاف من الثقة)

- كما يظهر في استجابتها أهمية دور الموثوق به في تشجيع "الذى يثق" (خاصة لو كان أصغر) في أن يثق، وهذا جاء في استجابة د. مها وهي تشير إلى ضرورة عدم انتظار مثل هذا السماح إن كان للثقة أن تولد. (حتى لو أنت مش حاتسمح لى)

- وأخيرا فإن جهدا آخر يبدو أنه لابد أن يُبذل من جانب من يريد أن يثق ليتجاوز مقاومته (حتى "لو أنا مش عايزة) (أثق)".

د. يحيى

د. يحيى: يا رجاء انا باثق فيكى حتى لو أنتى جحشة ،

د. يحيى: يا رجاء انا باثق فيكى حتى لو انا غلطان ،

د. يحيى: يا رجاء انا ما باثقش فيكى علشان انا احب آخد الاحتياط علشان ما اتخرشش ،

د. يحيى: يا رجاء انا ما باثقش فيكى علشان أنتى ما بتثقش فى حد

التعليق:

أشرنا فيما سبق لماذا يؤجل المدرب أن يمارس اللعبة إلا آخر واحد، وأيضا أنه ليس من حقه أن يعتذر (ليس من حقه أن يضىء النور الأحمر مثل الأصغر)

ثم نلاحظ في استجابته مايلي:

- أنه استعمل ألفاظاً غير مألوفة "حتى لو أنتى جحشة" وهذا يشير إلى نوع اقتحاماته حتى بما هو أشد، علما بأن هذه الألفاظ لا تستعمل بنفس الطريقة التى نستعملها في الحياة العادية، فقد تكون من باب "قرص الأذن"، أو سبق

استعمالها في سياق متبادل، ومع أن هذا هو ما يعلن دائما في المجموعة (أن من حق المريض أن يستعمل نفس الألفاظ) إلا أنه نادرا ما يستعمل المريض هذا الحق.

- ثم نلاحظ كيف أن الطبيب المدرب يشترك في إعلان درجة من البصيرة بأن عدم الثقة ينبع جزئيا من حقه في عدم الثقة مثل (عشان صاحب .... الاحتياط عشان ما تحرشم)

- ثم إن التحفظ في الثقة، بسبب أن الآخر لا يثق يمكن أن يكون له تفسير يتجاوز "الصفقة التبادلية" ذلك أن الطبيب أحيانا يستعمل هذا الأسلوب كدعوة للمريض أن يبذل جهدا من جانبه إذا ما كان جادا في أن يكون موضع ثقة.

#### وبعد

برغم ما ننتبه إليه كل يوم أكثر فأكثر من استحالة نقل الصورة كما تجرى حية في هذا العلاج الجمعي،

وأيا برغم ما نلاحظه من صعوبة إدراك مغزى الألفاظ في مقتطف يستغرق دقائق في جلسة واحدة يستحيل فصلها عن الجلسات السابقة،

وأيا برغم صعوبة فهم دلالة الألفاظ لكل مريض إلا في سياق مرضه وأعراضه ومنظوماته وإطاره المرجعي،

برغم كل ذلك فإننا نرجو أن يكون ما تم عرضه هنا قد حقق بعض المطلوب الذي يمكن إيجازه فيما يلي:

**أولاً:** إن المسألة ليست "ثقة" أو "لاثقة" فكلاهما موجود طول الوقت، في تناوب أو تكامل، أو تضفر أو وعد .... (كما ذكرنا أمس).

**ثانياً:** إن الحركة هي التي تسمح باستمرار التناقض حتى تكاد تنفى أن يكون مجرد وجود "العكس معاً" (كما ذكرنا أيضاً أمس)

**ثالثاً:** إن التحريك تحديداً بضمائر مباشرة "أنا وأنت" في "هنا والآن" قد سمح بتوليد احتمالات متعددة تمهيدا لتجاوز الموقف الاستقطابي، "إما أو" الذي يواكب عادة موقف التناقض الساكن في نفس الوقت (نفس الثانية أحيانا).

**رابعاً:** إن الحركة لا تعنى التردد، ولكن تعنى فرصاً لتجديد الاحتمالات وتنوعها.

**خامساً:** إن احتواء الضدين حالة كونهما متحركين هو أمر مختلف تماماً عن وصفهما في حالة سكون أو عكس بعضهما البعض

**سادساً:** إن الوعي النسي بالحركة لا ينتج عنه حضور النقيضين في نفس الثانية كما يحدث في تناقض الوجدان ambivalence، وإنما هو يعد بتغير محتمل في اتجاهات مختلفة.

**سابعاً:** إن الحركة لا تتم بنفس الحدة ولا هي مطلوبة طول الوقت، وترجيح أحد القطبين مستقلاً لفترة ما، أمر هو وارد جيد، وهو يجرى في اتجاه الحركة المطلوبة، ما لم يكن تسكيننا نهائياً، أو تلفيقاً هروبياً.

- أشرنا في عدد من يوميات سابقة سواء فيما عرضنا من مقتطفات في العلاج الجمعي، أو من برنامج سر اللعبة، ويمكن الرجوع إليها لمعرفة القواعد ومحاولة التجريب في يوميات (يومية 9/14)، (يومية 9/15)، (يومية 10/2)، (يومية 10/3)، (يومية 10/20)، (يومية 10/22) ..إلخ.

- وسوف نعود إلى إريكسون بالذات ببعض التفاصيل في نشرات لاحقة.

- راجع يومية أمس إن شئت يومية 2008-1-13 (عن الثقة والتخوين وحركة النمو (1))

- النص هنا حرقى بنسبة 80 إلى 90 % في المائة ، وقد اضطررنا إلى بعض الإضافة لبعض العبارات والسطور المختصرة، وأيضاً قمنا بحذف الكثير مما لم يكن له علاقة مباشرة بالمتكطف الخالي، وقد وضعنا نقطاً مكان الحذف ما أمكن ذلك، كما ننبه أن الإذن بالتسجيل وبالاقتطاف مأخوذ من كل المرضى المرة تلو الأخرى، وأن كل الأسماء مستعارة ..

- عادة لا يستعمل الطبيب المدرب الألقاب، ونادراً لا مخاطبونه هو بلقب دكتور ربما لحكم السن، وأكثر ندرة أن يفعل المرضى ذلك.

- لهذا المعالج ورقة عن الاعتمادية، كان من أهم مراجعها الثقافة اليابانية وكتاب Anatomy of Dependency

- أصبح أن ذكرنا أن معنى "يولع النور الأحمر" هو أن يستعمل حق الاعتذار للطبيب المتدرب.

**The Man & Evolution FORUM Web Site**

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

**Forum Subscription**

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

**Mail To Forum Participate**

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

**FORUM INVITATION**

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

الثلاثاء 15-01-2008

137- هل عندنا بديل؟

من نحن؟

وماذا أعني حين أقول (أو نقول) عندنا، وعندهم؟

هذا الصباح جاءتني أم كريمة تكشف على ابنها التي تقول إنه مصاب بفرط النشاط الحركي، هي قالتها بالإنجليزية hyperactive، الولد عنده 16 سنة، في مدرسة من التي هي بمصاريف كثيرة، الوالد متوفى منذ ست سنوات وترك اثني عشر ابنا وبناتا من ثلاث زوجات، والميراث لم تحل مشاكله بعد، والأم تبدو في حال ميسورة، لكنها تشكو -وهي صادقة- من عسر الحياة جداً، والدها (أكثر من ثمانين عام) يقيم معها ومع ابنها، وبناتها من زوج سابق وهي لم تتزوج بعد وفاة والد الصبي الذي جاءت لتستشيرني بشأنه.

الولد، كان قد مرّ على أطباء زملاء أفاضل قبلي، وذلك بقدر ما تحتاج حالته من جهة، وبقدر قلق الأم عليه من جهة أخرى، وأيضا بقدر قلقها على والدها المسن الذي يعيش معهما وهي ترعاه.

السيدة الفاضلة على قدر ليس قليل من الجمال وتبدو أصغر من سنّها الحقيقي (الذي هو 46) بعشر سنوات على الأقل. جلس الشاب هادئاً، لم يتحرك طوال نصف ساعة (تقريباً) ولم يشك من شيء شخصياً، بل أشار إلى أمه التي حكّت آثار "فرط حركته" كما أسمتها، أو عدوانيته وانفجاراته العاصفة، كما وصلني، بالإضافة إلى علامات دالة على الخلف Negativism والتكاسل الدراسي منذ قديم.

نبهتُها -كما أفعل عادة- أن الطب النفسي ليس فيه سحر يريئ الناس بالتمني، ولا هو حل عقد، ولا مجرد عقاقير، وأنها لن تجد غالباً عندي أكثر مما وجدته عند زملائي، وأن كثرة التنقل بين الأطباء لا يفيد، بل أنه يحرم الطبيب الواحد المتابع أن يصحح نفسه من خلال التتبع الممتد، وأنا عادة أكتب مثل هذا الكلام على الوصفة (الروشتة) قبل أن أشير برأيي الخاص، اكتب حرفياً:

"لا أوافق على تغيير الأطباء "هكذا"."

كل الزملاء السابقين عندهم العلم وفيهم البركة،  
والأقرب منهم أفضل،

يستمر مع أحدهم مشكوراً "أو"...

"بمجرد أن اكتب" "أو" أو أقولها، ينتظر المريض أو أهله شيئاً مختلفاً مني، فأنبهه إلى أن الاختلاف - إن وجد - لن يكون في العقاقير الأحدث أو الأبهظ ثمناً، وإنما في تعليمات حاسمة ومحددة ومُلزمة، نتعاون معاً لتنفيذها بكل الوسائل، لمدة زمنية تسمح بتقييم ما نعمل، ولفترة مناسبة، وعلينا أن نقيس نتائجها أولاً بأول بمحكات الواقع جداً (العمل/الاجاز/الناس/العلاقات/النوم الطبيعي... الخ)

ثم أرفقت للأمر أنها، ومن يهمله الأمر من الأسرة، هم الذين سيتولون تنفيذ ذلك، أو القدر الأكبر من ذلك، وأن الأدوية هي عامل مساعد، مهم جداً، لتنفيذ هذه التعليمات،

وكثيراً ما يحتاج الأمر لكراسة وورقة وقلم نسجل بها ما اتفقنا عليه وتحضرها معها الأسرة أو المريض (أو كليهما) في الاستشارة وكذا وكيتم.

تتضمن التعليمات أشياء عادية، وأشياء غريبة، وأشياء جديدة، ومواعيد للنوم، والزام بالقراءة، وبالحركة وتعليمات أحياناً عن زيادة بعض العبادات، أو إنقاص بعض النوافل وكذا، وكيتم.

وهي تعليمات أكثر منها نصائح،

وقد ننجح أحياناً، ونفشل كثيراً،

ونبدأ من جديد،

وهكذا

اللهم إلا إذا عاد التنقل بين الأطباء ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أنزل رجلك يا ولد؟

من بين ما اقترحتة على هذه السيدة الفاضلة - بالإضافة إلى تعاطي أدوية زميلي السابق الذي لم أجد عندي ما هو أحسن منها مرحلياً - أن تستشير بعض المراكز التي تقوم بالتخطيط السلوكي العام، ثم التأهيل لمن هو في هذه السن، وكذا وكيتم، فأخبرتني أنها استشارت أحد هذه المراكز، وأن صاحب المركز أو رئيسه، المسئول عنه، **يستعين بجبر أمريكي جداً**، وأن هذا الخبر أشار عليها وعلى هذا الابن النشط الذي كان يجلس أمامي مسترخياً دون حراك حتى الآن، (بلا نشاط أو فرط نشاط!) أشار عليه، وعليها، الخبر الأمريكي جداً أن تتركه وشأنه، وألا تمنع عنه شيئاً، وأنه حين يكبر ويعرف أن إيذاه لنفسه، وإيذاء جده، لم يعودا عليه بأى طائل سوف يكف عما يفعله (ما زال الولد يتابعنا دون حراك، وكأنه يشاهد مسلسلاً!)،

قلت لها معقباً على توصيات الخبير وأنا أخفى ابتساماً تكاد تقفز إلى وجهي، "عليه نور"، وماذا لم تقبلي النصيحة (على فكرة السيدة الفاضلة الجميلة، شقراء وغير محجة، وتكلم بين الحين والحين كلمات بالانجليزية، أو الفرنسية) قالت: أقبل ماذا؟ الولد ينجح بالكاد، ثم أنه توقف عن الدراسة مؤخراً وقد سمحت له بالتدخين حسب تعليمات السماح، فَجَزَّ ذلك وراءه أشياء تدخن أيضاً في السجائر، وجده غادر البيت خوفاً على نفسه،

قلت لها: وهل أبلغت الخبير بذلك؟

قالت: نعم، وأصر على نصيحتته، وعلى المتظلم أن يدبر شؤونه،

لم أصدقها مائة في المائة، ولم أكذبها، لكنني لاحظت أن الشاب قد مال بظهره على الكرسي أكثر، ثم وضع ساقا على ساق، فنهرته مجزم واضح: أن "أنزّل رجلك يا ولد"، فأنزلها فوراً بأدب لم أتوقعه، فأكملت أن هذا لا يليق أمام رجل في عمر جده مثلي، (كنت قد نسيت أن جده غادر المنزل توكياً لآثار العدوان)،

### التدخل في الحرية الشخصية

حاولت أن أقرأ على وجه الشاب أي اعتراض على أمرى المباشر الحاسم هذا، فلم أجد،

تذكرت ما حكته لي مؤخراً ابنة لي تعمل في إنجلترا الآن (منذ أكثر من عشر سنوات) د. يسرية أمين حكّت لي أنها عيّبت على لبس مريضة تداوم لبس سراويل الجينز دون غيرها، فنصحتها د. يسرية أن تحاول أن تغير من ملابسها أحياناً، فقدمت شكوى فيها أنها تتدخل في حرمتها الشخصية وكادت تؤاخذ د. يسرية مؤاخذه شديدة على تصرفها،

وأيضاً تذكرت كيف ملكني العجب حين قال لي د. رفيق حاتم (المحاور الوحيد في حوار الجمعة بتاريخ 19-10-2007) ود. أماني الرشيدى زوجته، وهما يعملان في فرنسا أن من الممنوعات منعاً باتاً أن يسأل الطبيب المريض عن دينه أو عن حزبه السياسي، لأن هذا وذاك من الشئون الخاصة جداً، التي لا يصح أن يعرفها الطبيب، وذلك حتى لا يتحيز!! أي والله، وقد سبق أن أشرت وكتبت في يومية 12-1-2008 أن **سياسة النعام** هذه التي تخفى بها ديننا عن بعضنا البعض، لا بد وأن ترحمنا من عمل علاقة جادة وشريفة وعميقة مع بعضنا البعض، فما بالك مع المريض؟

وكيف يكون موقف الطبيب "حايداً بحق" لو كانت معلوماته ناقصة عن عنصرين من أهم العناصر التي تنغرس في مرجعياتنا الثقافية والعقائدية والشخصية شعورياً أو لا شعورياً؟ الدين والموقف السياسي؟

وكلام من هذا كثير كثير

## إذن نحن نختلف؟

وهل في هذا كلام؟

نحن نختلف ليس فقط في ممارسة الطب النفسي، وإنما في معاني ومساحات الحرية، وحقوق الإنسان، ونوعية الحياة، وامتدادها، وحدود العلاقات، ودرجة الدفء في التواصل، وحمل المسؤولية عن بعد،

كما أننا نختلف في مدى الالتزام، والكسل في بالعمل، وعدم احترام القانون، وحضور العرف الملزم الأقوى من القانون أحياناً، وفي مساحة وتنوعات الإبداع المتاحة، وكذا وكيت.

وإذا كانت هذه الاختلافات تتزايد باستمرار، وفي نفس الوقت نحن نفشل في التقليد الخرفي لما عندهم باستمرار، فما العمل؟

من نحن؟

وماذا أعني (ونعني) حين أقول عندنا؟ وعندهم؟

\* إذا هاجمنا ديمقراطيتهم وجدنا أنفسنا في أحضان الحكم الشمولي وليس على طريق السعي إلى ديمقراطية حقيقية.

\* وإذا هاجمنا مؤتمراتهم وجدنا أنفسنا في عزلة متباعدة لا يعرف أحدنا (أو جماعتنا) ماذا يصنع زميله الأبعد (أو جماعة أخرى في أقصى الدنيا) ولا كيف يفكر، وما هي نتائج أجهته، أو فروض افكاره.

\* وإذا هاجمنا حقوق الإنسان المكتوبة لتسطحها وبعض سوء الاستعمالات من خلالها، وجدنا أنفسنا لا نتمتع بحقوق الانسان أصلاً: لا المكتوبه ولا الشفهية، ولا حتى حقوق الحيوان.

\* وإذا هاجمنا المنهج العلمي التقليدي (في الطب النفسي مثلاً لاستحالة المقارنة فعلاً) وجدنا أنفسنا في حضن الخرافة بكل ظلماتها وعشوائيتها.

\* وإذا هاجمنا العقل المنطقي الظاهر بأنه ليس "الكلف في الكل" (كما يفعل العلم المعرفي) وجدنا أنفسنا في غيابة اللاعقل، أو سخف رحمة الانفعالات العشوائية، أو حسن النية، الخائب واللاخطيط.

## هل نكف عن النقد والمحاولة؟

طيب، إذن: هل نكف عن الهجوم على كل هذا، ونقول أن "قضا أخف من قضا" ونحس التقليد حذوك البحث بالبحث، وحذوك الديمقراطية بالديمقراطية، وحذوك حقوق الانسان بحقوق الانسان اياها؟

نحن فعلاً نحاول كل ذلك، وإذا بنا نفاجأ أننا:

أولاً: أننا لا نحسن التقليد،

**وثانياً: أنهم ليسوا صادقين في الالتزام بما يعلنون من الناحية العملية**

كما أننا نكتشف تدريجياً أن التي تحكم العالم هي قوى الثروات الحقيقية، والمافيا السرية، والتربيطات الإعلامية، وغسيل المخ العولمي الجديد والحروب الاستباقية، وما لا ندرى.

**مرة أخرى: أوراق قديمة:**

رحت أبحث في أوراقى فوجدت أن هذا الإشكال لم يغب عنها (عنى) أبداً سواء في المنشور منها أو المخزون عندي، وجدت عشرات المقالات والفروض تتناول هذه المسألة تحديداً، قلبت في معظمها جميعاً، ووجدت أن بها نفس الحماس الذي أكتب به الآن ولكنها تنتهى بنفس الحيرة التي أنتهى إليها الآن، لكن للأمانة هي ليست حيرة مغلقة بقدر ما هي حيرة دافعة نحو شيء ما.

**قيل وكيف ذلك؟**

• العالم ملكنا جميعاً فنحن مسئولون عنه جميعاً طول الوقت

• هذا العالم هو نحن كلنا بلا زيادة ولا نقصان.

نحن جميعاً ورثنا تكريم الله لنا

• هي الأمانة التي تحملها جميعاً دون استثناء،

• وهو الوعي الذي امتحننا الله به حين هبنا لنا مسيرة التطور لنصل - كما نتصور- إلى قمته

• فهو مأزقنا جميعاً،

ليس معنى أننا حين نستجير من الرمضاء نجد أتفلسنا وسط النيران وبالعكس. ليس معنى ذلك أن انقراض الجنس البشرى قد أعلن بلا رجعة، أو أنها "نهاية التاريخ" بفوز أحد المتصارعين بالضربة القاضية الفنية، أو الفعلية، أو الذرية، أو الاستباقية، ولا أن المباراة قد أوقفت لعدم تكافؤ القوى.

**صدق أو لا تصدق**

صدقون أو لا تصدقون أن ربنا سيسألنا -ربما أول ما يسألنا- كلاً منا على حدة عن "ماذا فعلت أئني منا تحديداً حين بلغه ما نحن فيه؟

حين وقف وحيداً هذا الموقف الصعب جداً جداً؟

ماذا فعل طوال حياته دقيقة بدقيقة؟

ثم إنه سبحانه سوف يسألنا بعد ذلك، وقبل ذلك، عن ما سيسألنا عنه كله.

**عوداً على بدء**

**السؤال الذي عنونت به المقال يقول: هل عندنا بديل؟**

أعد ان أقوم بتحديث المقالات والأطروحات التي أشرت إليها سابقا،  
أولا: بصفة عامة، وثانيا: فيما يتعلق بالطب النفسي خاصة،

اسمحوا أعود الآن أتساءل:

**هل عندنا بديل؟**

**ومن نحن؟**

**ومن هم؟**

أتوقع أننا لن نجد عندنا البديل الجاهز، وأيضا لا أقبل  
أن نرضى بهذه الحلول المطروحة سابقة التجهيز، ومع ذلك فسوف  
يحاسبنا الله على ما يلي:

• على جهدنا الحقيقي الذي نبذله لنجد الحل الموجود في  
الغيب فعلا، ولكنه موجود منذ الآن.

• سوف يحاسبنا على مدى تناسب الجهد الذي بذلناه ونبذله  
مع جهاد الابداع الذي نسعى إليه وبه.

• سوف يحاسبنا على قدرتنا على رفض الرمضاء، والنار  
معاً، وماذا فعلنا بعدها.

• سوف يحاسبنا على جدية البحث، بالسعى على أرض الواقع  
في طريقنا إلى الكدح إليه، وسط هذه المستحيلات على الناحيتين

• سوف يحاسبنا بدقة متناهيه، كما أمرنا أن نحاسب  
أنفسنا ومنذ الآن.

أما كيف؟

فهو القادر العارف لطريقه الحساب

هو العدل نفسه سبحانه وتعالى .

هنا والآن وأبدا .

**ملحوظة:**

من بين المقالات والأطروحات التي أعِدُّ بالقيام بتحديثها  
عُثرت على العناوين التالية التي قد يكون لها دلالة مبدئية  
حتى نعود إليها:

**بل من هناك نبدأ 7-11-1982**

**حضارة بديلة .... كيف؟ ثنائية المعرفة أم خلط الأوراق**  
1984-1-16

**العولة ونوعية الحياة 14-5-1999**

**هم يحتاجوننا بقدر ما نحتاجهم 1-6-1999**

**حضارة بديلة! كيف؟ عن المدنية والحضارة؟ 27-11-2000**

**حضارة بديلة! كيف؟ من يحكم على من؟ وبأى المقاييس؟ 5-**  
2000-12

حضارة بديلة: كيف؟ الاختلاف حقيقة في الجوهر والمظهر 12-2000

حضارة بديلة! كيف؟ ثلاث قيم وثلاثة محكات 20-12-2000

الاختيار الصعب: العلمانية المؤمنة 30-12-2002

الإيمان يشحن الأداة البشرية: للمعرفة والإبداع 27-1-2003

تحذير

أكاد أعرف المخاطر وعاشتتها

أكاد أعرف احتمال وميوعه التوفيق (الخل الوسط، والخل  
الشؤوناتي 13-1-2008)

أكاد أعرف خبث التلفيق والاستسهال

أكاد أعرف مخاطر انقراض الدعوة للسلفية، والحكم  
الشمولي، وشماته الخرافة

أكاد أعرف أن الصراع لا ينتظر الراضين في الوضع "متأملاً"

أكاد أعرف أنه ليس عندي بديل جاهز

ولكنني أحاول أن أتمسك بموقفى تحسباً لحساب رب العالمين

واحتراماً لمشاركتي هذا الجنس الرائع (المسمى الجنس  
البشري) كلاً من: الوعي، والوعي بالوعي، وحمل الأمانة،  
ومساحة الحركة، وتنوع الفرص، والقدرة على الإبداع

هل مارست أو أمارس ما يميزني بشراً أم لا ؟

الله أعلم .

ونحن - فردا فردا، فجماعة جماعة فكل الناس - نحاول طول الوقت.

هل عندنا (كل هؤلاء بديل)

نعم

لكنه ليس جاهزا بعد

**The Man & Evolution FORUM Web Site**

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

**Forum Subscription**

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

**Mail To Forum Participate**

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

**FORUM INVITATION**

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

الإبراهيمية 16-01-2008

## 138- نوعان من التواجيد البشري

## مقدمة

تساءلنا في يومية أمس عن "هل عندنا ما نضيفه"، وانتهينا بالاجابة أن "نعم"، وإن كنت اعترفت أن ما عندنا ليس محددًا، ولا جاهزًا، ولا حاضرًا للاستعمال الآتي ناهيك عن التصدير!!

لكننا تساءلنا في نفس الوقت من نحن هؤلاء الذين تشير إليهم بـ.. "عندنا"؟ في مقابل ما عندهم؟

وهل مازال مجال في العالم للحديث عن "نحن" و"هم"؟

الأغنية القديمة التي كنا نغنيها أطفالا حين نقسم أنفسنا إلى فريقين للعب أو التنافس في أي مجال كانت تقول "يا احنا يا هما يا كوم الريش، هما يموتوا، واحنا نعيش"، أظن أن الأوان قد أن تتحور الأغنية إلى: "احنا وهما وغير ده مافيش، هما يعيشوا واحنا نعيش"، لكن الحذر كل الحذر هو أن يتم ذلك من خلال الميوعة، أو التوفيق الساكن، أو التلفيق، أو الخل الشويّاتي أو الخل الوسط (يومية 1/13 "عن الثقة والتخوين وحركة النمو"، يومية 1/15 هل عندنا بديل؟)، كل هذا باطل وعمره قصير.

فما هو غير الباطل ذو العمر الأطول.

لقد آن الأوان ان نتوقف عن تقسيم العالم جغرافيا أو عقائديا، ليس بادعاء أممية جديدة، ولكن سعيا إلى الوعي بإجازات البشر الأحدث في كل مكان، وهي التي يمكن أن تسمح لهم أن يرتقوا ليحافظو على نوعهم ولو اقتداء بالنمّل الأبيض مقالة الأهرام 31-7-2007 (... أدنى من النمّل الأبيض).

بهذه المداخلة أحاول أن أضئ زاوية صغيرة قد تساعد في هدايتنا إلى بعض هذا التوجه.

## حديث معاد

كثير الحديث عن العولة، وعن العالم الذي أصبح قرية صغيرة، وعن ثورة الاتصالات التي سمحت للإنسان المعاصر بأكبر قدر

من الحرية (حرية ماذا؟) عبر التاريخ، وعن الشفافية التي جعلت كل شيء متاحاً لكل أحد، وعن النظام العالمي الجديد الذى به حلت "نهاية التاريخ"!!!، وعن صراع الحضارات الذى لايد بالتالى أن ينتهى لصالح الحضارة المنتصرة، [على فرض ان الحضارة الامريكية قد إنتصرت جداً، إذا كانت قد وجدت اصلاً!!].

### "كيف" الجنس البشرى الآن

يبدو أن كل ذلك قد شغلنا عن الأهم والأولى بالنظر، وهو محاولة التساؤل بعد كل هذا، ومع كل هذا عن: إلى أين...؟ (و) إذن ماذا؟ وقبل ذلك: من نحن - الجنس البشرى - الآن؟

ونحن إذ نتساءل نحاول أن نرتقى بوعينا وفعلنا إلى مسئوليتنا عن وجودنا، وعن نوعيته، هذا إذا كان لنا أن نختار ما فضلنا الله به، وهو الوعى بما هو نحن، ومن ثم الإسهام فى اختيار ما يمكن أن نكونه.

لقد أنهى بيل جيتس كتابه الطريق يمتد قدما (1995) المترجم باسم المعلوماتيه بعد الانترنت (فى سلسلة عالم المعرفة ترجمه عبد السلام رضوان (مارس1998) بأمل واعد يقول... ويمكننا بالتأكيد أن نواصل توفير برمجيات أفضل وأفضل من أجل جعل الكمبيوتر الشخصى أداة تمكين معمه فى كل مكان... " ولم يقل، ولا يبدو أنه شغله أن يقول لنا، أداة تمكين من ماذا؟ ولا أداة تمكين للوصول إلى أين...؟ اللهم إلا إشارة عابره لانشاء شركات جديدة، وعلوم جديدة تحقق ما يتصوره عن تحسين نوعية الحياة.

فهل يوجد تعريف إجرائى لنوعية الحياة التى نريد ان نحسنها؟

أهى إطاله العمر،

أم مجتمع الرفاهية،

أم أوهام الحرية،

أم تعميق الوعى والإمتداد الايمانى،

أم مزيد من تأنيس الإنسان؟.

كذلك انهى الكاتبان هانز بيترمان، وهارالد شومان كتابهما فخ العولة (المترجم أيضا فى نفس السلسلة أكتوبر1998 ترجمه د. عدنان عباس) بعرض عشرة أفكار رائعة لإنقاذ اوروبا من غباء العولة (الأمريكية)، وليس لإنقاذ الجنس البشرى من الانقراض المحتمل،

وقد بدت لى هذه الافكار الغربية التى لوح بها المؤلفان بدت لى أفكاراً مثالية خاصة بهم جداً، أملة، وقصيرة الأجل.

سوف اتجنب أن أركز على فتح ملف الفروق بين ثقافة الشرق (المختلف أو الوجدانى أو الإشراقى) وثقافة الغرب

والشمال) المتقدم، البالغ الوفرة، المحقق للرفاهية) فهو ملف مفتوح دائماً، والنقاش فيه مغلوط عادة، (مثلاً بالمعايرة أو التشفي أو الفخر والهجاء).

كذلك لن أحاول أن أعد فضائل الأخلاق (المنقرضة) التي كنا نتمتع بها، أو التي يمكن أن نفخر بها، أو التي ينبغي أن نتصف بها فمثل هذه الدعوات لا جدال حول وجاهتها، (وكذبها أحياناً) من حيث أنه على الإنسان أن يكون على خلق عظيم، سواء بإحياء تعاليم دينه أو باتباع موثيق حقوق الإنسان، أو بأية دعوى مثالية براقية،

إن المطلوب الآن ليس محاولات التوفيق بين الماضي والحاضر، أو بين الشرق والغرب، وإنما المطلوب هو محاولة التساؤل المبدئي عن جوهر ما هو نحن، وإلى أين.

الزعم بأن العولة المعروضة في الوقت الحاضر من الأسياد السابقين قد أزلت أو أنها تزيل الفروق بين الناس عبر العالم هو زعم خبيث متعجل؟

على كل واحد، وجماعة، وشعب أن يبحث أين هو، وأن يبدأ من حيث هو، ليفيدنا نحن جميعاً معا - بما - يستطع.

### عولة واحدة أو عولت عديدة؟

يقول بطرس غالي في شأن العولة حالة كونه سكرتيراً للأمم المتحدة: ليست هناك عولة واحدة، بل ثمة عولت عديدة، فعلى سبيل المثال، هناك عولة في مجال المعلومات، والمخدرات، والابوينة والبيئة، وطبعاً، وقبل هذا وذاك، في مجال المال أيضاً، ثم يتكلم غالي عن الجرائم العابرة للحدود كما يتكلم عن الأموال العابرة للحدود،

لكنه، ربما من باب الحذر- لا من قبيل الغفلة- لم يشير إلى عولة التدين، وعولة التوحيد، والأخلاق الحميدة العابرة للحدود، والوجود الإيمان العابر للحدود.

### المبدعون حاولوا ومحاولون

تناول ديستويفسكى حضور الله سبحانه في وعي الإخوة كارامازوف واحداً واحداً ليعلن بطريق مباشر أو غير مباشر أن هذا المتغير "حضور الله في الوعي"، هو أساسي في بناء الشخصية، ومن ثم في تحديد نوعية الحياة، بحضورها الآن في الفعل اليومي، يستوى في ذلك تسليم إيفان الملحد بأنه.. "إذا فقدت الإنسانيه هذا الإعتقاد بالخلود فسرعان ما ستفنيش جميع ينابيع الحب..(و) أكثر من ذلك أنه "لن يبقى شئ، يعد منافياً للأخلاق، وسيكون كل شئ مباحاً، أو رأى ديمتري أنه: إنك إذا أنكرت الله تنتهي إلى زياده سعر اللحم.. الخ. وقد فسرت المؤسسات الدينية أن هذا الخدس الابداعي ليس إلا دعوة إلى الدين الفلان أو إلى التدين بالشكل العلائق، مما أفسد غائية هذا الإبداع النابض.

كذلك ظل نجيب محفوظ يلج حول هذه القضية بكل إصرار ومثابرة من أول زعبلاوى حتى الخرافيش إلى أصداء السيرة، مارين "بالطريق" دون استبعاد "أولاد حارتنا"، ومن أنصت إلى عمر الحمزاوى فى الشحاذ وهو يستمع لذلك الصوت بعاتبه فى نهاية الرواية إن كنت تريدنى، فلم هجرتنى، لابد أن يدرك أين وضع محفوظ هذه القضية محوراً فى تحديد نوعية الوجود البشرى.

كل ذلك وغيره خليق بأن يلج علينا بضرورة اكتشاف وتأكيد حقيقة جوهرية فى الوجود البشرى تقول:

إن وجود الله - بالمعنى التكاملى الآنى والممتد- هو ضرورة حيويه ليكون البشر بشراً، وأن هذه القضية يستحيل أن تكون مجرد مسألة منطقية شبه عقلية، ناهيك عن أن تختزل إلى إستسلام دينى غيبى.

وجود الله: متغير أساسى فاعلٌ هنا والآن

إننا ونحن نتناول هذا التمداد المطرد فيما هو أدوات التمكين التى تتيحها لنا وسائل الحياة المعولة، لابد وأن نضع هذا المتغير الأساسى فى حسابنا، وإلا فسوف نستدرج إلى التسليم ضمناً بموقع العقيدة والإيمان كإضافات اختيارية Options (مثل كماليات السيارات) يمكن أن يتحلى بها من يشاء بعض الوقت تحت زعم أن الدين لله والوطن للجميع، أو أن ما لقيصر لقيصر وما لله لله وكلام من هذا، مما نجدنا تحت وهم تسامح كاذب لا يصل إلى عمق حقيقة التواصل البشرى تحت مظلة الحق.. سبحانه وتعالى طوال الوقت.

حين نتكلم عن وجود الله، حتى نتجنب الاختزال والاحتكار، نشير إلى حضور مائل هنا والآن وأبداء، وبذلك يستبعد التعيين المحدد لذاته التى ليس كمثله شئ - استغفر الله -، وكذا يستبعد الاغتراب المنفصل، حاشا لله.

إننى أزعم أن هذه المسألة: وجود الله سبحانه فى الوعى البشرى (أقرب من حبل الوريد) وفى نفس الوقت فى الكون المفتوح (وسع كرسيه السماوت والأرض) أزعم أن وجود هذه الحقيقة الماثلة "هنا والآن" كمتغير فاعل طول الوقت هى الجوهر الذى ينبغى أن نعتنى باستعمال الأدوات الأحدث ليرجمته بطريقه تميزنا نحن، وفى نفس الوقت قد تضيف إلى احتياجاتهم ما يمكن أن ينقذهم من أوهامهم حول الإكتفاء بالحرص على الرفاهية والتنافس الكمي المتنامى، والاستغناء عن الله بآثاره الفنية فى إبداعهم؟ مع أنه باعتراف أكثرهم إبداعاً هو حاضر مضمئ فى كل ابداع أصيل.

نوعان من التواجد البشرى

يبدو أن الحياة البشرية المعاصرة تختلف نوعياً إذا كان الله موجوداً بمعنى: "الآن، والوعى، والوصل، والامتداد" عنها إذا ما أنكرناه أو أبعدناه أو حددنا أوقات لقائه دون غيرها أثناء العبادات أو أيام الأحاد أو الجمع! ولعل هذا،

في رأي، هو الفرق بين الإسلام الموقف الوجودي، (وما يقابله في أي دين لم يتشوه) وبين الإسلام المغترب، أو المختزل، أو الإسلام المستعمل من الظاهر لتولى سلطة، أو إعلان وصايه، وبألفاظ أخرى: بين الإسلام الفطرة وبين التشويهات التي لحقت بممارسات الإسلام المؤسسة.

أن التاريخ الحيوى للتطور يعلمنا أن أي نوع من الأحياء ينقرض إذا تمادى عدم التناسب بين مجالات وجوده، ونوعيات قدراته، وطبيعته فطرته، وأيضاً ينقرض نتيجة عدم التناسب بين احتياجاته ومعطيات الوسط المحيط، هكذا تعلمنا دروس إنقراض الديناصور مثلاً حين تمادى عدم التناسب بين ضخامة جسده وصغر حجم مخه وسرعة حركته (وإن كان هذا الزعم يعاد النظر فيه مؤخراً) إلخ، وما تعرضه علينا الآن أدوات العولمة يكاد يضعنا في موقف مشابه إذ نتهدد بدرجة من عدم التناسب بين سرعة الحصول على المعلومات وبين إمكانية استيعابها، وايضاً بعدم التناسب بين غلبة الحسابات الظاهرة على حسابات الحس الكونى التناسقى الإيماني التواصلى الاعمق.

إن الحياة تختلف كل الاختلاف إذا كان هذا العامل المشترك الأعظم (الحق سبحانه وتعالى) موجوداً وجوداً حياً حقيقياً غير مؤجل، عنها إن لم يكن موجوداً في وعى الناس.

**الإحسان** الذى هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ليس له عندى تطبيق عملى إلا ما أعنيه من حضور الله في الوعى، في الكون معاً طول الوقت.

**أننى أتصور أن المسألة كالتى:**

هناك نوعان أساسيان متميزان من الوجود البشرى يطرحهما التاريخ بوجه حق، ويؤكدهما الحاضر،

**النوع الأول** هو النوع الذى يقف شامحاً فخوراً لينتهى وجوده عند أعلى نقطة فوق هامة رأسه وقد زانه عقله ولعته أدواته (وهو ما يمثلُه اغلب - وليس كل- ما يسمى الحضارة الغربية الشمالية التكنولوجية، إلخ).

هذا النوع الذى تمثله هذه الحضارة قبل إفاقتها مؤخراً هو نوع جميل الريق وافر الرفاهية كثير الموائيق المكتوبة رائع الإنجاز، رضى بواقعية آنية أعفته من الإفراج عن وعيه الأعمق الممتد عبر البشر وعبر الأكوان.

**أما النوع الثانى** فهو الذى تمثله الحضارات الممتدة إلى "الما بعد"، بأشكالها التوحيدية التواصلية النابضة لا يجد وجودها عقل ظاهراً، أو وصاية إمكانيات، أو تكنولوجيا آلات مهما بلغت قدراتها المحدودة.

**إن هذين النوعين من الوجود يختلفان اختلافاً جوهرياً**، بحيث تصطبغ الحياة بطعم مغاير عند من يعيش هذا النوع أو ذاك، على الرغم من تشابه الأدوات والإمكانات المتاحة.

أتصور أن كل المؤمنين من كل الأديان التي لم تُشوّه، ذلك الإيمان الفطري الأول الذي يتجلى في ممارسات دينية مختلفة، متضرة، وضامة في آن، ينتمون إلى هذا النوع الأول من الوجود، بل يبلغ في الأمل في رحمة ربنا أنه يضيف إلى هذا النوع كثيراً من المبدعين الذين يبتغون وجهه تعالى حتى لو لم يعلنوا ذلك صراحة أو يعرفوه أو يعترفوا به.

إن حقيقته وجود الله في كل مكان وزمان هي حقيقة لا تتجلى فعلاً يومياً إلا إذا ملأت الوعي البشري طول الوقت، وهي حقيقة قد اثبتتها - برغم أنها لا تحتاج إلى إثبات - اختبارات التاريخ، لا حجج العقل، أو خطابة المفسرين، إن العودة الجماعية إلى الممارسات الدينية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي لا ينبغي أن تؤخذ لصالح المؤسسات الدينية التقليدية، وإنما هي تتجاوز ذلك باعتبارها إعلاناً يقول: إن الإنسان - متى ما اتبحت له الفرصة - يسارع بأن يستكمل وجوده ويصحح اختزاله لا أكثر.

### هل آن الآوان؟

هل قد آن الآوان لإفافة شاملة في الوقت المناسب لكي نعد برمجياتنا الجديدة ونحن نضع هذا المتغير المتكامل في بؤرة وجودنا.

إننى أتصور أن التمدادى في تقديس الحضاره الكتابية قد أدى إلى إهمال الحضارة الشفاهية حتى أصبح احترام ميثاق حقوق الإنسان مثلاً أهم من احترام الإنسان نفسه، وأيضاً أصبح الإلتزام بمواد القوانين المكتوبة (بما في ذلك حذق التحايل عليها) أهم من الإلتزام بما كتبت هذه القوانين من أجله.

إن وجود الحق سبحانه وتعالى كحقيقة يومية طول الوقت هو الذى يمكن ان يقرب بين ما هو مكتوب وما هو معاش.

### كثير من الخيال كثير من الشطح

كما قلت أمس: ليس عندى اقتراحات محددة، لكن هل تسمحوا لي باستحضار خيالكم معى ونحن نتساءل:

هل يمكن برمجة برامج قادرة تستطيع أن تصنف إنجازاتنا الفردية والجماعية، لنعرف من خلالها إن كانت خطواتنا تسير في الاتجاه الصحيح الذى يعمق إنسانية الإنسان، أم أنها تتعملق في ذاتها لذاتها كوسيله بلا هدف واضح، او هى تسعى نحو هدف هدام؟

إننى أتصور أن هذه البرامج ربما تشبه برامج كشف فيروسات الكمبيوتر، التى تختبر أية تداخلات غريبة على فطرة الإنسان كما خلقها الله، تداخلات يمكن أن تضرب المحتوى، أو العتاد أو البرامج الصالحة.

على هذا القياس دعوى آمل (أتحيل) أن نصل إلى ابتداء برامج تقيس إنجازنا اليومى فرداً فرداً، فتجيب لكل واحد

منا عن أسئلة بسيطة يعتبر نسيانها هو آفة اغترابه وهلاكه، (ثم هلاك نوعه) أسئلة تحدد له نوع إنجازة هذا اليوم - مثلاً - سواء اشترى فيه عربة جديدة، أم أصدر قراراً برفع ثمن دواء مهم في شركة أدوية لتكسب شركته أكثر، أم شاهد غروب الشمس، أم ساهم في إطعام جائع لا يعرف جنسيته أو دينه، هل يمكن أن تتصور كيف يكون العالم لو انتبه كل منا إلى توصيات هذا البرنامج قبل أن ينام كل ليلة، ليعلم إن كان هذا الذي أنجزه طول يومه قد زاده إمتداداً في الكون (إعناً) أو قريباً من آخر(حباً) أو عمقاً في الوعي (ابداً)، أم أن العكس هو الذى حدث.

### الحاجة إلى ملايين الأنبياء

كتبت في "حكمة المغانين" منذ أكثر من ثلاثين عاماً "لسنا في حاجة إلى دين جديد، ولكننا في حاجة إلى ملايين الأنبياء" ربما هذا ما كان يعنيه محمد اقبال كما ذكرت في يومية السبت 13-2008 "عن الثقة والتخوين وحركية النمو" تفسيرا لختم النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام،

أهم شئ أن أكبر ما يميز ملايين الأنبياء هؤلاء، هو أنهم ليسوا أنبياء.

لم يعد هناك مجال لهبوط الوحي على نبي جديد على الرغم من ظهور ديانات شاذة ومريبة كل يوم في كل مكان يسمح بذلك،

لكن الذى حدث أننا استبعدنا الفاعلية الابداعية الخلاقة للأديان القائمة بالجمود أو بالإنكار فلم تعد تساهم باعتبارها فعلاً يومياً تحدد به ما حاولت في هذا المقال

ولن تستعيد العبادات دورها الرائع في تسليك مسار الانسان إلى مطلق الطبيعة فالكون توجهها إلى الحق سبحانه وتعالى، إلا إذا انفتحت كل ابواب الاجتهاد والابداع فيها بأقل قدر من الوصاية والاحتكار.

ثم علينا أن نبحث كيف نضع الإبداع الأصيل في مكانه الحقيقى الذى يفتح أبواب ونوافذ الوعي انطلاقاً إلى وجه الحق تعال لحفظ هذا النوع الرائع الذى اسمه "الإنسان".

### وبعد

هل هناك علاقة بين كل ذلك وبين ممارسة الطب النفسى عموماً، وفي ثقافتنا نحن بوجه خاص؟

الإجابة هى "نعم"

ولسوف نرى

- كتبت أصل هذه المداخلة ونشرت في الاهرام بتاريخ 14-1999 بعنوان "العولة ونوعية الحياة"

الخميس 17-01-2008

## 139- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقااة

الحلم (25) ، (26)

الحلم (25)

رأيتها في الحجره معى. ولا أحد معنا، فرقص قلبى طربا وسعادة، وكنت أعلم أن سعادتى قصيرة. وأنه لن يلبث أن يفتح الباب ويخفى أحد.. وأردت أن أقول لها أن جميع الشروط التى أبلغت بها على العين والرأس، ولكن تلزمنى فترة من الزمن ولكنى فتنت بوجودها فلم أقل شيئا، وناديت رغبتى فخطوت نحوها خطوتين، لكن الباب فتح ودخل الأستاذ وقال مجده إنك لا تفهم معنى الوقت واقتلعت نفسى، وتبعته إلى معهده القائم قبالة عمارتنا، وهناك قال لى أنت فى حاجة إلى العمل عشر ساعات يوميا حتى تتقن العزف'. ودعانى للجلوس أمام البيانو فبدأت التمرين وقلبي يحوم فى حجرتى، وسرعان ما انهمكت فى العمل. وعندما سمح لى بالذهاب كان المساء يهبط بجلاله. وبادرت أعبى الطريق على عجل. ولكن لم يكن ثمة أمل فى أن تنتظرنى مدة غيابه. وإذا برجل صينى طويل اللحية بسام الوجه يعترض سبلى ويقول: كنت فى المعهد وأنت تعزف، ولا شك عندى أنه ينتظرك مستقبلا رائع واخفى لى وذهب وواصلت سيرى وأنا مشفق مما ينتظرنى فى مسكنى من وحشة.

## القراءة

الحجره هنا هى المشهد الأول الذى جمعه معها وهدما، وقيل أن يعلن فرحته، أو يرصدها، قفز إليه الزمن يشكك فى الاستمرار.

منذ البداية، قبل ومع الفرحة، لاج له التهديد بالفراق "...كنت أعلم أن سعادتى قصيرة، وأنه لن يلبث أن يفتح الباب". الزمن الملاحق هنا "لن يلبث" أن يكسر خصوصية المكان يفتح الباب، فيختفى ويختفى معه رقصة القلب وسعادة اللقاء.

هل كشفت لهفته وعجلته لاقناص فرصة انفرادهما، على احتمال كذب قبوله شروطها، ولو مناورة لا شعورية؟

وهل تلك الفترة من الزمن التى قال إنها تلزمه للاستجابة لشروطها كانت بلا فحوى موضوعيه، لأنه، كما سيقول الأستاذ حالا لا يعرف معنى الوقت؟

الزمن هنا يظهر في أشكال مختلفة، الزمن الخطى التتابعى حين يقترن قبوله شروطها بضرورة الانتظار "فترة من الزمن". والزمن اللاهث طلبا للذة، والقرب، المترقب للنهاية، "وكنت أعلم أن سعادتى قصيرة" والزمن الملى بما يستحقه "أنت لا تفهم معنى الوقت"

من فرط حرصه وفتنته بوجودها حالا لم ينتظر، بل "نادى رغبته" وليس اقترب بنفسه وحبه وكله منها،

كيف ينادى الواحد رغبته؟

يقولها محفوظ هكذا ببساطة وكأنها (الرغبة) كانت تنتظر - في حجرة مجاورة - .

وبدلا من أن تستجيب الرغبة لندائه يدخل الأستاذ وهو يحمل معه المعنى الآخر لما هو "زمن". يؤنبه الأستاذ مباشرة على ضياع الوقت "أنت لا تفهم معنى الوقت" وكما نادى الراوى رغبته وكأنه ينادى الحاجب، "اقتلع نفسه" (كلها هذه المرة وليس مجرد رغبته في تعلم مهارة)، وتبع الأستاذ إلى الجانب الآخر "قبالة عمارتنا".

نلاحظ هنا، قبل أن نستطرد، قدرة محفوظ على التجول بين حالات ذاته (ذواته، منظومات وعيه)، فاختياره لتعبيرى "ناديت رغبتي" و "اقتلعت نفسى" قد يشير إلى ذات محورية axon self مستعيرين أجدية ساندور رادو (Sandor Rado) وهى الذات التى تتمحور حولها الكيانات (الذوات) الأخرى الداخلية. الرغبة هنا تبدو مشخصة في "ذات" وليست مجرد عاطفة .

المهم أن الراوى ما إن اقتلع نفسه وتبع أستاذه حتى وجد نفسه في حال آخر تماما، لا هو الحال الذى رقص قلبه فرحا بصاحبته، ولا هو الحال الذى يمتثل أنه ناورها به وهو يعلن قبوله شروطها ، هو حال الإبن المطيع، أو الطالب النجيب المجتهد. إذ يبدو أنه أبدى هنا استجابة طيبة لحرص أستاذه على تنبيهه لمعنى الوقت، ثم مبادرته بالتدريب الجاد على دروس البيانو (وليس حثه على حفظ جدول الضرب مثلا) :

من هذا المنطلق بدأ التدريب على الفور باجتهد شهد له الحكيم الصينى فيما بعد.

إن البديل هنا كان ملء الوقت بتدريب مهارات إبداعه، لم يُنسه هذا البديل نبض قلبه في حجرة اللقاء الطروب، لكن هذا الشوق بدا هذه المرة وكأنه حافظ لمواصلة التدريب، وليس لهفه على اقتناص لذة عمرها قصير، وهى اللذة التى تحققها رغبة يناديها من الحجرة المجاورة .

لكن الحسبة لم تكن سهلة، فبالرغم من أنه يمارس ما رضى أن يستوعب طاقة وجدانه، وليس فقط ما يؤكد تفوقه أو مجاحه، إلا أن قلبه ظل يحوم حول حجرة اللقاء. صحيح أن التدريب على البيانو (الإبداع المثابر الذى اشتهر به شخص محفوظ بالذات) يمكن - من حيث المبدأ - أن يحتوى الجمال ويطرِب

له القلب والعقل معاً، لكن صحيح أيضاً أن القلب الطفل لا يستطيع أن ينتظر حتى تنصل العواطف وتشحن الأدوات لتحتوي نبضاته إيقاع الإبداع، فيستغنى به عن جوعه العاطفي، ولو مؤقتاً، فهذا هو قلبه مازال معلقاً - بالحجرة ومن بها.

لكن دخيلاً يلبس ثوب الحكمة في صورة الرجل الصيني طويل اللحية بسام الوجه يحتل الصورة ليبارك اجتهداه ويطمئنه على مستقبله.

هل يكفي تشجيع هذا الحكيم (الصيني) وتنبيهه له بالتفوق أن يحقق التوازن الذي يجتوى جوعه العاطفي الرقيق؟  
لا يبدو أن الأمر كذلك.

فمع هذا الإنجاز الواعد، يرجع الراوي إلى نفسه ليواصل سيره إلى مسكنه (لا إلى حجرتهما-لا يوجد ما يشير إلى أن حجرة اللقاء كانت إحدى حجرات مسكنه)، يرجع وهو منغمر ببصيرة النضج، راض عن الثمن الذي دفعه في تحقيق الولاة الصعب، متقبل لما ينتظره من وحدة محتملة، فهو الذي اختارها في نهاية النهاية حين رضى أن يجعل للوقت معنى بأن يصل أدوات الإبداع الواعدة باحتواء دفع عواطف طفولته الجائعة، وتشكيل إيقاع نبضات وجدانه الغض في ضربات البيانو وهو يعزف.

كل ذلك على حساب عاطفته الجياشة الجائعة، فليكن انتظار الوحشة هو الثمن.

لينتهي الحلم وهو يمضى فرحاً بإنجازها، متقبلاً للوحشة (ولو مؤقتاً).

ما زالت العودة إلى المنزل (الأصل/الرحم/القبر/الذات القابضة هناك) تلوح بأن المنزل هو الوعد باخماية بأنه الملاذ.

وما زال المنزل موحشاً لأنه بلا ناس، فلا أمان!

## الحلم (26)

جمعنا مقهى بلدي، وقص علينا صاحبي قصة بوليسية من تأليفه.. وقبيل الختام دعانا إلى الكشف عن القاتل. ومن (يفز يعفى من) دفع ثمن طلبه، ووفقت إلى الإجابة الصحيحة وجدت بذلك غاية السعادة. وبعد ساعة استأذنت في العودة إلى بيتي. ولانشغالي بنجاحي تهمت فسرت في طرق حتى وجدت نفسي أخيراً أمام المقهى مما أثار ضحك الجميع، وتطوع أحدهم فأوصلني إلى بيتي وودعني وانصرف.

وبيتي مكون من طابق واحد وحديقة صغيرة وشرعت في خلع ملابسي ولما صرت بملابسي الداخلية لاحظت أن خطاً من التراب يتساقط من أحد أركان الغرفة.. وكان هذا المنظر قد ورد في القصة التي ألفها صاحبنا وكان نذيراً بسقوط البيت على من

فيه فبكت أن بيتي الصغير سينقض فوق رأسي. وملكى الفرع فغادرت البيت بسرعة ولهوجة واستزادة في الأمان انطلقت بعيدا عن البيت بأقصى سرعة في الهواء الطلق.

### القراءة

المكان هذه المرة هو مقهى بلدى (لاحظ - مرة أخرى- البداية بتحديد المكان في أغلب الأحلام) الحلم يبدأ بقصة بوليسية يحكيها مؤلفها (يبدو أنه ألفها لتوه) وهو أحد الأصدقاء، فنستنتج أنها قصة سطحية للتسلية، وينجح الراوى في حل اللغز (من القاتل)، ومع أن الجائزة تبدو تافهة (ثم ما شرب) إلا أنه يبدو أن نشوة النجاح في ذاتها كانت غامرة حتى أسكرته فكاد يفقد وعيه وتاه عن بيته ودار حول نفسه حتى عاد إليهم في نفس المكان مما اضطر أحد أصحابه أن يوصله إلى بيته.

نكتشف من البداية كيف أن نشوة النجاح الذاهلة هذه لا تتناسب مع حقيقة المكسب (ثم المشاريب)، ومع ذلك، فالنجاح هو النجاح، والتنافس هو التنافس، والجوائز هي الجوائز، والنشوة هي النشوة حتى الذهول.

حين يعود صاحبنا إلى نفسه (بيته) ويتعري إلا قليلا (بقيت الملابس الداخلية) ينقلب الخيال إلى واقع حتى تكاد القصة - على تفاهتها - تصبح حقيقة.

هنا يقفز إلينا سؤال آخر غير سؤال القصة اللغز، سؤال يقول "من القاتل؟" (لا من القاتل؟). التعري بعد ذهول الفوز على تفاهة الجائزة أمكن أن ينبه الراوى أنه: إذا كان شخصه بهذه الهشاشة، تسكره نشوة فوز لا قيمة له، فهو مقتول بأى فوز تافه قد يغرقه في اغترابه حتى الذهول.

هكذا فجأة يضعنا محفوظ أمام التساؤل عن معنى النجاح ومعنى التنافس، ومعنى الفوز. يعلن محفوظ أن تمثيلية النجاح التي تمثلها جميعا قد لا تكون - في نهاية النهاية- إلا دوامة فراغ، وأن سعار الفوز التنافسى الذى يسكرنا برغم تفاهة الجائزة هو الضياع ذاته.

إن الراوى برغم فوزه بمكأفة حل اللغز، هو هو المتمايل في سكر النجاح حتى التوه، وهو - برغم فوزه، أو حتى بسبب فوزه هذا - يواجه انهيار وجوده الهش الذى يعلنه تساقط التراب من أحد أركان الغرفة. لم يحمه الفوز من التهديد بانهيار وجودٍ كان هشاً طول الوقت، ولم ينتبه صاحبه إلى هشاشته إلا حين غمره ذهوله بفوزه الخائب، إذ فوجئ بأن البيت الصغير المنعزل، على وشك الانهيار بلا سبب ظاهر إلا هشاشة بنيانه.

لكن هل ثم سبيل إلى الإصلاح أو التعديل أو الإفاقة أو البدء من جديد؟

يترك محفوظ النهاية مفتوحة،

يترك صاحبنا وهو يبحث عن الأمان بعد أن تيقن من قرب انهيار وجوده (بيته الصغير)، راح يبحث عن الأمان في الخارج هذه المرة.

فهو يعدو بعيدا عن بيته لا إلى بيته.

يجرى بأقصى سرعة في الهواء الطلق، يجري من نفسه (بيته الصغير المنعزل) إلى نفسه، (المشروع الأقرب إلى أصلها، إلى الطبيعة إلى الهواء الطلق)

ولكن هذا الهواء الطلق لا يعد بشيء إلا مواصلة الجرى.

... في الحلم السابق توجه الراوى إلى بيته وهو يستشعر ما ينتظره من وحشة، لكنه توجه مسئولاً، مبدعاً، ماهراً (عازفاً للبيان) رغم الوحدة (وقد أشرنا إلى تكرار مثل هذا التوجه "إلى البيت" لم يكن هنا تلقائياً بل بمساعدة صديق .

الراوى هنا يهرب من بيته ذى الطابق الواحد (الوحدة)، وذى الخديقة الصغيرة (لا مكان لآخر)، وهو بذلك يعلن أن البيت الصغير، لا يفي بأى مما يمكن أن يعد به، وأنه مهدد بالسقوط، برغم هدوئه وبعده وعزلته (أو بسببها).

الهرب هنا من البيت إلى الهواء الطلق (ربما الطبيعة والناس والمساحة والحركة والخربة) يصبح هو الأمان هذه المرة.

(راجع ما سبق ذكره في أكثر من حلم وأكثر من يومية عن برنامج الذهاب والعودة (الدخول والخروج).

- علاقة محفوظ "بالأماكن" مازالت تمثل المعمار الذى ينطلق منه وبه في معظم إبداعاته. هذا ليس جديداً، إلا أنه في أحلام النقاها أصبح للمكان حضور أقوى وأكثر مثولاً. قلت في نفسى: لعل هذا هو التعويض الإبداعي لما لحق بالبصر من كلال، وهو نفس التفسير الذى جاءني حين رصدت عنده يقظة وغلبة نشاط النصف غير الطاغى من الدماغ (المختص بالتصور الكلى، والإيقاع المتداخل، والتكثيف الضام.. إلخ) ربما حدث ذلك لشيخنا نتيجة لتناقص فرص تدريب النصف الطاغى لمواصلة طغيانه بالمنطق الخاطئ والتسلسل التربيطى المتتالى، حدث هذا بعد الإعاقات الحسية المتزايدة التى امتحن بها شيخنا. هل هذا هو ما جعل للمكان، الصورة، المساحة، كل هذا الحضور الغالب المتزايد في هذا العمل؟ ذلك الحضور الذى تزيد من الإحساس به سرعة إيقاع الحركة، وتداخل النقلات بفجائية تحافظ على الدهشة وتجدها؟

- الأقواس تدل على تصحيح محتمل لما عُصِّتْ على قراءته سواء في النشر أو في النص بخط اليد

## مقدمة :

لم يقتصر فضل هذه اليومية وما استتبعها على شخصي أنها أحييت أملِي في أن أتواصل مع عدد أكبر "ممن بهمه الأمر" ، (أمر الإنسان والتطور) ، ولا على أنها سمحت لي بالتحرك في مساحة أوسع ، وإنما امتد إلى أنها عرّفتني أين وكيف قضيت سنين حياتي كلها "أحاول" ، وهأنذا أجد نفسي بين "ناس الآن" وهم أجهل ناس بإذن الله.

## الحمد لله .

حوار هذا الأسبوع هادئ محدود متواضع ، وهو يرضيني وزيادة ، وإن كانت فيه جرعة شخصية أكثر مما ينبغي ، وأكثر مما أحب ، لكن ماذا أفعل هذا ما وصلني .

نبدأ مع الابن أسامة عرفة ، وهو الذي يجرّني عادة إلى مثل ذلك عادة .

د . أسامة عرفة : أولاً : ساقية عبد المنعم الصاوي 10-1-2008 شكرأ على نشر الحوار مع محمد... ، ومافيناش من زعل ، الرائع أنه كان محمد ، ولم يكن محمد يحيى .

## د . يحيى :

يا أسامة حرام عليك ، فيم الزعل يا أحي؟ ألم يصلك ما كتبته محمد سنة 1980 ، وهو بعد في السابعة عشر من عمره؟ ألم يصلك قدر ما فيه من استنكارى أن أحرمه بكارة سعيه ، أن يكون جوف قبره ، أن أرجو صحبته لنفسى ، ألم يصلك موقفى يا أسامة معك كإبن ليس من ظهري ، ما فعلته مع أولادى من ظهري وأولادى جميعا وأنا أعزى اعتماديتى عليكم مخاطبا محمد "تحمل عنى عبء الكلمة" ، تحميني من بهر الرؤية ، ترعانى ولدى طفلا ، وأخيرا ، ألم يصلك أننى قلبت الآية فسمحت لولد أن يذبح أباه قربانا ليكمل هو المسيرة ، (إذبحنى فذية ، أنت الأولى!) ، وليس العكس ،

ثم تأتي يا أسامة ، عد كل ذلك ، وتقول "مافيناش من زعل أن كان محمد هو محمد وليس محمد يحيى الرخاوى .

دعنا ننقل من الخاص إلى العام :

أنت تعلم كم شغلتنى هذه المسألة جدا جدا طول عمرى، مسألة أن أقرأ الأب من مآل ابنه وكنت كلما بالغت في ذلك الاتجاه، أحاول أن أثنى نفسى بأن أتذكر ابن سيدنا نوح عليه السلام، لكننى أتمادى في نفس الاتجاه، لقد شغلتنى هذه القضية وأنا أمارس الحياة كلها وتركزت أكثر فأكثر وأنا أمارس التطبيب.

هل تذكر كيف صورث هذه الصورة في سر اللعبة سنة 1974 في سياق شرحى للسيكوباثولوجى.

يا أبتى إن زاد القهر

فسألتهمك إذ يسحقنى الخوف،

لن تؤلنى بعد اليوم،

فأنا القاتل والمقتول وسر وجودى أنك مِتْ،

تختلط ضمائرنا تتبادل،

.....

فسأمضى، تمضى، نمضى... نحو سراب وجودٍ عابثٍ...،....

ما أغبى هذا السير وقوفا...،

لكن ما أحلى الخدعة.

أنا مهتم من قديم بهذه النقلة بين الآباء والأبناء، يا أسامة، وليس مجرد الحوار المزيّف، حاولت أن أمنع نفسى من أن أحكم على الوالدين، خصوصا الأصدقاء اليساريين- من خلال معرفتى بأبنائهم (وبنائهم طبعاً)، والله يا أسامة كانت ومازالت خيرة مؤلّة، قيمة العدل - مثلاً - تتجلى أكثر ما تتجلى في هذه العلاقات، ولا أجد مجالاً لتفصيل ما كان، أن تعدل بين أبنائك وبناتك، وبين أبناء وبنات الناس يكاد يكون مستحيلاً، ومع ذلك فنحن نحاول هنا وهم أبنائى يشاركون من كل الأنحاء

د. أسامة عرفة

لقد سعدت معك (فعلاً) بلقاء خالد وطلعت وأحمد عبد الله، بس كنت محتاج أعرف أحمد المقطم أم أحمد جامعة بنها/ الزقازيق

د. يحيى:

هو أحمد المقطم يا أحمى، لا أحد ترك المقطم إلا وظل مقطمياً والحمد لله، كيف لم تستنتج ذلك، وهو الذى استشهد بقول "المثلى لا يسلك إلا دربه يحفره بأبنين الوحدة.

أما خالد وطلعت فقد أشعرانى فعلاً أن أبنائى أكثر عدداً، وأوسع انتشاراً من رأس الخيمة إلى نيويورك. ياه!

في إهدائي للجزء الثالث من ثلاثية المشي على الصراط ، الذى سيظهر هذا الأسبوع باسم "ملحمة الرحيل والعود" اتصلت بي المسئولة عن صدوره هذا الأسبوع من مكتبة الأسرة ليلحق بمعرض الكتاب، وأبلغتني تسأول د. الأنصارى عن إهدائي وكان **"إلى" أحفادى وأحفادى** وقد تصور الدكتور الأنصارى أنه خطأ مطبعى، فاتى تصحيحه، قلت لها، بل إنى أعنى التكرار، قالت: ماذا تعنى؟ من هم هؤلاء ومن هم أولئك؟ قلت لها: ألم تلاحظى أن هناك علامتى تنصيص على إحدى الكلمتين دون الأخرى، فقالت: يعنى ماذا؟ قلت: أحفادى بين التنصيص هم أولاد وبنات أولادى وبناتى، من ظهري أما أحفادى الثانية فهم أولادك أنتِ ضحكك وفهمك.

نحن في حاجة إلى عقول متفتحة من كل الأعمار، أريد أن أوصل ما وصلنى من مرضاى إلى أصحابه في كل مكان، وأنت خير من تعرف كم أغرقنى هذا الذى وصلنى حتى فاض منى، (وليس فاض بي)

#### د. أسامة عرفة

تقسيم "وجدانى - غير وجدانى" من الإضافات النادرة و المبدعة التى حواها كتاب البورتريه و في انتظار كتابكم عن الوجدان

#### د. يحيى

لقد أصبح اسم كتاب البورتريه (صورة المريض من أعراضه) هو علم الأمراض النفسى: وصفا Descriptive Psychopathology وهو يكمل كتابي الأول: دراسة في الأمراض النفسية link Study in Psychopathology الذى هو مفهوم تركيبى تطورى غائى، أما كتاب **"ماهية الوجدان"** فهو لم يكتمل مع أنه بدأ سنة 1974 ، فتحت على نفسى يا أسامة في هذه اليومية عدة محاور لم أكمل أيا منها، من أول **"ماذا حدث للمصريين"** حتى **"ماهية الوجدان"**، ثم **"الفصام"**، **"وتعدد الذات"**، وهأنت ذا تذكرنى بكتاب البورتريه فهل يتحملنا قارئ هذه اليومية حتى نصل معا إلى ما نريد ومنتظر منا.

دعنى أسألك: ما رأيك لو خصصنا عددا متلاحقا من اليوميات لنكمل كتابا فكتاباً فكتاباً، وهكذا؟

قبل أن ترد:

أنا شخصيا لا أوافق

مع أنتى في أشد الحاجة أن أعطى موضوع الوعى في سلسلة متتابعة من اليوميات.

#### د. أسامة عرفة

لقد سبق لى أن أنفقت ستة أشهر في قراءة كتاب الوعى لهنرى إيه أيام تحضيرى لرسالة اضطراب الوعى في الاضطرابات النفسية و كان بتوجيه من حضرتك

د . يحيى :

.. لقد تذكرت ذلك الآن فرحا برسالتك، لكنني مازلت أعترف أنني لم أفهم موقف إي (ولا غير إي) من الوعي بالدرجة الكافية، وحين نعود إليه في هذه اليومية أو غيرها... ربما...

أظن يا أسامة أن الإبداع الأصيل يعرفنا عن الوعي ومستوياته أكثر بكثير من التنظير القحّ،

د . أميمة تحاول معنا وقد أرسلت قراءة كاملة خلّمي 23 ، 24 لكنني تحفظت أن أنشرها فدعني أبلغها رأيي.

د . يحيى :

قرأت قراءة تك /للحلمين/ يا دكتورة أميمة، واختلفت معك كثيراً، لكن دعيني أبدأ من البداية :

بعد نشر قراءة تك الأولى في زاوية "المحررون الضيوف" الأسبوع الماضي وصلني من أصدقاء عديدين أنهم خلطوا بين ما أكتبه وبين ما تفضلت أنت به ، فخفت أن أنشر قراءة تك اليوم كاملة فيستمر الخلط، وتحدث بليلة تفسد المحاولتين معاً.

لعلك تسمحين لي أن أوّجل نشر قراءة اتك الموازية حالياً، حين ينتهي دوري، مع قبول دعوتي لك أن تفضلني بالتعقيب تحديداً على بعض ما أنشر حالياً، التعقيب بالموافقة أو النقد (نقد على نقد) أو التصحيح أو الرفض، كما يفعل - ببخل شديد - الابن د.زكي سالم.

ثم دعيني أخبرك عن تجربتي في هذه المحاولة، فقد قرأت الأحلام كلها عدة مرات قبل أن أقدم على هذه القراءة النقدية حلماً حلماً، ثم أنني لست واثقاً إن كنت سأكمل أم لا، وصدقيني أنني أعاني معاناة شديدة حتى أنجح في تحرير تلك السطور القلائل، ثم أنني أكتب النقد عدة مرات، وفي كل مرة أقرأ الحلم كاملاً قبل أن أجرؤ على إقرار النقد ونشره.

المسألة صعبة، وأنا في أشد الحاجة إلى حوار، لا إلى قراءة موازية في هذه المرحلة.

والآن دعيني أرد على بعض ما جاء في قراءتك احتراماً لتفضلك وإن كنت أعلم مسبقاً كم في هذا من الظلم على إسهامك، أحاول عرض جزء من فضلك هكذا :

د . أميمة رفعت:

... هناك عنصر أساسي يربط الحلمين ببعضها وهو القلق، وهو خيط يمتد من أول الحلم 23 ليكبر ويتعمق شيئاً فشيئاً حتى يهيمن على الحلم 24 بأكمله... إلخ، كثيراً ما يترجم القلق في الأحلام إلى "مطارده" والمطارده حركة، و الحركة هي أكثر ما لفت نظري في الحلمين: فحركة الكاتب مستمرة وحيثية في الحلم 23 وقد عبر عنها من أول كلمة "أسير" ثم "أقدم وراءه" ، "أوسعت الخطى"، "أسرع"، "أهرب"... إلخ

د . يحيى :

إليك ما خطر لي يا أميمة وأنا أقرأ هذه الفقرة، فأنا - وأنا الطبيب النفسى - لا أعرف معنى محمدا للقلق - رغم شيوع استعمال الكلمة بشكل هائل في ثقافتنا الأحدث، أنا أعتقد أنه لفظ مستورد في نهاية النهاية، كم شاعر عربي استعمل كلمة "القلق" بالله عليك؟ في أطروحتي "مخاطر الترجمة" في تشكيل مشاعرنا" نبهت أن نخذر أن نتنازل عن تلقائية وصف مشاعرنا بلغتنا ونحن ننساق وراء ألفاظ دخيلة أو لغة هجين، نحن نعرف الضجر والحزن، أكثر مما نعرف القلق والاكتماب، ناهيك عن "الديرشن" الذى صرنا نتشدد به بدلا من الهم والغم والكرب والزهم والمضايقة.... الخ!!

في أكثر من مناسبة وكتابة كنت أسخر من مفهوم "دع القلق وأبدأ الحياة" (ربما لهذا لم أرحب كثيرا بهذا التبسيط للحلمين معاً ليكون العنصر الأساسى فيهما هو القلق،

ولا أنا رحبت أنه يمكن أن يترجم في الأحلام هكذا إلى مطاردة مباشرة، مع أننى أقر أن المطاردة ونقلات الحركة بهذه السرعة هي من أهم ما يميز هذا الإبداع في معظم ما نشرت هنا، فما الداعى أن نسميه قلقا؟ فعلا هذه الأحلام تتميز بهذه الحركية وتلك النقلات والتكثيف والتداخل..، وأتصور أن الحوار حول تفاصيل ذلك بما أسميته "نقد النقد" هو أكثر ما نحتاج إليه في هذه المرحلة ثم إننى لاحظت أنك في قراءةك الآن لم تربطى أية رؤية لك مع ما جاء في القراءة المنشورة لنفس الحلم حتى يمكن أن نتجاوز صادقين، ولكن دعيني أقول رأيي - كمثال - في فقرة أخرى:

د . أميمة رفعت: أحلام نجيب محفوظ 23-24

"... حتى محاولة إيجاد مخرج (بفتح الشباك) لم ينتج عنها شيء، فما رآه الكاتب كان غير منطقي و لا علاقة له بالواقع المحيط به ( حارة سكنه بالقاهرة)

د . يحيى

أنا لم يصلنى أن فتحه للشباك كان لإيجاد مخرج

ولا على أن هناك اتفاق على ما هو منطقي في الحلم، حتى تصفى غيره بأنه " غير منطقي"

دعيني الآن أنهر نفسي وأنا أقول لها:

لا.. عندك يكفى هذا،

ذلك أننى أحست أكثر فأكثر أن ما أفعله بهذا الاقتطاف هكذا بعيدا عن السياق الكامل لقراءتك الجيدة، فيه ظلم شديد لك،

فدعيني أقر في النهاية أننى برغم كل شيء فرحت بإسهامك بقدر ما اختلفت معه.

تعالى الآن لو سمحت نسمع رأى الابن الصديق د. زكى سالم، وكيف أبدى رأيه في فكرة محددة وردت في نقد الخلم (23).

### د. زكى سالم: الخلم الأخير (23)، ومقال الدستور الأخير 12-2008-1

لى اعتراض صغير على عبارة "أميل إلى رفض أن يوظف الإبداع في شجب الفساد الجارى" بالتأكيد الإبداع أعظم وأكبر بكثير من مجرد شجب الفساد، ولكن الإبداع يشمل كما يشمل غيره من أمور الحياة.

#### **د. يحيى:**

... أوافقك طبعاً يا زكى أن من أهم وظائف الإبداع هو تعرية الواقع، خاصة إذا دام وكنتم وأسنت مياحه، إن ما أرفضه أن يوظف الإبداع لذلك أساساً أو ابتداءً، أنت تعرف كم رفضت مناقشة أعمال شيخنا محفوظ باختزالها إلى محتواها السياسى المحتمل، وكيف أدى هذا عند البعض إلى تفضيل الكرنك على الخرافيش، أو إهمال حضرة المحترم، أو حديث الصباح والمساء لحساب مرامار وأهل القمة، لقد رفضت دائماً أن يقيم إبداع محفوظ أيديولوجياً أو دينياً، رفضت هذا التصنيف الذى جعله مرة "منتمياً" يسارياً (غالى شكرى) ثم ظهر ما يقابل ذلك الناحية الأخرى ليعتبره روحانيا ربانيا (محمد حسن عبد الله) -

الإبداع يمتد دوره ضد الفساد الجارى بشكل أو بآخر، حين يكون التعبير عن شجب هذا الفساد غير متاح بالشكل المباشر، لكن يظل الإبداع قبل ذلك وبعد ذلك إبداعاً.

دعنى الآن أنتقل إلى رأيك عن حوار الأديان لأن عندى رد عليه.

#### **د. زكى سالم:**

مقال الدستور الأخير أتفق مع كل كلمة سيادتكم كتبتها، ما عدا هذه العبارة "حيث ظهرت أديان توفيقية أو تلفيقية مثل البهائية، والكنيسة الذهبية، و.. و." فما تقوله هذه العبارة هو عكس ما يقوله المقال كله، ولا أدرى كيف نصف عقائد الآخرين بالتلفيقية!

#### **د. يحيى:**

... ليس عندى فكرة إلى أى مدى انتشرت هذه العقائد الجديدة كأديان حتى نسميها عقائد الآخرين، ولكن ربما عندك من حيث المبدأ، وربما بالنسبة للبهائية خاصة، فأنا أعرف أن الجميل الرقيق الراحل بيكار كان يعتنقها، وأنا لا أشك في صدقه ورقته وإبداعه وإنسانيته فكيف - فعلاً - أحكم عليها وأنا لم أدرسها دراسة كافية.

أنت تعرف أننى أحاول أن أكون عند حسن ظنك وأن تكون سعة صدرى فعلاً بلا حدود، حتى أننى زعمت في يومية 16-1-2008 "نوعان من التواجد البشرى" أن رحمة الله سوف تشمل

"المؤمن رغم أنه"، حتى لو أعلن إحداه الذي فرضه عليه ظاهر وجوده، وأنا أتذكر أنك قلت لنا شيئاً مثل هذا الموقف عند ابن عربي

بإليتك تكتب لنا مقالا فيه

والآن دعنا نختم بصديقنا رامى ذلك الشاب الشجاع الطليق.

#### أ. رامى عادل: الهوية (الهئية) والشخصية 2008-1-10

... دعنى أبكى معك على دمعة حبستها... يا عم يجيى، كن صديقى بلا تردد، دعنا نلعب سويا|||. فالأيام منتهاهها ملهانا. رواحنا وغدوننا مسلاها. فهلم صديقى إلى الملعب. ولنشرب سويا كأس الحرية والفكك من اسر ما ضى وذكرى حررناها سويا. هيا يا عمى يجيى فلا وقت نضيعه

#### د. يحيى:

يدى على يدك يا عم رامى، لعلك تشير إلى يومية ("الأصل والصورة" يوم 9-1-2008)

حين تخاطبني يا رامى هكذا فجأة، وبلا ربط واضح باليومية التي تعلق عليها مثل قولك هنا: "دعنى أبكى معك على دمعة حبستها".... أو قولك: كن صديقى بلا تردد دعنا نلعب سويا"؟، حينئذ أشعر بائتناس رغما عنى وعنك، ما رأيك في موقفى الذى ناقشت فيه د. زكى الآن؟

#### أ. رامى عادل: 2008-1-13 حلمى محفوظ

يا عمى دى أحلام صرّف وخيال خصب مش سياسه بالمره. ارجوك تعقل وجرب تقرا لوحة محفوظ كفنان يا فنان.

#### د. يحيى:

وهل أنا أفعل غير ذلك؟ ألم تلاحظ أنى كتبت كل قراءتى لهذا الحلم الذى تشير إليه (حلم 24) من أولها حتى قبيل آخرها على أنها بعيدة عن السياسة، ولم أشر إلى التفسير السياسى وشجب الفساد إلا فى استطراد نهائى بعنوان "وبعد"، أقررت فيه أن التفسير السياسى الرمزى فرض نفسه علىّ فى النهاية كاحتمال عابر، و لكننى أصرت أنى مازلت متمسكا باستبعاده لصالح تفسيرى الأول رغم ذلك، ورغم ميل د. زكى سالم إلى الاحتمال الذى ترفضه أنت الآن، والذى لم أغال أنا فى رفضه.

#### أ. رامى عادل: لعبة الثقة والتخوين 2

أنا بثق فيك حتى لو انت كداب يا عم يحيى.

أنا بثق فيك حتى لو انا بكرمك ساعات يا عم يحيى.

انا ميثقش فيك عشان انت مجنون خطر يا عم يحيى.

أنا ميثقش فيك عشان انت معرفتش تربى ابنك محمد يا عم يحيى.

مش احنا بنلعب!!!

د . يحيى:

نعم، نحن نلعب يا رامى، وأنا أحب تجريبك وشجاعتك، وأستقبل حدسك مجدية واحترام، ونسميه لعبا من باب التقية، أنا احترم تلقائيتك فعلاً بما فى ذلك حكاية "مابثقشى فيك عشان أنت مجنون"، الأمر الذى ورد هكذا بالنص تقريبا فى أغلب المحاورات فى الجزء الثانى من ثلاثية "المشى على الصراط" المسمى "مدرسة العراة" وعلى فكرة سوف تظهر طبعته الثانية خلال أيام.

أنا أقبل معظم كلامك يا رامى حتى لو لم أفهه، لكن دعنى أرفض، وبشدة حكاية "معرفتشى ترى ابنك محمد" إلا إن كنت تقصد أنه ربى نفسه بنفسه حتى قبل الآوان، وهذا ما جاء فى القصيدة فى حوار الأسبوع الماضى، وأيضا فى حوارى مع د. أسامة اليوم.

أ . رامى عادل:

... مهما بلغت مسؤولية الشخص المبصر ودرجة وعيه بل وشكيمته، فإنه لا يستطيع الحفاظ على رؤيه معبودته معشوقته، إلا للمحات خاطفة....

... فما بالك اذا كان خصيمه الزمن بكل تقلباته وعناده وشخصه.

د . يحيى:

حلوه حكاية خصيمه الزمن بكل تقلباته وعناده وشخصه هذه!!!، الزمن حين يصبح هو الخصيم تتجلى الحياة كما ينبغى، تذكرنى يا رامى بجاهين وهو يستقبل النهار الجديد

من بين شقوق الشيش وشقشقت لك

مع شهقة العصافير وزقرقت لك

نهار جديد أنا.. قوم نشوف نعمل ايه

أنا قلت يا ح تقتلى.. يا ح اقتلك

أ . رامى عادل:

... برضه أنا لبست الخلم. اصله بينقذنى كل ما اقراه.

د . يحيى:

تعبيرك "لبست الخلم" يارامى أشعرنى أنه نوع من الإبداع شديد الدلالة، لايقبل أهمية عن قراءة د. أميمة التى خشيت عليها من "جرعة الطب النفسى" التى وردت فى قراءتها،

أما تعبيرك أن الخلم هو ينقذك كلما قرأته، فهو يمكن أن يرشدنا أكثر إلى وظيفة الإبداع وآثاره الباقية فى المتلقى الصادق

الآن هيا معا إلى صديق جديد من الجزائر، يثير موضوعاً حساساً فعلاً!!!

أ. عبد الإله العربي: 2008-1-13

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد أنا شاب من الجزائر مُعالج بالرقية الشرعية منذ 14 سنة

وفي معاملتي مع المرضى احتاج إلى هذا العلم لأن أصعب شئ في العلاج هو تشخيص حالة المريض

يا دكتور أريد ان تساعدني وترشدني لأتعلم ولو القليل من علم النفس.

د. يحيى:

يا أستاذ عبد الله، شكرا لصراحتك وثقتك أولاً، ثم إنك شاب تعالج بالرقى الشرعية منذ 14 سنة، يعنى منذ كان سنك كم؟، وعموماً أنا أشكرك يا سيدى، ولعلمك أنا لا أرفض حكاية العلاج بالرقية الشرعية من حيث المبدأ، وإن كنت أعتقد أن التعميم ليس مفيداً، وأعتقد أن الأطباء والعلماء في أشد الحاجة أن يتأنوا وهم يصفون كل ذلك بالخرافة، التعميم في الناحيتين هو جهل وتحيز، أنا أعتقد أن بعض النظريات الكيميائية الميكانيكية فيها من الخرافة ماسوف نضحك عليه بعد عقد أو عقدين من الزمان، كما أرى أن بعض الرقى الشرعية ليس لها أية علاقة بالشرعية، ولايكفى أن تكون الكلمات موجودة في نص كريم معترف به، لتصبح رقى، وشرعية! لأن النص لا تدب فيه الحياة ليسهم في استعادة التوازن إلا في سياق توظيفه الإيجابي لحركية الوعي التناسقى مع الكون، الأمر الذى لا يصلح له أو به إلا وعى نقى لإنسان كادح كدحا.

ثم إنى لا أوافقك يا سيدى أيضاً على أن أصعب شئ في العلاج هو تشخيص حالة المريض وبالذات بالنسبة لاستعمال نبض الرقى (وليس التوقف عند ألفاظها). **(أنظر بومة تشخيص الفصام دون تحديد ماهيته) بومة 2-12-2007.**

كذلك أنا أعتقد أن قراءة تك في علم النفس ليست هي المطلوبة لك الآن، بل أنى أرى أن أغلبها بوضعها الخالى قد لا تفيد حتى الأطباء والمرضى كما يتصور الناس.

أنا لا أوصى بالعزوف عن القراءة في علم النفس، خاصة فيما يتعلق بالاختراقات الأحدث التى تجاوزت كلا من علم النفس السلوكى Behavioural Psychology وعلم النفس التحليلى الكلاسيكى Classical Psychoanalysis) إن موجة التحديث في علم نفس تشمل على سبيل المثال: علم النفس عبر الشخصية Transpersonal Psychology وعلم النفس التطورى Evolutionary Psychology وعلم النفس المعرفى Cognitive psychology وما يقال له ما بعد أو ما واره، علم النفس Para Psychology والذى أفضل أن اسميه علم النفس المتجاوز Transcendental Psychology .. كل ذلك فيه دعوة إلى

أن نخرم مفهوم الطاقة، والهارموني، والتواصل بين مستويات وعى الناس وبعضهم البعض إلى الوعى الكونى، إلى ملاحظه له.

والآن دعنا نخرم بالكلمة التى أصدر بها موقعنا، فهى قد تفيدك كما تفيدنا أكثر من الفتوى والتشخيص وعلم النفس:

يقول هيبواط (أبو الأطباء)

الحياة قصيرة

والمعرفة ممتدة

والفرصة هاربة

والتجربة تحمل الصواب والخطأ

والحكم على الأمور من أصعب الأشياء

### The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

### Forum Subscription

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroups.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroups.fr)

### Mail To Forum Participate

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

### FORUM INVITATION

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

السبت 19-01-2008

## 141- من كل صوبٍ وحدهب، من كل دينٍ ودرباً

## تعتة

في محاولة أن نقلل من كم الكذب والإنكار والاستعباط والغفلة التي تحيط بهذه المحاولات السطحية حسنة السمعة، المسماة "قبول الآخر"، "حوار الأديان"، وإخفاء هويتك الدينية، والعلاقات السرية الخاصة جدا مع ربك أنت وعشيرتك الدينية، علينا أن نرتقى بنوعية وجودنا مع بعضنا البعض، وذلك بأن نتدرب على التعامل بآليات أصدق وأعمق وأكرم وأشجع ومنها:

(1) المواجهة و (2) المصارحة و (3) الاحترام و (4) التأجيل (تعليق الحكم)،

وإلا فكل ما ندعيه باطل ومؤقت ومفسد في نهاية النهاية لأية محاولة للبشر أن يتعايشوا معاً .

تبدأ **المواجهة** بأن يتحمل كل واحد مسئولية حمل أمانة الدين الذي ولد به، والذي ليس له فضل اختياره، حتى لو أعاد النظر، فسيظل منغرسا في خلاياه، والعمر أقصر من أن نغيرنا بالبيدانية مع رحلة البشرية حتى نتبين كيف وُلدنا هكذا هنا، الآن، ثم يسمح لنا بإعادة النظر!

ثم **المصارحة** التي تبدأ بأن أعلنك عن موقعي، وديني، وملتي، وحتى احتمال تعصبي الذي أعرفه والذي لا أعرفه، وأن تفعل مثلي، بنفس الشجاعة والوضوح، المصارحة العادلة بين دكتاتورية الأفراد تخلق حرية حقيقية وراقية ومسئولة، إن المصارحة حتى النخاع سوف تجعلك، وتجعل شريكك على الجانب الآخر، أكثر وعيا بظاهر وباطن كيف تتعاملان معاً ، فإن كنت تحمل شرف المسئولية لما تأتيه وما تدعه، لما تعتقده وتنفيه، فلا بد أنك ستسمح بمثل ذلك له .

الله سبحانه تعالى يعرف جهادك في تحمل مسئولية ما هو أنت، وما استلمته من دين، وما وضع في عقلك قسرا، وما أعملت عقلك وحسك وقلبك وتجربتك فيه، وما انتهيت إليه، وما راجعته. الله سبحانه وتعالى يعرف كل ذلك من داخل داخل خلاياك، كما يعرفه من داخل داخل خلايا المختلف معك، فإذا تصورت أنك قادر أن تحدد نفسك أو حتى أن تحدد من تحاور،

فاعلم أنه سبحانه الأقرب إليك من حبل الوريد، يعلم ما تعلن وما تحفى الصدور، وأنه هو الذى سيحاسبك بعد أن يعطيك فرصة أن ترى بنفسك ما فعلت بنفسك " إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " وأيضاً "بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره"

**أما الاحترام** فهو عندى عاطفة وموقف على قمة القمم، بل إنى أعتبره أرقى مراتب الحب، لا أعنى بالاحترام ذلك التبجيل والتوقير، وإنما أعنى ممارسة نوع من العدل الذى لا يتحقق إلا من خلال التقمص، إنك لن تحترم أحداً، إلا إذا استطعت أن تتقمص موقفه، وأن تسمح له بنفس الحقوق التى تسمح بها لنفسك بعد أن تشعر بمشاعره، وهذا الموقف تحديداً أولى أن تمارسه مع المخالف لدينك ما دتما تشتركان فى صفة البشرية، إن اعتقادك الداخلى جداً (والخارجى طبعاً) أن عقله لن يكون أهلاً للاحترام الحقيقى إلا إذا اعتنق دينك، هو إثبات أنك لا تحترم عقله أصلاً، لأنه لم يرق إلى جودة عقلك فاعتنق دينك (مع أنك شخصياً لم تعتنق دينك إلا بمولدك).

**وأخيراً التأجيل:** وأعنى به "تعليق الحكم"، وهو ظاهرة تعلمناها مما يسمى "**المنهج الفينومولوجى**"، الذى ينصحننا أن نضع الظاهرة بين قوسين حتى تتضح معالمها، وأن نتحمل الغموض ما دام الأمر يتطلب ذلك، تأجيل الحكم فى سياق هذه القضية، يشمل إرجاء الأمر كله فى نهاية النهاية لله رب العالمين، أنت تؤجل حكمك على الآخر المختلف معك فى الدين، بعد أن عرفت دينه معلناً صريحاً، وهذا يدل على يقينك من عدل الله ورحمته معاً، فتترك له الأمر، إن الأمر كله لله، فتؤجل مطمئناً إلى حكمه تعالى، وهل هناك أجمل وأصدق وأعدل من هذا؟

### وبعد

إذا كان الأمر كذلك، وهو عندى كذلك، أو أحاول أن يكون كذلك، فما معنى هذه الدعوة الخائبة أن تحفى دينياً عن بعض البعض، وأن نتصنع التسامح، ونحن لا هم لنا، من كثرة حيننا لبعض البعض!!! إلا أن نحاول أن ندخل، الآخرين فى ديننا الذى هو **أحسن دين، وأكمل دين**، نفعل ذلك سراً وعلانية، أفراداً وجماعات، حكومات و"منظمات غير حكومية"، وكلام كثير من هذا .

### الخلاصة

دعونا نحاول أن نبحث معاً، فى كيفية أن يتوجه سهم كدحنا، ونشاط أدياننا، وسعى كدحنا، كل من موقعه نحو محور مركزى مشترك، لا نعرف عنه التفاصيل لكنه هو الحق المائل، مع أنه ليس كمثله شئ، لكننا يمكننا وبصدق أن نعرف اتجاه السهم إليه عبر الناس،

فادخلى فى عبادى، إليه سبحانه وتعالى.  
من كل صوب وحذب،  
من كل دين ودرب.

## 142- الأسيرة والثقافة والطب النفسي والإدمان (1)

مع النقلة التي أعايشها حاليا في محاولة التفكير فالحديث بلغة النبط والحركة، بعد أن عشت ردحا من الزمن أتكلم بلغة التصنيف والتوصيف، اكتشفت أن هذه اللغة الأخيرة بها قدر ليس قليلا من الإغراء بالتسكين الجامع المانع، يحيل إلى أنني استطعت مؤخرا أن أقدم خطوة أعمق جعلتني أفهم الفطرة باعتبارها حركة لها قانونها، وليست مفهوما له أبعاده، موجز ما قلته مؤخرا في الفطرة هنا في النشرة كان كمايلي:

الفطرة " ... ليست "شيئا محمدا" أو "مفهوما ساكنا"....." هي "حركة في اتجاهها .." ".... هي "كل" مشتمل، بحيث تحوى أجزاءها، ولكنها لا تحمل حمل أي من أجزائها..." "...يظل الحلم هو الواقع الأكثر تمثيلا للفطرة باعتبار فرط نشاط حركيته التشكيلية، ورحابة مساحة حركته الحرة..." "...حين ينفصل جزء من الفطرة عن شمولية تواجدها- ينفصل بتواتر منظم أو عشوائي- وهو أمر لازم لتواصل حركية النمو، هذا الجزء إنما ينفصل ليتصل - مع حركية الفطرة في اتجاهها باعتبارها حركة وليست كيانا له ما يميزه بذاته- ليتبادل مع سائر الأجزاء، ثم يتضفر، ثم يتجادل، (دون ثبات أو تكرار حرفي)، فهو النمو الممتد، حتى لو لم أعرفه، وليست مفهوما ساكنا أو جاهزا.

كما ساعدتني هذه النقلة في طريقة تفكيري أن أتعامل مع حركية المتناقضات بطريقة أكثر تقبلا وتنوعا من مجرد لصقهم بجوار بعضهم، وقد ميزت هذه الحركات كما وصلتني في نشرة سابقة بومبة 13-1-2007 " الثقة والتخوين وحركية النمو (1) على الوجه التالي:

- الحركة "الذاهبة العائدة - الدخول الخروج"، (To-and-Fro & In-and-out Movement)
- الحركة "الاستقطابية التكاملية اخبطة" (Containment Polarization Integrative Movement)
- الحركة "الإيقاعية الحيوى" (Biorhythmic Movement)
- الحركة "الجدلية التكاملية" (Integrative Synthetic Movement)

حين عدت أراجع فروضى المتعاقبة لتعريف وتوصيف الصحة النفسية، اكتشفت أن بعد الحركة كان موجودا منذ البداية ، ولكن بشكل متباعد متواضع، وذلك في النقلات بين مستويات الصحة النفسية (المستوى الدفاعى، فالمستوى البصرى، فالمستوى الإبداعى) **حرة طبيب نفسى** وقد بدت لى في ذلك الحين أن النقلات ثلاثة أساسا، وأن المواصفات التى نقيس بها التوازن في كل مستوى تعتمد على نوعية وهيراركية ترتيب المحكات الشائعة لوصف الصحة النفسية وهى **العمل، والتكيف، والرضا**

(وقد فضلت أن ألحق شكلا وجدولا بالهامش يشير إلى هذا وذاك، حتى لا أقطع سياق ما أقدمه اليوم).

وفي مراجعتى المتكررة لهذا وذاك ، ومع نحو تصالحي مع بعد الحركة الإيقاعية والجدلية بوجه خاص، رحلت أكتشف ما في هذا الفرض الباكر من قصور ، لعل أهمها **مظنة تصنيف البشر إلى أعلى** (المستوى الإبداعى من التوازن) ، **وأدنى** (المستوى الدفاعى من التوازن)

ومع انتباهى منذ البداية لهذا المأخذ، وبرغم دفاعى عنه بأن الباب مفتوح لكل البشر للعبور من الأدنى إلى الأعلى، إلا أن الدفاع كان ناقصا بشكل ما .

أيضا اكتشفت ضمن المراجعة أن هذا الفرض الباكر اهتم بفكرة "التوازن" كعلامة مميزة ، وربما وحيدة، لتحديد ما هو صحة نفسية، صحيح أنه احترم عدم التوازن باعتبار أنه مرحلة ضرورية نحو التوازن (أزمة نمو)، ولكن ليس باعتباره توازنا في ذاته من نوع آخر،

في فكرى الأخير المرتبط أكثر فأكثر بحركية النمو والإبداع، اكتشفت أيضا أن عدم التوازن ليس قاصرا على النقلة بين هذه المستويات الثلاثة، وإنما هو وارد في كثير من النظريات الأخرى بأسماء مختلفة، مثلا في النقلات الثمان لإريك إريكسون (ثمان عصور للإنسان)، والتي كنت بدأت في الإشارة إليها، ووعدت بالعودة. **يومية 1-13-2007 " الثقة والتخوين وحركية النمو (1)**

وحين انتهيت إلى إمكانية تطبيق نفس فكرة التتابع الإيقاعى بين التوازن واللاتوازن في تكامل نام وفي مدى زمن أقصر، وصلت الرؤية إلى الجمع بين تمازج النمو مع حركية النوم والحلم واليقظة، ليصبح نوم حركة العين السريعة "ريم" REM أى النوم الحالم هو "عدم التوازن الخلاق" ، ولا يكون عدم التوازن خلافا إلا إذا انتهى نهاية مفتوحة، أى تجاوز لعبة الدائرة المغلقة، وإعادة النص (اسكريبت).

#### الفرض:

الفرض المطروح اليوم هو نقلة أخرى في فكرى، أطره كما يلى :

"الصحة النفسية هى سلامة وكفاءة حركية النمو المتنوعة، حول محور الإيقاع الحيوى الفاعل المضطرد، نحو غاية مفتوحة النهاية على أرض الواقع المحيط المختلف والممتد"

ولما كان إنسان اليوم يعيش في عصر نسميه عصر المعلومات فإن التأكيد على حركية النمو دون النظر فيما يجري بتسارع هائل في مجال فيض المعلومات جنباً إلى جنب مع تسارع التوصيل والتواصل، يصبح قاصراً.

### الإيقاع الحيوى والصحة النفسية

فكرة هذا الفرض الأساسية أنه يمكن اعتبار أن الصحة النفسية تتوقف على مدى هارمونية وسلامة هذا التزاوج في العلاقة بين الإيقاع الحيوى على مستوياته المختلفة وبين المتحقق في النمو على مسار تطور الفرد طول حياته، وفيما يلي خطوط الفرض العامة:

تتحقق الصحة النفسية إذا توفر ما يلي:

1- أن يستمر النمو طول العمر في تناوب نابض بين الاستيعاب والبسط، وكل مرحلة تحقق توازناً بمجتمعاتها الخاصة تماماً. معنى ذلك أنها ليست فقط مراحل عمرية يتلو بعضها بعضاً، وإنما هي مراحل متكررة مادام النبض الحيوى - الحياة - مستمراً.

2- أن تُحَقَّق كل خطوة (وأحياناً لحظة) من خطوات النمو توازناً من خلال كفاءة النبض الحيوى المنتظم المستمر.

3- أن تعمل وظائف المخ وفقاً لسلامة النبض الحيوى متناوبة مع بعضها البعض، ومع نبضات النمو ما بين الملاء (فعلنة المعلومات)، والإبداع (بمعناه العام للشخص العادى) **(يومية 2007-9-29 إبداع الشخص العادى)** وأبسط مثال لهذا النبض الحيوى هو كفاءة دورات النوم/اليقظة، ودورات الحلم/اللاعلم، في أداء وظائفها الإراحية والتنظيمية والتعليمية معاً من خلال هذه العملية العادية اليومية (السرادية)

4- أن يكتسب الفرد مع كل نبضة حيوية من نبضات المخ قدرات أعلى تمكنه من التعامل بكفاءة مع موضوعات الواقع الحقيقية من حوله.

5- إن هذا يعنى أنه بمزيد من اكتساب هذه الكفاءة التكيفية التي تزداد وعياً باستمرار، يمكن أن يستغنى الشخص أكثر فأكثر عن الإفراط في استعمال الخيل النفسية العامية لتتقدم نحو مزيد من الإبداع. وهكذا يتزوج الفرض الباكر مع هذا الفرض الأخير مع اختلاف وحدة الزمن.

6- أن يتعامل الفرد مع كل طور من أطوار النبض الحيوى بما يناسبه من قواعد ومواصفات. إن هذا يعنى أن يكون الفرد مستعداً لتلقى المعلومات برحابة تناسب طور الملاء في النبضة الحيوية، وأن يكون قادراً على إعادة التنظيم في مرحلة البسط من نفس النبضة، وهكذا.

7- إن ذلك يستتبعه امتداد التناغم مع دوائر أوسع فأوسع من دوائر الوجود، بدءاً بمجتمع الأصغر، أسرته

الصغيرة، امتدادا إلى المجتمع الكبير، ثم مع سائر البشر حتى التناغم مع دورات الكون في صورة التناغم الإيماني أو ما شابه. شرط ألا تتجاوز الدوائر الأبعد تلك الأقرب، وأن يتم ذلك على أرض الواقع.

### خلاصة القول:

إن الشخص السليم نفسيا هو الذى لديه القدرة على أن يعيد تنظيم ذاته، سلوكيا وبيولوجيا، وكذلك تنظيم المعلومات التى يتحصل عليها من خلال النبض الحيوى المنتظم. وهذا يتم من خلال كفاءة النبض الحيوى الجارى كل يوم دون انقطاع، وهو ما أشرنا إليه بشأن كفاءة دورات النوم /الخلم/ اليقظة، وكذلك من خلال نشاطات الإبداع الإدراكي، والإبداع السلوكي المنتج، ثم إبداع الذات المستمر باستمرار التناوب الناجح مع النبض الحيوى.

### الصحة النفسية وعصر المعلومات :

#### كيف يمكن تحقيق بعض ذلك في عصر المعلومات؟

ماذا ينبغى أن يقال عن الصحة النفسية في ظروف العصر الجديدة؟

لقد شعبنا حديثا عن مسائل التوتر، والقلق، وقلتھما، وعن أثر السرعة، والضغط، وكلام كثير من هذا معاد ونمطي، وصحيح بعضه، لكنه أبدا لا يصل إلى مستوى المواجهة التى ينبغى أن نتحمل مسئوليتها أمام ضمائرنا باعتبارنا بشرا نعيش معا سنة 2008، ومطلوب منا الآن أكثر من أى وقت مضى أن نساهم في صناعة التاريخ بوعى قادر وإلا ....

والسؤال الصدمة الذى يتردد عموما، وفي هذه اليومية بشكل خاص يقول:

#### هل الإنسان معرض للانقراض؟

والاجابة المسئولة هي:

**نعم !!**

هذه هي الصيحة الحقيقية التى يمكن أن تكون موضوع الحديث عن الصحة النفسية، وهي الصيحة المختصرة والخطيرة في آن، وهي التى يمكن أن تساهم في المسيرة فعلا.

أقول إن الإنسان المعاصر وقد غمره فيضان المعلومات قد أصبح في حاجة إلى إعادة صياغة وجوده من الأساس.

لم تعد المسألة مسألة توازن داخلي، وتكيف خارجي.

لم تعد المسألة إنجاز عمل أو تحقيق منفعة.

لم تعد المسألة شكوى من ألم نفسى أو قلة في راحة البال تصل إلى حد الرخاوة المسماة الرفاهية.

الإشكالية الحديثة التي تواجه إنسان العصر لتحقيق ما يسمى الصحة النفسية هي إشكالية جوهرية تبدأ بمواجهته للتعرف على معنى لوجود الفرد البشرى في الظروف الجديدة، وكذلك على هدف لاستمراره، وسبل بقائه، وكل هذا أصبح يحتاج إلى شكل آخر من الوعي، وشكل آخر من العلاقات، وشكل آخر من الانتاج، الصحة النفسية بمقياس الذى يجرى الآن إنما تتحقق:

ليس بدرجة التوازن الآمن، وإنما بدرجة التناسق الحركى المناسب،

وهى لا تتحقق بالخلو من الأعراض، وإنما بالقدرة على استيعاب معنى الأعراض لإعادة تشكيلها في قوة دفع جديدة.

وهى لا تتحقق بالسكون الآمن، وإنما بالحركة المتعددة التوجه والمتعددة الأنواع يومية 2007-1-13 "الثقة والتخوين وحركة النمو (1)

\* \* \*

معالم الصحة النفسية المعاصرة : رؤوس مواضيع:

فيما يلى رؤوس مواضيع تمثل المواقف، والقيم، والحكّات التي يمكن أن نعيد من خلالها النظر في الصحة النفسية لإنسان عصر المعلومات، وهى تقدم بإيجاز شديد، يجعلها بمثابة رؤوس مواضيع تحتاج لعودة وعودة.

أولا:

يكون الانسان المعاصر صحيحا نفسيا بقدر ما يستطيع أن يوفق بين تلقى المعلومات على وفرتها الآن وبين تأجيل القفز إلى تسطيح العلاقات بينها، لم يعد مناسبا أن نفكر بالطريقة الخطية السببية: السبب (واحد) يؤدي إلى النتيجة (واحد) - هذا لا يحقق الصحة النفسية لأى تركيب إنسانى بدائى أو ناضج، وإنما تتحقق الصحة الآن:

بالقدرة على تلقى عشرات المتغيرات المرتبطة بعشرات النتائج

ثم يتحمل الإنسان العادى - بقدراته الجديدة - استيعاب حركية هذه العلاقات معا،

كل ذلك مع استمرار الفعل المنتج اليومى البسيط!

ثانيا:

يكون الانسان المعاصر صحيحا نفسيا بقدر ما يتعلم أن يجب نفسه بالمعنى الجديد للحب، الذى يشمل: ولو جزئيا المسئولية عن تحريك ذلك إليهم، أى أن يصب هذا الحب لنفسه في خير الناس دون إدعاء فروسية العطاء أو زعم التضحية،

إنه الذكاء الجديد الذى يجعل المصلحة البادئة بالذات هى هى المصلحة التي تعود على المجموع.



**ليقوده إلى التناثر أو التدهور، حين يحدث ذلك نكتمل به - مجنوننا - في نفس اللحظة التي ننتصر فيها عليه، وهكذا فإن الإنسان المعاصر الصحيح إنما يكون صحيحا ليس بفرط التعقل وإحكام ضبط الداخل، وإنما بحجم التكامل والسماح والتناوب المرن والامتداد المتعدد الحلقات.**

#### ثامنا:

يكون الإنسان المعاصر صحيحا نفسيا بقدر ما يصاحب الموت الواقع حالا في داخله، فالموت - بالمفهوم الأحدث - ليس سلبا، وليس نهاية مغلقة، وإنما هو حقيقة موضوعية آنية، وحتمية، وحين تتضح هذه الحقيقة في وعي الإنسان المعاصر بنفس درجة وضوح الحياة، ووضوح الإنجاز المادي الخدد، ووضوح القوة السلطة، حين يحدث ذلك، تحضر ظاهرة الموت في حجمها الموضوعي في بؤرة الوعي مما يعطى لكل هذه القيم معنى آخر أقوى وأبقى، مما يجعل قوة الحياة قادرة على الانتصار المتكامل ما استمرت الحركة المبدعة.

فالإنسان - المعاصر - ومع تحقيق وجوده بقدرته على الإحاطة بالمعلومات الموضوعية المعاصرة لا يكتمل إلا إذا أدرك وعاش كلا من الموت الشخصي. والانقراض المحتمل لأفراد النوع، بحجمه الموضوعي في مكانه المناسب من الوعي الآني.

#### تاسعا:

يكون الانسان المعاصر صحيحا نفسيا بقدر ما يتمكن من الحفاظ على نشاطه الذهني ليتحمل مسئولية موسوعية المعرفة التي لم تعد في حاجة أن نزحم بها أدمغتنا بعد أن وجدت لها مكانا في الأشرطة والاسطوانات المضغوطة والممغنطة بما يتيح فرصة حقيقية للعقل البشري أن يتفرغ لإعادة ترتيب المعلومات دفعا إلى التوازن الخلاق.

#### عاشرا:

يكون الإنسان المعاصر صحيحا نفسيا بقدر ما يرفع ما وصله من معارف كقاعدة إنطلاق إلى ما لا يعرف (الذين يؤمنون بالغيب).

#### حادى عشر:

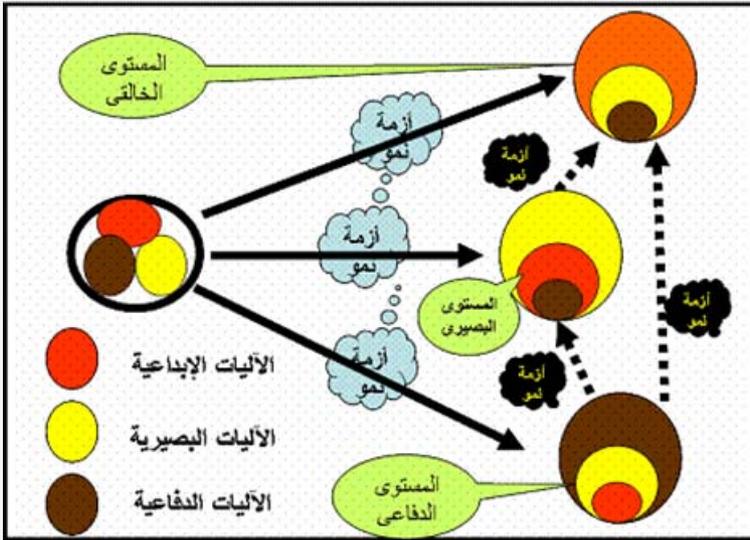
يكون الإنسان المعاصر صحيحا نفسيا بقدر ما يتمتع به من حرية واعية، وذلك بعد أن أتاحت وسائل الاتصال فرصا أكبر حرية أصدق، وكل هذا أصبح تحديا حقيقيا إذ أنه يتيح الفرصة للإنسان العادي أن ينتقل عبر عشرات الآلاف من الأميال باللعب في زر عن بعد، فالحرية هنا أصبحت فرصة رائعة للتوازن، وهي أيضا امتحان خطير للاختيار، بقدر ما هي تحد مرعب لما يصاحبها من مسئولية، تتأكد هذه الحرية أكثر فأكثر، بعد أن أتاحت ثورة التواصل، فرص التخلص -ولو جزئيا- من مركزية الإعلام السلطوى وتسلطه.

وبعد

الطريق طويل فعلاً، لكننا نسير، وهل نملك غير ذلك

ملاحظة عن الصحة النفسية وتبادل حالات الوجود البشري

في أطروحتي عن **"جدلية الجنون والإبداع"** نهبته إلى أنه آن الأوان أن نكف عن تقسيم الناس إلى مبدع وغير مبدع، أو إلى عادي وجمنون، وأبنت كيف أن كل واحد دون استثناء يمكن أن يترجح بين هذه الحالات الثلاثة بشكل أو بآخر في ظروف مختلفة، وأن هذا التبادل المحتمل، وإن كان نظرياً في الظروف العادية، إلى أن قبوله يمكن أن يغير من مفهومنا عن الجنون باعتباره شذوذاً مطلقاً، وعن الإبداع باعتباره نبوغاً مطلقاً، وعن العادية باعتبارها تسليماً أو تسكيناً مطلقاً، مما يعطي حركية النمو مساحة أرحب، وهذا كله يتعلق بمفهوم الصحة النفسية من منظور السماح، والمرونة، والحركية مما سوف نرجع إليه في تقديم مستقل.



المستوى الخالقي	المستوى البصيري (الدراية)	المستوى الدفاعي
العمل: ويتميزها- بالعمل الإبداعي في و أقع الحياة، مما يشمل فعل تغيير الذات المتجدد	الرضا: ويتميزها- بالفهم، وتحويل الأم وتفرغ القلق، والحصول على اللذة العقلية و الحسية	التكيف: ويعنيها التشكل مع المجتمع ومجارا ة القيم السايدة كما هي



الإثنيين 21-01-2008

## 143- الأسرة والثقافة والطب النفسى والإدمان (2)

في برنامج مشهور سألني مقدم مشهور ماذا نفعل مع أولادنا لنمنع مثل ذلك ("أى ذلك" مما يعرض من مشاكل ومصائب الشباب) قلت له بسرعة: "نسمع، ونسمع، ونختار معهم"، قيل نسمع ونسمع بصدر رحب، وتوقف عند نختار معهم، (وتناقشنا في ذلك نقاشا ثريا قد نرجع إليه).

وفي برنامج للوقاية من الإدمان كُلفت بإعداد دليل للأسرة (من بين دلائل أخرى) لوقاية الأولاد والبنات من سن 6 - 18 من الإدمان، وقد واجهت صعوبات حقيقية وأنا أحاول ضبط الجرعة بين تقديم معلومات وخبرات قد تعين في الوقاية كما أتصورها، وبين خطاب النصائح كما تشيع بيننا بصوت عالٍ وبلا جدوى حقيقية، محاولا في هذا وذاك أن أنتبه إلى خصوصية ثقافتنا ومعالمها.

قبل ان ابدأ في مهمتي هذه تذكرت ما آلت إليه حال الأسرة في المجتمعات المتقدمة، ليس فقط من واقع الإحصاءات الهامة، ولكن من خلال الانطباعات والخبرة الشخصية.

في نهاية الخمسينات وبداية الستينات، بعد أن هزت الحرب العالمية الثانية كل القيم بما في ذلك قيمة ما هو "أسرة"، ظهرت موجة قوية، ثورية أو عدمية أو كلاهما، (فقد اختلط كل شئ بكل شئ)، تشكل في قيمة وضرورة مراجعة المؤسسة الزوجية من حيث المبدأ، وصاحبت هذه الموجة موجة موازية ومدعمة، وهي المسماة بالحركة "ضد الطب النفسى"، وكان من أشهر من تزعم الحركة لانج "في إنجلترا"، وزاس في أمريكا، وباراجلبا في ايطاليا ثم دافيد كوبر في إنجلترا أيضا، قرأت في أوائل الستينيات كتاب كوبر "موت العائلة"، وفهمت وتعجبت وانزعجت، وقدرت، ومنذ ذلك الحين وأنا أتابع مسار هذه المؤسسة وبدائلها، وبالذات عندهم، عن بعد.

في رحلتي لمدة عام في فرنسا سكنت في حجرة مدموازيل (س.ص) هكذا عرفتنى الأم التي كانت تعيش وحيدة على اسم الحجر، وذات مرة أثناء غياب الأم دق التليفون، وكانت تسمح لى هذه السيدة الفاضلة بالرد عليه، وإذا بالمتحدثة هي الأنسة (س.ص)، وبفرحة وبله الفلاح المصرى سألتها هلئى هى ابنه



اكتشفت بادئ ذي بدء أنه لا يوجد تعريف محدد لما هي الأسرة، سواء بالنسبة لعدم التجانس السالف الذكر، أم بالنسبة لما طرأ على مجتمعنا من تغيرات لاهثة، وسواء كان نتيجة للتقليد العشوائي لقيم مستوردة لا نأخذ منها إلا السلبيات، أو كان رد فعل في عكس الاتجاه بالتراجع إلى ما نختاره من سلبيات القيم السلفية دون إيجابياتها عادة، وذلك من باب **التوقى بالضد احتياطيا**.

**قلت أبدأ بالنفى:** أبدأ بما لا ينبغي للأسرة أن تكونه،

جاء في بداية المتن في هذا الدليل مايلي:

#### الأسرة ليست تجمعا في المكان

وليست ورقة عند المأذون،

وليست مفرخة للأولاد،

وليست مشروعا استثماريا

وليست مفخرة للتنافس.

وليست مؤسسة سلطوية

شرح على المتن: المراجعة لا التراجع

وأنا أعاود النظر الآن وجدتنى أريد أن أضيف لفظ (فقط) وسط أى من هذه الجمل المنتهية، أى أنها (الأسرة) (فقط) ليست تجمعا في المكان،

وليست (فقط) ورقة عند المأذون... إلخ.

وليست (فقط) مفرخة للأولاد،

وليست (فقط) مشروعا استثماريا.

وليست (فقط) مفخرة للتنافس.

وليست (فقط) مؤسسة سلطوية.

ذلك أن الأسرة في بلادنا يمكن أن تكون كل ذلك شريطة أن يكون طيبا وإيجابيا في حدود، فوجدت أن علينا أن نبدأ بفحص كل ما قمنا بنفيه حالا، لنقبل بعضه من حيث المبدأ، ثم نشترط فيه ما يجعله إيجابيا ما أمكن ذلك.

#### أولا: الأسرة ليست (فقط) تجمعا في المكان

المكان هو من أول مدخل البيت، وبئر السلم، والسلام، والحوائط، ودورة المياه، وحجرة المعيشة، وحجرات النوم، قلت أم كثر، وحجرة أو ركن أو صالة المذاكرة... إلخ.

كيف تكون الأسرة "أسرة" ولا يجمعها مكان وجدران؟

بل قد يكون المكان مكانا بدون جدران: الأسرة التي تعيش في خلاء وخرابة مهملة تأويها آخر النهار وأثناء الليل حجرة من الصفيح، هي أيضا تجمّع في المكان،

في المقابل: ثمّ مكان يتسع على أصحابه حتى لا يعود مكانا: الأسر التي تعيش في قصور المدن الخاصة جدا، حيث يحتل كل دور







وذلك على مستويات مختلفة إذا استمرت حركية إعادة التعاقد موضوعية وعادلة.

### ثالثا: الأسرة ليست (فقط) مفرخة للأولاد

الأولاد هم مكملون للأسرة بداهة، لكن الأسرة تقوم حتى بدونهم،

في ثقافتنا العربية يصعب قول ذلك، مع أنه احتمال موجود ومقبول وناجح في بعض الأحيان.

لا ينبغي أن تكون هذه الضرورة البديهية (الأولاد) هي الرباط الأول (والأخير أحيانا) الذي يحافظ على تماسك أو استمرارية الأسرة،

في أحيان كثيرة، خاصة إذا تهددت الأسرة بالتفكك (الطلاق) يقول أحد الأطراف (الزوجة عادة) أنها سوف تراجع أو تنازل من أجل الأولاد، هذا أمر يبدو طبيعيا فعلا، لكن فائدته لا بد أن تكون في حدود محسوبة، لأن إعادة رأب الصدع من خلال إعادة تعاقد الطرفين مع وجود الأولاد كعامل مساعد، هو أمر يختلف تماما عن الاضطرار إلى الإستمرار بنفس المواصفات والشروط التي أدت إلى الشرخ الذي أوصل الأسرة إلى مأزق الانفصال.

بعض البنات شعوريا أولا شعوريا يقبلن على حُلم الزواج لتحقيق أمومتهم قبل أو بدون النظر إلى مشاركة آخر أو إرساء قواعد هذه الوحدة البشرية الصعبة التي اسمها الزواج.

هذا ليس مرفوضا (خاصة إذا كان هدفا لاشعوريا) لأن مؤسسة الزواج، يمكن أن تنمو بذاتها لذاتها بغض النظر عن الهدف الشعوري أو اللاشعوري الذي بدأت بسببه أو من أجله.

أن يدعم وجود الأولاد استمرار وحيوية الأسرة شيء، وان تستمر الأسرة من اجلهم أساسا او تماما شيء آخر.

دعونا نعرف ان هذه الحجة - في بعض الأحيان - تكون نوعا من التبرير للتراجع، أو سبيلا إلى إعادة النظر، وهذا جيد ومقبول، حتى لو تم على مستوى لا شعوري،

وعلينا أيضا أن نعرف بقدر مناسب من الألم ان استمرار الأسرة على أساس واه، أو بمضاعفات حقيقية لطرف واحد، أو للآثنين قد تكون أوخم عاقبة عن إنهاء التعاقد لصالح الأولاد بعد التنظيمات المناسبة، ويا حبذا باستشارة علمية ودينية واجتماعية موضوعية مناسبة.

### رابعا: الأسرة ليست (فقط) مشروعا استثماريا (ووضنا): ليست مفخرة للتنافس)

تري هل إضافة (فقط) هنا معناه أننا - مثل الحال في اللبسات السابقة - قیلنا أن تكون الاسرة مشروعا استثماريا، ولو نسبيا، ولو بشروط معينة؟

الاعتراف بالواقع هو بداية تعلن احترام الجارى،

وأيضاً هو الذى يتيح الفرصة لتغييره إذا كان لابد من ذلك (وعادة هو لابد من ذلك وإلا فأين وكيف النمو)،

كثير من الأسر تبدأ كمشروع استثمارى، سواء كان ذلك برضا كامل من الأطراف المعنية، أو بضغط مباشر أو غير مباشر من المؤسسة الأكبر التى تحتوى الطرفين، أو باتفاق مباشر بين الطرفين، يحدث هذا إذا اتفقت المصالح (بعيدا عن إنشاء وحدة أسرية)، ومن ذلك: الحرص على عدم تفكك الميراث، أو الأمل فى زيادة التعاون الاستثمارى، (زيادة رأس المال)، أو تسهيلا للسفر أو الهجرة المؤقتة أو الدائمة، كل هذه صفقات استثمارية بشكل أو بآخر، وهى ليست مرفوضة تماما، شريطة أن تكون مجرد بداية لكيان ما يمكن أن يتزعزع بداخله أو من خلاله ما يتزعزع.

وبقدم الأولد يزيد عدد الشركاء فى هذه المؤسسة - دون إذن منهم - ويبدأ الخطر والضرر حين يُستعمل هؤلاء المساهمون الجدد، دون أن يدروا، فى استمرار أو زيادة استثمار هذه المؤسسة، فينقلب دورهم، إلى أداة تستعمل - أيضا شعوريا أو لا شعوريا - لتنمية هذه المؤسسة وتراجع حقوقهم بشرا من حقهم أن "يوجدوا" أولاً وأن يعترف بهم، "ليكونوا" قبل (أو بدون) استعمالهم.

فى كثير من الأحيان - كثير جدا من الأحيان - كما بلغنى من الممارسة الإكلينيكية خاصة، يبدأ تكوين المؤسسة الاستثمارية مع قدوم الأولد وليس من البداية يحدث هذا فى الأسر الرجوازية الصغيرة خاصة، حين يمثل الابن أو البنت مشروعا قادراً على تعويض الأب عادة (وإلى درجة أقل الأم) ما فاته، أو قادراً على تصحيح حظ الوالد القليل، الذى كان يأمل فى تحقيق طموح أعلى لم يستطع أن يحققه. فى هذه الحال، ومنذ البداية، يبالغ الوالد فى التركيز على قيمة التفوق، والتفوق جدا، والتفوق طول الوقت، منذ بداية البداية، وليصبح الاعتراف بالابن - أو البنت (أو حتى رؤيته) فالسماح له بالوجود) مرتبطا تماما بهذا التفوق دون غيره.

وهكذا تنقلب مسيرة الحياة كلها إلى سلسلة من المسارات التنافسية المتلاحقة،

ومن علامات هذه الوظيفة الاغترابية الاستثمارية ما يجرى من مقارنات بين الأسر الرجوازية خاصة، والطبقة المتوسطة عامة، ما يجرى من مقارنات بين الولد وابن عمته المتفوق عنه، وأيضاً بنت جارهم، ولأمانع من المعايير بتفوق ابن البواب دونه ... الخ.

يصل إلى الابن أو البنت هذا الاستعمال بوضوح، وأنه ليس سوى كتابا يريدونه مصقولا جدا، ليس إلا اداة أو حلية يقومون بتلميعها طول الوقت، وبالتالي فعليه أن يقوم بتحقيق ذلك لهم، فهو يذاكر لصالحهم، قبل صالحه، أو ضد صالحه الأعمق.

يظهر الاحتجاج على هذا الموقف في كثير من الأحيان في صورة مظاهر التوقف الدراسي "لطالب كان متفوقاً، طول عمره، فماذا جرى؟"

الذي جرى ويجرى هو أنه حين اكتشف هذا الطالب أن الكتاب قد حل محل وجوده كلية، قرر أن يمزق الكتاب، لكنه حين فعل وتوقف عن الإبحار، فإن الخطر كل الخطر هو أن يكون الأمر كذلك "يكن" ابداً إلا مشروعاً استثمارياً.

حتى لو قبلنا هذه البداية الاستثمارية، حتى لو أفاد استثمار الأولاد تحقيق بعض طموحات الأولاد وذويهم العادية في دفعهم إلى الإنجاز، فإن الخطر كل الخطر هو أن يكون الأمر كذلك فقط، أو كذلك تماماً،

لا يوجد تناقض بين النجاح والتفوق على ناحية وبين احترام الوجود وضرورة الاعتراف به في نفس الوقت، لكن علينا أن ننتبه إلى أن الأسرة تكون أسرة أولاً، ذلك المجتمع الصغير الذي يحمل مقومات تماسكه في ذاته، وأن الأولاد هم دعائم لهذا التماسك، وليسوا أدوات مشروع يختاره الأهل، وعلى الأسرة قبل وبعد ذلك انتهاز الفرصة ليقوم كل بدوره متكامل ما أمكن ذلك.

علينا أن نعترف أن نجاح هذه المشاريع الاستثمارية سواء بدأت من البداية بقدوم الأولاد، أو نشأت كمشاريع تعويضية أو تكميلية بعد قدوم الأولاد قد تنجح في تحقيق أهداف عادية طيبة، وأن هذا لا يتعارض من استمرار الأسرة نابضة حيوية وهي تحقق أهدافها بطريقة عادية، ليكن، ولكن على أصحاب المشروع طول الوقت أن ينتبهوا إلى مقاييس الحياة الأسرية خاصة، والحياة بشكل عام في نفس الوقت الذي ينتمون فيه مشاريعهم .

#### 5) الأسرة ليست (فقط) مؤسسة سلطوية:

بمجرد نشأة الأسرة، وأحياناً قبيل نشأتها، يسارع أحد طرفيها "الرجل عادة" في ممارسة سلطته بشكل يحتاج إلى وقفة مثل كل ما سبق.

لا بد لأية وحدة اجتماعية أو مؤسسة من قائد أو رئيس، طول الوقت، أو بعض الوقت، باستمرار أو بالتناوب، ولكن أن تكون الأسرة هي المرتع والجمال الذي يتيح له فرض نفسه طول الوقت، وليس لقيادة السفينة، فإن سطوته كلها تصبح مسخرة لإثبات ذاته أكثر من تحمل مسؤوليته، وهذا هو الذي يقلب الأسرة إلى ما ليس هي.

**السلطة مطلوبة وهي - أو عليها أن- تتناسب مع المسؤولية،**

**وأن تُمارَس لحساب الرعية وليس على حسابهم،**

**وأن تتغير وتتطور مع المتغيرات الجارية وغير الجارية.**

تتعدد الأسباب التي تجعل الأسرة مؤسسة سلطوية ومن ذلك أنه

- (1) قد تبدأ الحكاية من منطلق ذكوري (رجولي) تاريخي
- (2) وقد يكون التسلط طبعاً جاهزاً للإطلاق بمجرد تكوين الأسرة، طبعاً يغلب عند الأب ويجوز عند الأم.
- (3) وقد يمارس السلطوى أو المتسلط سلطانه ذلك تعويضاً عن ما يعيشه ويلقاه في العمل أو حتى على مستوى الوطن... الخ.

هذا الدور السلطوى ليس قاصراً على الرجل، فكثيراً ما تمارسه الأم كذلك، تمارسه على كل أفراد الأسرة بما في ذلك الأب، على أن ذلك عادة ما يكون مصحوباً بدرجة ما من التملك وليس فقط التسلط.

توجد ميزة ضعيفة لهذا التركيب الأسرى كما قلنا في البداية، وهو وجود قائد، له معالم والدية مسؤولة، وهو أمر مهم خاصة في مجتمعاتنا وثقافتنا، لكن المصيبة حين لا تكتمل هذه الوالدية - كما ذكرنا أيضاً - بما يناسبها من رعاية ومسئولية بدرجة كافية.

ثم إن وضوح السلطة هكذا قد يكون مدعاة ومبرراً ودافعاً للثورة عليها، وهذا أفضل من الوالدية المائعة، أو مدعية الحرية، التي تمارس السلطة سراً بطريقة معيقة لحركية النمو لسائر أفراد الأسرة، وبالتالي تقل معها فرص المواجهة والثورة.

#### وبعد

إذا كانت هذه هي المواصفات التي تشير إلى ما ليست هي الأسرة، مع أننا تراجعنا عن النفي المطلق، فما هي إذن الأسرة القادرة على أن تحتوى أفرادها لصالحها وصالحهم ومن ثم لصالح الناس؟

وما علاقة هذا وذاك بالمرض النفسى والإدمان؟

لهذا حديث آخر!

**The Man & Evolution FORUM Web Site**

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

**Forum Subscription**

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

**Mail To Forum Participate**

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

**FORUM INVITATION**

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

## 144- الأسرة والثقافة والطب النفسى والإدمان (3)

## طقوس "السُّبُوغ"، وجدلية الانفصال/الاتصال

الأسرة الإنسانية هي المجتمع الصغير الذى يحتضن الناشئ فترة احتياجه لرحم اجتماعى ينمو فيه سنين طويلة، ووظيفة هذا المجتمع ليس مجرد إضافة حسابية لوظيفة أفرادها، مثل أى وسط، الأسرة هي كيان ضام له شخصيته الكلية التى تتجاوز مجرد مجموع أجزائه.

هل يمكن للفرد البشرى أن ينشأ بدون أسرة؟

إذا كان يمكن للجنين أن ينمو تسعة أشهر ويولد بدون رحم لأم تحتويه فيصله من خلالها مشروع مقومات الوجود ثم يولد ليكون، إذا كان هذا ممكناً فإنه يمكن للكائن البشرى أن يوجد وينمو بدون أسرة.

هل كان لغرينوى - بطل رواية العطر لزوسكند - أسرة أصلاً؟ أو فى أى وقت؟ وحتى النهاية؟ هل كان له رحم أصلاً تحمله أم لها أحشاء وعضو اسمه الرحم؟ أم أن الأم نُجحت فى محو ما قامت به الفسيولوجيا والطبيعة رغماً عنها، هذه الأم القاتلة أبناءها، لم تُنخ لها فرصة قتل هذا الأبن الأخير قبل إعدامها، هي سمحت أن يتقيأه رحمها وسط بقايا السمك والعفن والقذارة.

لأن جرينوى لم يكن له أسرة هو لم "يكن" أصلاً، ثم هو لم يكن أبداً،

كل المهارات والنبوغ والعبقرية والتأله والقتل، لم تحقق له وجوداً بشرياً أبداً،

قتل العذارى ليخلق من أرواحهن عطراً يؤلّفه فيغنيه عن أن يكون له أسرة ليكون بشراً، فلم يحقق إلا العدم الساحر الذاهل.

فى النهاية استعادوه أكلة خوم البشر إلى رحم الناس حين التهموه حياً فى مقبرة الأبرياء، "ولأول مرة يشعرون أنهم فعلوا شيئاً عن حب!!"

مازلت أتساءل عن مغزى هذه العبارة التي انتهت بها الرواية، وعندى لها عدة تفسيرات غير ما حضرني الآن، حضرني أنهم ربما بفعلهم هذا، قد أرجعوه قسرا إلى رحم البشر من جديد، لعله يجد البداية داخل الناس، بشرا يولد بسماح، ويُستقبل برؤية، في أسرة (رحم اجتماعي) يتخلق فيها ومعها وبها، ليكون أحد أفرادها وليس إله زائفا معبودا في فراغ الضياع والعدم.

#### الخلاصة :

أن من ليس له أسرة، من ليس له رحم اجتماعي من البشر، فهو لا يكون أبداً

#### الافتراضات الأساسية

الافتراضات الأساسية لتكون الأسرة أسرة (صحية) بالمعنى المتقدم أى "رحماً اجتماعياً"، يمكن عرض بعضها فيما يلي:

- والدية مسئوله .
- مجال معرفي
- تواصل نمائي
- حماية مرفأية (من مرفأ)
- ولادة سليمة (سماح بالاستقلال)
- علاقة ممتدة

#### أولاً: معالم الوالدية (الجزء الأول):

يطلق لفظ الوالدية على الوالدة والوالد، وهذا أفضل من أن يطلق على الوالد والوالدة، فالأم ذات الرحم البيولوجي النفسى معاً، هي الأقدر على تحمل مسئولية النقلة إلى الرحم الاجتماعى (الأسرة)، وقد ركزت مدرسة العلاقة بالوضوع، وهى المدرسة التحليلية الإنجليزية (ميلان كلاين - جانرب - فيبيرن) على دور الأم فى القيام بهذه النقلة الصعبة والأساسية، وبرغم سلامة هذا التوجه من حيث المبدأ، إلا أن هذه المدرسة بالغت فى تحديد دور الأم حتى كادت تلغى دور الأب فى السنين الأولى، وهذا يعتبر عندى من أول التشوهات التى يمكن أن تلحق بالرحم الاجتماعى (الأسرة)، كما بالغت هذه المدرسة أيضاً فى نفى أو التهوين من دور البعد البيولوجى (التطورى فىلوجينياً، ووراثياً) بما ذلك اعتبارها أن الفكر الفريدى هو بيولوجى أساساً.

الانتقال من رحم الأم إلى رحم الأسرة عملية ليست بهذه البساطة، فالطفل داخل رحم الأم يمثل لها دعماً، وتفوقاً، وتألاً بشرياً طيباً،

ولنا أن نتوقع -أو نتصور- أنه بانفصال هذا الدعم الداخلى (السرى) عنها يحدث ما يلي:

(أ) إنها تقاوم الانفصال، في نفس الوقت الذي تفرح به وتنجزه ،

ولعل آلام الوضع هي إعلان عن هذه المقاومة، في حين أن نجاح الوضع هو إعلان السماح بهذا الانفصال.

(ب) إنها لا تصدق هذا الانفصال بسهولة، وتكاد لا توافق عليه، حتى بعد أن يتم، لكنها تدعمه، فهي تحتاج إلى شحذ وعى الإدراك، وإطلاق مزيد من قدرات السماح في محيط من الأمان، حتى تصدق -جدا- أن هذا الانفصال هو حدث رائع أمين لصالحها، وصالح من انفصل عنها.

### دلالات طقوس (الولادة) وبعييدها

#### أولاً: أثناء الولادة وبعييدها

قمت بقراءة طقوس "السبوع" والولادة في مصر من هذا المنطلق على الوجه التالي:

1- قبيل الولادة وأثناءها تحضر أم داعمة للأم الوالدة (سواء كانت الأم الحقيقية أو أي أم بديلة)، مما يتيح لها أثناء طلق الولادة أن "تتطف" على صدر أمها، وهي مسندة ظهرها إليها في ثقة كافية، وقد قرأت ذلك باعتباره بمثابة الدعم الخارجي وهو يطمئن الوالدة إلى أن خروج الدم الداخلي منها لن يخل بتوازنها لأن هناك في الخارج من يسندها ويساندها.

2- أثناء الولادة يتوأكب ويتناوب الأم مع السماح حتى ينتصر إعلان الخلق، وللأسف فإن الاستسهال الطبي التوليدي الأحدث فالأحدث يجرم أغلب الأمهات المعاصرات من هذه الخبرة الهامة، بإعطاء تخدير خفيف أو بالإكثار من عمليات القيصرية لأسباب ليست دائما موضوعية في هذه الفترة.

3- تعد الأم الكبيرة لابنتها الوالدة فرحة بأكملها (لا يصح أن تجزأ أو تقطع أو يشاركها فيها أحد) لتأكلها "جملها" وحدها، وكأنها رمز لملء الفراغ الذي تولد عن خروج الطفل (الداعم) كاملا، برمز كيان كامل أعدته أم الوالدة.

4- يتم إعطاء فرصة سبع أيام كفترة انتقالية تتعرف فيها الأم على ما حدث لعلها تتأكد - بصعوبة وفرحة معا - أن من كان بداخلها أصبح الآن منفصلا عنها، وهنا تقوم الرضاعة الطبيعية بدور رائع، ليس مجرد تغذية الطفل بما هو حقه الطبيعي، ولكن أيضا بالتدرج مع الأم، لقبول الواقع الجديد، من خلال الحركة اقترابا وابتعادا، الطفل ملتصقا بئديها يوصل إليها أنه مازال جزءا منها، لكنه ليس كذلك طول الوقت، فهو سرعان ما يبتعد، أو يُبعد بعد الرضعة، ربما أدى إلى إقناع الأم أولا أن الخروج ليس معناه الانفصال القاسي، وإنما هو يعني بداية رحلات حركية النمو ذهابا وإيابا!.

## طقوس السبوع

يأتى بعد ذلك دور احتفالية السبوع الرائعة، وقد قرأها على الوجة التالى:

بعد السماح للأُم بهذه الأيام السبعة لتتعرف من خلالها على ما حدث، يقوم الوعى (الشعبى/الأسرى) بما ينبغى لدعم ذراع الانفصال، بما يسمح أن يكون ذراع الوصل أسهل حركية وأنجح نداءً. يدرك الوعى الشعبى أن الوالدة مازالت لا تتبين واقع الانفصال بما يكفى، أو الأرجح أنها لا تريد أن تعترف به، (وقد تكون فى قرارة نفسها لا تريد أن تسمح به أن يتم جدا)، وفى نفس الوقت هى حريصة على أن يتمادى الانفصال إلى غايته ليرتد إليها وهكذا.

يمكن افتراض أنه فى الأحوال الأقل طبيعية أن بعض الأمهات، مع كل رضعة، يتصورن إمكان استعادة الطفل إلى الداخل، ومع كل تغيير (غيار) ملابس الطفل هى تستعيد السماح له بالتواجد منفصلا عنها، ومن هنا - مرة أخرى، تتعمق حركية **السماح والاسترجاع**، التى سوف تستمر بعد ذلك طول العمر كما سيأتى ذكره فى يوميات لاحقة.

اكتشفت أن طقوس السبوع قد صاغها الوعى الشعبى لمساعدة الأم على مزيد من الوعى الموضوعى بفعل الانفصال، كل طقوس السبوع تقريبا يمكن إيجازها فى الفرض التالى:

"إنها لإبلاغ حواس (وحركة) الأم، أن ما كان بداخلها أصبح الآن منفصلا عنها، وأن عليها أن تقبل، ذلك وأن تتأكد من ذلك، وأن تفرح بذلك، فتسمح به لأنه بداية حركية تعيد إليها ما أجزته على مستوى آخر فى رحم الأسرة.

## نقرأ تطبيقات الفرض على الوجة التالى

أ- إن وضع الرضيع فى غربال تحمله الأم أثناء التجوال بالمنزل إنما يعلن للأُم أن مكانه لم يعد بالداخل (بشهادة الشهود الهائمين من حولها).

ب- إن دق الهون - مع الزغاريد والفرحة - إنما يبلغ سمع الأم أن هذا الكيان (الذى قد يبكى لسماع الدق) أصبح خارجها (بشهادة الشهود أيضا).

ج- إن اللف بالوليد فى أرجاء المنزل حجرة حجرة، يبلغ الأم أنه بالتأكيد أصبح خارجها، ليس فقط فى سريره (وأولفته) بجوارها، ولكنه أصبح خارجها فى كل مكان فى البيت.

د- ثم تأتى أهم خطوة حين يوضع الطفل على الأرض وتخطيه الأم ذهابا وجيئة سبع مرات، لعلها تتأكد المرة بعد المرة أنه أصبح، وبالرغم من أنه بين ساقيهما، إلا أنه أصبح خارجها وأن الحركة الدؤوب، ذهابا وجيئة من جانبها أولا، ثم من جانبه لاحقا، هى التى سوف تنظم العلاقة وتؤكد الانفصال الطبيعى بينهما ليتخلق نوع آخر من التواصل الحركى الإيقاعى.

هذه هي بعض معاني تلك الطقوس الدالة، والتي حرّمت منها كثيرات من أمهات اليوم، بلا أي مرير إلا التراجع عن عاداتنا سواء إهمالا أو تقليداً لعادات غيّرنا، أو نتيجة للافتقار إلى منطق نفعي جاهز واضح يبرها.

### دلائل من أعراض مرضية مألوفة في فترة النفاس

كثير ما يصيب الأم، في فترة النفاس أساساً، بعض الأعراض النفسية التي تصل إلى درجة المرض النفسي أحياناً، مما يمكن إرجاعه إلى خلل في التعامل مع هذه الحركية النمائية دخولا وخروجاً، أو من العجز عن استيعاب جدلية الانفصال/الاتصال، والعجز عن الإعداد لها، ومن ذلك:

أ- تصاب حوالي 60% من الوالدات بما يسمى "كآبة النفاس"، وهو نوع من الاكتئاب الطفيف العابر الذي يزول وحده - دون علاج عادة - خلال حوالي أسبوعين، وقد يكون رمزاً لآلام الفراق قبل التأكد من حميمية العلاقة الجديدة وروعيتها.

ب- قد يظهر على الأم صعوبة في تقبل الوليد (أحياناً حتى إعلان الكراهية أو رفض إرضاعه) مما يبدو كأنه نوع من الاحتجاج على هذه الخطوة، وكأن الوليد هو الذي عملها دون استئذان أمه.

ج- قد تصاب الوالدة بذهان النفاس بأنواعه مما قد يشير إلى نوع من اختلال التوازن، نتيجة للفراغ الذي نشأ من هذا الانفصال دون أن يتلئى بدعم تعويضي من الخارج، ودون استيعاب أنه ليس انفصلاً قسراً هجراً، بقدر ما هو إعادة تنظيم العلاقة من جديد.

د- حالات قتل (أو الشروع في قتل) الوليد تحدث مع الذهان الصريح عادة، أو بدون ذلك ليكون هذا القتل (أو الشروع فيه) هو المظهر الوحيد للذهان، وهو أقصى مظاهر رفض الانفصال، (الأمر الذي نشاهده في دراما القتل من الهجر في الحب عند الناضجين مع الهوس الغرامى: (مثال: قتل المرحومة ذكرى... وغيرها).

### دور الأب

يتجسد تهميش دور الأب في هذه الفترة تجسيدا واضحا بشكل يحتاج إلى مراجعة، ففي الوقت الذي يمكن أن يُقرأ هذا التهميش على أن دور الأب ثانوى في هذه المرحلة، يمكن أن يُقرأ على أنه تحميل للأُم أعباء زائدة مما قد يجرمها من العناية بكيانها المستقل، ليس فقط عن الأب، ولكن أيضاً عن الوليد.

بالرجوع إلى المنطلق الأساسي، وأن الأسرة هي الرحم الاجتماعي كمحيط حيوى حقيقى، يمكن أن نتبين أن للأب دوراً إيجابياً لا غنى عنه في إسهامه في تكامل هذا المحيط الحيوى، وأن قيام الأب بدوره في دعم هذا الكيان الأسمى (الرحم الاجتماعي) بدءاً بدعم الأم، يفسر كيف أن الأب الآن يُنصح



## 145-الدوران حول الذات والاختفاء، فى كمفها

## الأحياء الأموات: ذلك الموت الآخر

برغم أننا مثلهم لم يستشرنا أحد، قبل أن نقدم إلى هذه الحياة، إن كنا نريدها أم لا، إلا أن الأحياء الأخرى تبلى الورطة، أو تفرح بها بطريقتها، وتقضيها أياما أو شهورا أو سنين، حتى تذهب، بعد أن تترك وراءها بعض خلفها متورطين فيما تورطت فيه.

ربما هم يملونها بقوانين التطور التي لا نعرف إلا بعضها، وهم لا يخطروننا بشئ عنها قبل أن يرحلوا. !!

لماذا لا نفعل مثلهم، ونستعيط، ونتركها كما استلمناها دون تساؤل ربما ينشأ منا صنف أرقى، يستطيع أن يرد على تلك الأسئلة المعطلة عن الحياة، وربما يستغنى عنها تماما.

يبدو أن الأحياء، غير الإنسان، لا تطرح مثل هذه الأسئلة. من هذه الأسئلة الأكثرها سخفا: لماذا نعيش؟ أو كيف السعادة؟ ما هو الحب؟ وما هو الموت؟!!

## تُرى أيها أفضل:

أن نكون مثلهم؟ فننقذ أنفسنا من إضاعة الوقت، ونرحم عقولنا ووجداننا من الإجابات السلبية أو السطحية؟

أم أن نحترم ما ابتلينا به من وعى وقدرات ونحمل الأمانة ونرى؟.

## وبعد

إذا صح ما ذهبنا إليه من أن الأطفال يعرفون الموت الحقيقى بالمعنى الذى قدمناه فى **يومية 5-1-2008 "الموت: ذلك الوعى الآخر"** وهو ما يتفق مع بعض التنظير والأساطير والأديان، أن الموت وعى بين الوعيين، فماذا لو فتحنا أكثر ملف الموت عند الكبار؟

الكبار يتعاملون مع مفهوم "الموت" باعتباره مرادفا للفقْد أو الاختفاء أو العدم وذلك بفكرهم التجريدى، وعقلهم المنطقى، وإجراءات الظاهر من غياب ودفن وذهاب بلا عودة،

## فهل هذا هو كل ما عندهم؟

ألا يوجد مفهوم آخر لما هو "موت"، يمكن أن يقترب من مفهوم الأطفال من ناحية، ومن الحقيقة من ناحية أخرى؟

لا نريد أن ندخل، حتى مضطرين إلى وضع تعريف جامع مانع لما هو موت، حتى لا نقع في اختلافات مضحكة مثل التي تدور بين الأطباء حول تعريف الموت الإكلينيكي من الموت الكامل... الخ. ومع ذلك، فنقطة بداية لازمة هي أن نحاول أن نتعرف على عمق ما هو "موت" متجاوزين التعريف المفاهيمي السلوكي المنغلق.

يمكن أن نصنف بعض تشكيلات أو أنواع الموت إلى ما يلي:

1. **الموت السلوكي** = العدم، الفقد، الاختفاء بلا رجعة ( ما يقره الكبار والسلطات)

2. **الموت الوعي بين الوعيين** = اليقين الحاضر منذ الآن بلا تفاصيل وبلا رعب (ما يعرفه الأطفال مثلما علمنا أندرسون وغيره).

3. **الموت الجمود التوقف**، الاحركة، حتى ولو لبس ظاهر الحركة الزائفة وكأنه الحياة

• **الموت السلوكي** نحن نعرف آثاره ولا نعرفه.

• **والموت الوعي بين الوعيين** هو فرض لا يمكن حالياً التحقق منه، والله سبحانه أعلم به

• **أما الموت الجمود (اللائقو - السير في المحل - الدائرة المغلقة - الاغتراب المغلق)** فبعض جوانبه هي التي سنتناولها هنا الآن:

### سبع جنازات

مراجعة الفصل الأول من ديوان "أغوار النفس" وهو بعنوان "سبع جنازات" تبين أنها جميعاً قد تناولت الموت من النوع الثالث باعتبار أنه **اغتراب شديد مستمر ثابت**، حتى لو ظلت أنفاسنا تدخل وتخرج، وكأننا نحيا.

• هو جهود مستقر،

• هو رضا باهت،

• هو تكرار خادع،

• هو حركة في المحل،

• هو إصرار على رفض أي تغيير في أي اتجاه معلن أو خفي،

• هو الدوائر المغلقة بإحكام على نفسها،

وبالتالي يمكن أن نتعرف على الحياة الحقيقية على أنها هي عكس ذلك:

- هي كسر الاغتراب،
  - وهى وإن لزم أن تسكن في بعض أطوارها فهو سكون إلى حركة حتمية،
  - وهى رضا يقظ في حالة استعداد للمراجعة،
  - وهى "حركة" حتى لو كانت إلى الخلف فقد تكون لقفزة أمامية أوسع،
  - وهى التغيير الكيفى يسبقه عادة تراكم كمى،
  - وهى الدوائر المفتوحة النهاية.
- هذا بعض ما تناوله نجيب محفوظ في ملحمة الخرافيش، وما قدمه الكاتب نقدا في دراسته Link قراءة في نجيب محفوظ.

#### قراءة في بعض مقتطفات الجنازات:

##### المقتطف الأول:

مر الهوا صفراً، سمعنا الصُوت كإن النعش يئطع كلاماً:  
 "لأ..، لسه..، إسكُتْ..، لَمْ حَصَلْ،  
 سيمًا .. ، ياتأكسى، .. لسه كام ؟"  
 أى كلاما .

ألفاظ زينته، مشكينه،  
 بتزقزق، وتضوضو،  
 .. وخلص!!

من أهم علامات الموت حياً أن نتبادل ألفاظا كثيرة وهى تحمل معان قليلة، أو لا تحمل معنى إطلاقاً، ليس معنى هذا أن هذا اللفظ ليس له وظيفة، لكن أن يصل الأمر إلى أن تصبح الألفاظ زينة، فهى فعلا تصبح مسكينة، ونحن نصبح أمواتا.

حكاية أن العلاج النفسى هو "علاج بالكلام"، وأن "الواحد لازم يفضفض"، وأنه "يطلع إلی جواه" هى حكايات ينبغى أن تراجع علما وحياة وعلاجاً.

هذا المفهوم للعلاج النفسى والتحليل النفسى هو مفهوم "مسلسلاتى" أكثر من أى شئ آخر، حتى أنه لم يعد علما أو حرفة، إلا فيما ندر، إما لسوء فهم ما هو التحليل النفسى، وإما بهدف البحث فحسب.

أحيانا، بل غالباً، ما يكون الكلام هكذا بطلاقة حرة عن الماضى، والعقد، والأسباب معطلا لما علينا أن نقوم به من مهام وعلقات "هنا - و- الآن" نتجاوز بها ما كان، وما هو معطل لنا حالا. هذا ما يدل عليه المقطع التالى من مقدمة الجنازات الذى ينقد بشدة الشكل التقليدى للعلاج النفسى، والتحليل النفسى، كما شاع بين الناس، أكثر مما هو.



المقتطف الثالث: من شطى لشطى  
(1)

الشط التاني المِش بايين:  
كل ما اقرب لهُ، يتاخِرُ.  
ومراكب، وقلوع، وسفاين،  
والبحر الهبؤ مالوش آخِرُ.

(2)

لأ مِش لاعب.  
حاستني لما اعرف نفسي، من جوه.  
على شرط ما شوفيشي اللي جوه.  
وإذا شفته لقيته مش هوه،  
لازم يفضل زئ ما هوه.

(3)

أنا ماشي "سريع" حوالين نفسي،  
وباصبح زئ ما بامشي،  
وان كان لازم إني أعدى:  
زاح أعدى من شطى لشطى، هؤا ذا شَرطي.

(4)

وخذ ما يهدى الموج،  
واشترى عؤامة واربطها على ساري الخوف،  
ياللا نقول "ليه"؟ و"ازاى؟"  
"كان إمتي"؟ "يا سلام"! "يبقى انا مظلوم".  
شكر الله سعيك!!

حتم المخاطرة

هذه الصورة توضح شكلا أكثر تحديدا من الحركة في الحبل بدون قطع أية مسافة.

قد يهم الواحد منا أن ينتقل مما هو عليه، أن يغير ما شعر أنه تعطيل وتكرار، هو قد يغامر في سبيل ذلك بمحاولة النقلة إلى ما لا يعرف.

النمو الحقيقي (الحياة) لا يمكن أن نعرف تفاصيله مسبقا، مهما استعدنا له، إن أنت خطوت خطوة إلى ما تتصوره تطورا أو نموا، وأنت واثق مائة في المائة من طبيعتها، ومآلها، وتفاصيل مراحلها، فأنت واهم، إذ ليس هناك في النمو شيء كهذا.

الإيمان بالغيب الذي هو أساس في الإيمان، يحمل مثل هذا التأكيد على أنه لا حركة إلا وفيها جزء مجهول تماما.

حتى تأخذ بمخاطرة النمو أنت تُبحر دون أن تعرف مسبقاً بشكل محدد : أين ومتى تستقر على الشاطئ الآخر، كل ما عليك هو أن تحذق فن الإبحار والمهارات الضرورية المصاحبة، مثل العموم مثلاً.

قواعد النجاة التي تقولها المضيئة في الطائره ولا يسمعها أحد، هي أقصى ما يمكن أن تتسلح به في مخاطرة الإقلاع من مرحلة نمو إلى أخرى.

طالما الخريطة ليست بمقياس رسم ثابت، وأن الميناء القادمة تقع على مسافة متغيرة، فالإنسان الحي (الذي يقبل مغامرة الحياة النامية) يشعر دائماً أن الحركة ليست قاصرة عليه، بل هي واردة أيضاً فيما يتعلق بهدفه".

**الشط الثاني المَشْ بايْن: كل ما قرَّب لهُ، يتأخر."**

هذا فضلاً عن مفاجآت غموض العلاقات المتشابكة مع آخرين يحاولون أو لا يحاولون بطريقة أو بأخرى. النهاية مفتوحة دائماً".

ومراكب، وقلوع، وسفائن،

والبحر الهيو مالوش آخر."

#### البديل الدائري

حين يربعنا الأهل من مخاطرة النمو، ثم يربع كل منا نفسه من مخاطر المحاولة، إذ نتصور - بحق - حتم مراجعة كل شيء تقريباً، دون تأمين مطلق، يعدل أغلبنا عن الحركة، نتوقف.

مسموح أن نتوقف مؤقتاً حتى نتجمع أحسن، ونستعد أكثر، لكن هذا الاستعداد قد يستغرق العمر كله، فيثبتت الموجود بشكل مزمّن حتى يتحجر، كثيراً ما ننهي المرضى عن الإفراط في تعبير "أحاول، أحاول، أحاول"، لأن مثل تلك الألفاظ تعدّ ولا تفي في معظم الأحيان.

المحاولة التي لم تبدأ بحظي التجريب الواضح المرصودة خطوات إيقاعه، ليست سوى تأجيل مطلق.

الأخطر خداعاً أن يكون المرر لهذا التأجيل هو إشاعة "البحث عن الذات" بالاستبطان والتأمل في الداخل، بمعنى أن يتصور أي منا أنه لا بد أن يعرف من هو حتى يقرر ماذا يريد، أو أنه لا بد أن يحقق ذاته حتى ينطلق منها، "وأنه لا سبيل إلى ذلك إلا من خلال معرفة معالم نفسه ظاهراً وباطناً. هذه كلها إشاعات معطلة، لا أحد يعرف نفسه كما يتصور، طالما نحن ننام ونحلم، فسيظل أغلب جبل الجليد تحت سطح البحر، لكن ذلك لا يمنع البخار والسحاب والري أن يغمروا الدنيا من خلال حركية النمو المغامر.

هذا الزعم "أعرف نفسي من جوه، يصبح أكثر خداعاً حين



أنا ماشى "سريع" حوالين نفسى،  
وباصبح زى ما بامسى،  
وان كان لازم إني أعدي:  
زآخ أعدي من شطى لشطى،  
هوآ ذآ شزطى.

ما معنى ذلك؟ خاصة إذا علمنا أن هذا هو موقف أغلبنا في نهاية النهاية؟ هل نحن نفضل أن نخدع أنفسنا إلى هذه الدرجة؟

لا بد من توضيح أن الصورة فيها بعض التكبير حتى تتضح المسألة، وأننا بهذه التعرية لا نرفض السير في المحل، أو تكرار الدوران في نفس الدائرة، لأن مسار التطور والنمو لا يتطلب المخاطرة المستمرة طول الوقت،

قانون الإيقاع الحيوى يحتم التراوح بين طورين متبادلين طول الوقت، الاستعداد، فالانطلاق، أو بألفاظ أخرى الامتلاء ثم البسط، وهو هو ما يقابل نبض القلب يتم في كل نبضه ملء جراته بالدم، ليجد الانقباض ما يدفعه حين يحل دوره .

إذن فهذه التعرية ليست حفزاً للإسراع بحتم التغيير ، وإنما هي تنبيه ضرورى لوقف الخداع بزعم التغيير والتغير. حتى لو ظلت الحركة في المحل، وتواتر الدوران حول نفس المحور، فإن المطلوب هو أن يكون ذلك تمهيدا لنقلة التغيير في الوقت المناسب، الذى لا نعرفه تحديدا، ومن ثم حتم المخاطرة .

### التأجيل التأجيل هو التسكين الدائم

حين تصل مقاومة التغيير - تغير الذات، يعنى استمرارية مسيرة النمو- إلى أقصاها، يصبح التأجيل شديد العنف، ويتقدم مبدأ "السلامة أولا" على كل الاعتبارات، يصحب ذلك بديهة المبالغة في الخوف من كل شىء، لأن الذى تعرفه أحسن من الذى لا تعرفه، ولأن ما ولدنا عليه واعتقدناه أنه هو السليم حيث "هكذا وجدنا آباءنا"، حتى اختلفنا مع الجيل السابق يصبح شكليا، فتقوم المعارك، وتحدث المناقشات، بل والمصادمات، لتثبت الأيام أن المسألة هي وجهان لنفس العملة **ولحد ما يهدى الموج**، هذا ما تشير إليه الفقرة الأخيرة من الصورة المقدمة .

إن المبالغة في ضرورة الحصول على ضمانات مسبقة حتى أسمح لنفسي بالتغير هي ضد التغير مهما كانت تيدوا نوعا من الحرص لتجنب المخاطر التي هي حقيقية من حيث احتمال عدم إكمال تجربة التغيير إلى ما هو أفضل وأقدر، فتجهد المحاولة دون إمكان الرجوع حتى إلى شط الإقلاع، وأيضا احتمال التراجع عن استكمال رحلة النمو، مع عدم التمكن من العودة إلى ما سبق.

**"عايز أرجع زى ما كنت"**، هذا التعبير الذى يردده كثير من المرضى والعاديين والأهل، وهو تعبير لهم الحق في ترديده، لكنه يحمل ضمنا وقف حركية النمو أصلا.

لا أحد يعترف أنه توقف عن المحاولة، وبالتالي أي منا يملأ وقته مجداع البحث عن الأسباب كلاماً، وتبريراً.

عادة ما يكون هذا التبرير منتهياً إلى أن ينعى كل منا حظه، ويضع اللوم على الناس والظروف، وهات يا نعابة نتبادلها طول الوقت، ودمتم.

"وخذ ما يهدى الموج،

واشترى عوامة واربطها على سارى الخوف،

ياللا نقول "ليه"؟

و"ازاى؟"

"كان إمتى"؟

"يا سلام!"

"يبقى انا مظلوم!!"

شكر الله سعيك.

### The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

### Forum Subscription

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

### Mail To Forum Participate

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

### FORUM INVITATION

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

الخبيس 24-01-2008

## 146- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقااة

## الحلم (27)

في سفينة عابرة للمحيط أجناس من كل لون ولغات شتى. وكنا نتوقع هبوب ريح وهبت الريح واختفى الأفق خلف الأمواج الغاضبة إنى ذعرت ولكن أحدا لم يكن يعنى بأحد. وقال لى خاطر إننى وحيد فى أعماق المحيط. وأنه لا نجاة من الهول المحيط إلا بأن يكون الأمر كابوسا وينقشع بيقظة دافئة بالسرور. والريح تشد والسفينة كرة تتقاذفها الأمواج. وظهر أمامى فجأة همزه أفندى مدرس الحساب مجرزانته وحدجنى بنظرة متسائلة عن الواجب. كان الإهمال الواحد بعشرة خيوانات تكوى الأصابع كيا. وازددت كرهما من ذكريات تلك الأيام. (وقال لى الرجل سوف تكتب) وهممت بدق عنقه ولكنى خفت أن يكون أى خطأ سببا فى هلاكى فسكت على الذل وتجرعت رغم جفاف ريقى. ورأيت حبيبتى فهرعت نحوها أشق طريقا بين عشرات المذهولين. ولكنها لم تعرفنى وتولت عنى وهى تلعن ساخطة وجرت نحو حافة السفينة ورمت بنفسها فى العاصفة واعتقدت أنها تبين لى طريق الخلاص فجريت متعثرا نحو حافة السفينة ولكن مدرس الحساب القديم اعترض سبيلى ملوحا بعصاه.

## القراءة

المكان الحركة، الحركة المكان، السفينة عابرة للمحيط هنا تجمع بين هذا وذاك، لم يصلنى أنها سفينة نوح المعاصرة برغم أنها تحمل أجناسا من لون ولغات شتى، ربما هى أرضنا البائسة وسط الكون المضطرب، أو لعلها الحياة كما آلت إليه أخيرا، حيث لا يعنى أحد بآخر، فهى الوحدة من جديد (وقال لى خاطر أننى وحيد فى أعماق المحيط).

المكان هنا يسمح بالتجمع والتجمهر والانتقال منها، لكنه محاط بالمحيط، فلا مجال للهروب إلى المنزل مع الأمل فى الأمان، أو المفاجأة بالوحشة، أو غير ذلك مما سبق أن لاحظناه، كما أنه ليس ثم مهربا إلى الهواء الطلق قبل انهيار البيت الصغير (نهاية الحلمين 25، 26).

وكما بدأ حلم "25" بتوقع قصر عمر السعادة، يبدأ هذا

الحلم بتوقع العاصفة، "وكنا نتوقع هبوب الريح، وهبت الريح" (لاحظ اختفاء أى برهة زمنية بين التوقع والواقع).

كما أشرنا: مع أن السفينة بها أجناس من كل لون ولغات شتى، إلا أن الراوى يشعر بالوحدة " وقال لى خاطر أنى وحيد"،

بدا لى أن هذا الخاطر بالشعور بالوحدة، هو الذى انتقل بالسفينة فجأة إلى أعماق المحيط. فتمنى صاحبنا بأن يكون هذا الذى يعيشه كابوسا.

بدأت لى هذه الأمنية - كالعادة - وكأنها جذب العودة إلى الرحم الخاف هربا من احتمال الغرق فى المحيط الهادر على السطح، إنها أمنية نكوصية واضحة تتكرر حتى الآن. ثم إننا لو أحسنا قراءة تعبير "يقظة دافئة بالسرور" هنا للاحظنا أنه تعبير نادر. اليقظة عادة تكون نقلة من الدفء إلى النشاط، من سكينه النوم إلى دفع الحركة، لكن هذا التعبير الذى يصف اليقظة هنا بأنها "دافئة بالسرور" لم يحضر إلى قراءة إلا خدر الإحاطة بالسائل الأمنيتوى داخل الرحم والجنين مازال "يلبظ" فى الداخل بعيدا عن العواصف والأنواء.

لم يدم هذا الخاطر الهروبى طويلا وحل محله واقع بارد قاس بظهور حمزة أفندى معلم الحساب، وهو لا يقارن - إلا من حيث الحركة - بظهور معلم البيانو فى حلم "25".

المعلم هنا من نوع آخر "مدرس حساب قديم". يجيزرأنته العمياء، هذا المدرس لا يسأل أو يتساءل عن: "معنى الوقت" مثل أستاذ البيانو (حلم 25)، وهو لا يدعو فى حزم إلى تدريب على مهارة (البيانو). هو مدرس جاف لا يتكلم إلا بلغة الواجب، وهو جاهز فى مواجهة أى إهمال، وليس عنده إلا الخيزرانة لا أكثر ولا أقل، فكانت استجابة الراوى هى الرغبة فى قتله. وحين تبين عجزه، استشعر الذل وابتلعه وهو خائف من أن يضبطوه متلبسا بالشروع فى القتل، ثم إن الوعى بخاطر القتل هكذا، جعله يرتد إلى ذاته، فهو الخوف من الهلاك.

مازلنا فى السفينة، ومازالت العاصفة تحيط بها، فهى قد طفت إلى السطح، وظهر معلم الحساب (الأب القاهر الجاف) كان بصيغة إجبارية "سوف تكتب"، وهى أقسى من صيغة الأمر، كأنه أمر مفروغ منه، لو أنه أمره أن يكتب، "أكتب" إذن لكان ثم اختيار، أما هكذا "سوف تكتب" فهى صيغة أكثر سحقا، والرد على مثل هذا القهر هو القتل، قتل الوالد أمر طبيعى (ديستويفسكى: كارامازوف ومن منا لم يفكر فى قتل والده؟)، لكن لايد من ضمان أن القتل سيتم مائة فى المائة، أما إذا كان فى الأمر احتمال فشل القتل ولو 1% فهو الهلاك، أما الرجوع عن القتل فهو الذل والقهر، (وازدادت كرها من ذكريات تلك الأيام)

الأرجح أن الخبيبة التى ظهرت هنا هى من نسج خيال الراوى، وهى لا تعرفه أصلا. هو الذى جشدها، ثم راح يشق

طريقه إليها، الأخطر أنها تولت وهي تلعن ساخطة، نتذكر الرفض الذي عاناه صاحبنا في حلم "15" يومية 2007-12-13 كان رفضاً غامضاً من أكثر من واحدة (زميلة) حقيقية (على أرض، - مكتب - الواقع)، الرفض هنا يبدو أقسى حتى لو كانت الحبيبة من صنع الخيال، ذلك لأنها: **أولاً** لم تتعرف عليه أصلاً، لقد أنكرته ابتداءً، **وثانياً**: لأن هربها كان نافراً في المجهول بلا وعد، هي هنا فضلت الموت عن أن تكون له أو معه، فليكن هذا هو خلاصه، فمن ناحية: بما أنه يلحقها هنا (وهي حتى لم تقبله أصلاً) فلعله يلقاها هناك، ومن ناحية أخرى! فهو الخلاص من الذل والقهر.

الفتاة تولت وهي تلعن ساخطة (لم يقل تلعن من)، ثم إنها اختفت وهو يشق طريقه بين الذاهلين، ذاهلين من ماذا؟، عن ماذا؟ عن آلت إليه حال الفرقة بين الناس "أحد لم يكن يعني بأحد"؟

وهكذا رمت الفتاة نفسها في العاصفة (لم يقل في المحيط)، فكاد يتبعها وهو يتصور أنها بفعلتها تلك إنما تشير إليه أن هذا هو الحل: الخلاص بإفناء الذات.

الذي منعه من تنفيذ هذا الحل الانتحاري الغامض كان هو مدرس الحساب، الذي نلاحظ هنا أيضاً أنه كان ثنائى الدور والدلالة، فمن ناحية هو أنقذ حياته، لكنه في نفس الوقت هو الذى حال دونه وحبيبته،

ثم تساؤل أخير يقول:

هل السلطة التي تفرض وتقهقر، هي هي السلطة التي تحول دون نزوات الخيال وأوهام الخلاص بالعدم؟.

يجوز.

### الحلم (28)

تتحلق المستديرة والنقود تذهب وتجيء أما الفتاة فكانت تقوم بالخدمة وتقديم المشروبات وأحياناً السندوتشات. وابتسم لي الحظ فريحت عدداً من الجنيهاً يعد كبيراً في مجالنا المحدود وشعرت بدوار خفيف فأعلنت أنني سأنسحب، وعلى أن أحداً لم يصدق عذري إلا أنني انسحبت وعند ذلك اتهم أحد اللاعبين الفتاة بأنها كانت تكشف لي خفية عن بعض أوراق اللعب فغضبت الفتاة كما غضبت أنا احتجاجاً على التهمة البطالة وقام الرجل ومعه أقران ونزعوا ثياب الفتاة حتى تبدت عارية وهي تصرخ وتهدد بإبلاغ الشرطة عن الشقة التي تدار للمقامرة وغيرها من المحرمات فسرعان ما عاد كل إلى مجلسه وساعدت الفتاة على ارتداء ملابسها وغادرت المكان إلى مسكني القريب.

وجلست أستريح فإذا بالفتاة تحضر وأخبرتني أن المجموعة غاضبة وزادها السكر غضباً وتهدد باقتحام مسكني وإشعال فضيحة في الحى كله ونصحتني أن أرد ما رجته حلاً للمشكلة ولكني قلت لها أنهم سيعتبرون ذلك اعترافاً مجرمة لم نرتكبها، فقالت

إن ذلك أهون مما يعتزمون ارتكابه وأذعنت لرأيها وسلمتها النقود وذهبت بها.

وعاد الهدوء لليل ولكن لم أزل أتوقع فضيحة أو شرا من ذلك.

### القراءة

ظهور "الفتاة" (أية فتاة) أو حضورها يتكرر في الأحلام حتى الآن بتنويعات مختلفة، يمكن أن نجمعها لاحقاً للمقارنة في الدراسة الطولية، مثلاً الفتاة هنا أشبه بالوسيط أو الشريك في شيء ما، وهي غير الفتيات اللاتي ظهرن حتى الآن (حلم 2، كان الراوي يتبع الفتاة ثم انتمى وهو يبحث عنها، وحلم 7 حين سار في أثر فتاة الترام "3"، وكانت الفتاة هي أخته وأشياء أخرى في حلم 9، وهي غير صاحبه في الحجر في حلم 10، وأيضاً ليست مثل بنت ريبا في حلم 13، أما هي فهي هنا معه وهو معها دون علاقة خاصة، فلا يلوح في الأفق أى رفض له مثلما حدث مع فتاتى حلم 15، وهي غير الفتاة الريان حلم 18، وغير فتاة القمر والقارب حلم 20، وغير فتاة الوعد والشروط حلم 25، هي فتاة تظهر في الصورة بذاتها، تشاركه سحق القهر، واستسلام الذل، لا أكثر.

إنكار ضربة الخط إلا لأحد أفراد الثلة الخاصة هو مبدأ يرتبط بتحيز الثللية الذى يلفظ الدخيل ويرفض حتى عدل الأقدار، غير مسموح لغريب عن الثلة بالنقص والهرب بالغنيمة حتى لو التزم القواعد الظاهرة، الفتاة هنا شريكة في شهادة العدل، وهذه جريمة في ذاتها بقانون الثللية، فهي تستحق عليها العقاب.

عودة الراوي إلى المنزل هنا لم تكن هرباً أو طلباً للأمان كما لاحظنا في الأحلام حتى الآن، وإنما هي حق مشروع لمن يكسب ويريد أن يتوقف وأن يحتفظ بما كسب، لكنها جريمة في عرف الثلة.

ماذا لم ينتقصوا عليه هو دونها؟

هل كانوا يتشطرون على الأضعف الذى يحتذى بقانون اللعبة، أما هي فهي ليست إلا خادمة أو ساعية؟

الهرب هنا والندالة تراجعاً يؤيد التهمة ولا ينفيها، لذلك هو لم يتراجع أو يستدل، فهي الشهامة كما تبدو لأول وهلة.

سكرت المجموعة، وتهيجت وهددت، هو يعلم أن التراجع والانصياع إلى الابتزاز بأن يُرجع النقود ليس إلا سلبية جديدة وهزيمية تلغى كل ما همُّ به، أو بدا منه، من شهامة سابقة، حين كان يساعد الفتاة و يحاول أن يسترها أو يحميها،

ومع ذلك، فإن هذه المقاومة والدفاع عن السمعة (لا الكرامة) سرعان ما تراجعت هي الأخرى فانهمز وسلم النقود.

هل هي دعوة إلى الهزيمة؟

بل هي تعرية للهزيمة؟  
إن من يتنازل عن حقه، وعن شهامته، لن يتمتع إلا بهدوء  
كاذب، وسوف يظل مهدداً بفضيحة ما،  
والأرجح أن يكون التهديد من داخله،  
لأنه تنازل.

**The Man & Evolution FORUM Web Site**

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

**Forum Subscription**

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

**Mail To Forum Participate**

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

**FORUM INVITATION**

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

الجمعة 25-01-2008

147- حوار بريد الجمعة

#### مقدمة:

بريد حوار اليوم سوف أقدمه من خلال الموضوعات لا الأشخاص المشاركين كما اعتدنا، وقد سبق أن حاولنا ذلك حين اتبحت الفرصة لذلك (يومية 2007-10-12 بريد/ حوار الجمعة "عن التواصل والطفولة والبراءة"). وهو يشمل أساسا تناول المآزق الواجب مواجهته من حيث تقبلنا الحقيقي لبعضنا البعض على اختلاف أدياننا.

كما يتناول إلى درجة أقل إشكالية تحديد معالم الصحة النفسية،

ثم هوامش خاصة وعامة.

نبدأ بمسألة الأديان وتحديات قبول بعضنا البعض.

د. محمد أحمد الرخاوي: الأديان التلقينية 2008-1-18 (دين)

...أحب ان اسمى هذه الاديان قص ولزق، أنا مثلك لم اقرأ عن البهائية ولكن رأيت طقوسهم فهي فعلا قص ولزق، شوية إسلام على شوية مسيحية على شوية يهودية (على فكرة معيهم في حيفا اسرائيل) حتى ضربك لمثل بيكار لا يعنى البهائية من القص واللزق.

د. يحيى:

بصراحة يا محمد لا يمكن الدخول معك في نقاش أمين إلا إذا رجعت إلى أصول الأصول، ولأن أحب المرحوم بيكار، فأنا أتصور أنه عرفها أكثر مني ومنك، وأنه لم يعتنقها هربا أو كفرا أو تزجية وقت، أما احتمال أن تكون قص ولسق، فهو احتمال وارد، لكني أحذر من أن البعض يقول مثل ذلك على الإسلام، وأنه قص ولسق من اليهودية والمسيحية، فأرجوكم لا تسارع بالحكم هكذا.....

د. محمد عزت:

تدهشني يا د. يحيى هذه الرؤية الواضحة والتي لا غنى عنها والمستحيلة في الوقت ذاته. فكل واحد منا يعيش في قلعة محصنة ضد الآخر.

د. يحيى:

... أنا أرى مثلك نفس الصعوبة، ورؤيتي ليست بهذا الوضوح الذي تتصوره، أنا أحترم أنك جمعت بين أنها رؤية لا غنى عنها، وفي نفس الوقت مستحيلة، أليس هذا هو ما يلزمنا بأن نثق في عدل الله بلا حدود!!

#### أ. إسلام أبو بكر:

شغلني كثيرا موضوع الاديان حتى أنني قد ثقت نفسي بالنسبة لهذه المسألة جيدا حتى أتى قرأت عن كل الأديان الوثنية والوجودية والسماوية والمذهبية واللاادين والمشتق من كل هذا وذاك كالبهائية على سبيل المثال.. لم يشغلني هذا فقط بل كان شغلي الشاغل آخر الكتب التي فرغت من قراءتها، وهو كتاب أديان أخرى لأليس منصور.

#### د. يحيى:

أنا أرى يا إسلام أن القراءة هي بعض المطلوب، وليست كل المطلوب، وأعتقد أن القراءة هكذا وبصدق، هي شديدة الأهمية والفائدة، لكنني أتصور أن البداية قد لا تكون منها، ولا هي (القراءة) النهاية أيضا. أعتقد أننا لو ولدنا في مجتمع نابض سليم لأمكن أن نتفق أن البداية هي احترام ما ولدنا به فعلا، لا أريد أن أستعمل كلمة الفطرة هنا حتى لا تسيح منا الأمور، لكنني لا أجد كلمة بديلة خاصة بعد ما عرّفتها، لقد حاولت تعريف (أو التعرف على) الفطرة بأن أميزها باخرقة والأصل والطبيعة **"يومية 1-13-2008 عن الثقة والتخون وحركية النمو (1)"** الخ، ثم تأتي بعد ذلك احتمالات التلقى بين المختلفين لو أتقن كل واحد احترامه لبداياته وبدايات الآخرين، وجمنا معا على ما يجمعنا لا تفويتنا أو تغميئة، لوجدنا أنفسنا نسعى في اتجاه محوري ضام، برغم اختلاف تباعد البدايات، دون عجلة، كما أنه علينا أن ننبه الأقوى والأكثر عددا ألا يعتبر هذا أو ذاك في ذاتهما مبررا أن يكون هو الذي على حق.

#### أ. إسلام أبو بكر:

حتى إن كنت قد ولدت معتقاً مذهب الزن الياباني فقد كنت لن افكر في أن هناك صحيح غيره وهو ما انا عليه، ولكني وجدت نفسي قادرة على الحكم العادل، وقد تجردت هي نفسها من تعنت فكره أني مسلم (لله الحمد).... ولكني أحس بسلام مطلق لأن مسلم.

#### د. يحيى:

يا عم إسلام، كيف تثق بأن نفسك لها هذه القدرة على "الحكم العادل"، حلال عليك ياعم، فقط أنا أدعوك ألا تتوقف عند هذه الثقة طويلا وأذكرك أن المتدين مذهب الزن يحس بسلام أيضا، لأنه زنتي، إن علينا يا إسلام، كما أنه عليه أن نواصل السعي لتحديد اتجاه السهم الضام معاً، كل من بداية موقفه بصراحة وشجاعة، وسيحاسبنا الحق تعالى بعدله المطلق على مدى اجتهادنا، وهو أعلم به

ظاهرا وباطنا، أما أن يعتمد كل فريق على فرحته بالسلام الذي وصله لأنه وصله وهو مطمئن - في سلام - إلى دينه، فالمسألة تتطلب مراجعة أمينة.

#### أ. إسلام أبو بكر:

كل هذا أيقنته وعلمته، ولا أستطيع ان أشرحه لغيري ابدا الا بفردات انتقيها ان استطعت، ولن اقدم له ما توصلت اليه بل عليه هو ان يتوصل الى قضيته بنفسه والتي كانت قضيتي وستظل قضيه البشرية، ولن نهذاً الى أن نعرف كل شيء، وأعني بكل شيء انه كل شيء بالفعل ...

#### د. يحيى:

لا يا عم! ربنا يخليك، كل شيء ماذا؟ دعنا نرجو من الله أن يهدينا الصراط المستقيم، غاية ما أرجو هو أن نعرف الطريق السليم، أن نتعرف على المنهج الذي يوجهنا إلى وجه الحقيقة، مثل هذا البحث هو الذي ينبغي أن نواصل السعي إليه أكثر فأكثر، وفتحة الكتاب عندنا فتحت الباب على مصراعيه للذين أنعم الله عليهم، ولم تحدد تخصيصاً من هم المغضوب عليهم ولا الضالين كما فعلها كل (أو أغلب) المفسرين، سامعهم الله.

#### أ. إسلام أبو بكر:

تأثرت جدا جدا عند قراءة لآية الكريمة التي أوردتها في حديثك اليوم وهي "اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا".

#### د. يحيى:

".. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا"  
 ".. وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى"  
 ".. فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"  
 ".. قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لِمَ تُؤْمِنُونَ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ.."

#### أ. إسلام أبو بكر:

دعني أسأل كطفل صغير يريد ان يعرف شيئا اخر، انا لاحظت في علاقتي مع نفسي أني احترم الدين الاخر.

#### د. يحيى:

على فكرة يا إسلام كل الأطفال دون استثناء يحترمون الدين الآخر، أي والله العظيم، وعلينا أن نتعلم منهم ونتذكر أنهم أقرب إلى ما خلقنا الله به، أحيانا أتعجب على فكر المتعصبين المتشجنين، لماذا لا يتأملون فكر الأطفال ويتعلمون منهم؟

ولكن دعنا نستمع إلى ابن مسيحي جميل يشارك في هذه المسألة وخاصة أنه يبدو أنه قرأ عن البهائية أكثر مني ومنك ومن محمد ابن أخي.

#### د. طلعت مطر: حوار الجمعة 19-1-2008 (دين)

كنت قد انتهيت من قراءة كتابين عن البهائية، أحدهما

بالانجليزية وهو Thief In the Night لوليام سبيرز وهو يحاول اثبات ان بهاء الله هو المسيح في مجيئة الثاني، والتي قالت به كل الاديان وستشهد بنبوؤات العهد القديم عن الميى الثاني. والآخر كتاب مترجم للعربية باسم \ "الدين البهائى\ " لمؤلفيه دوجلاس مارتن ووليام هاتشر وترجمة عبد الحسين فكرى وفيه يستعرض المؤلفان نشأة الدين البهائى وأفكاره الأساسية ووضعه الحالى ويزعمان بأنه دين المستقبل وهم يدعمون كل نشاطات الامم المتحدة ويعتبرونها المؤسسة التى سوف تحقق أغراضهم .

#### د . يحيى :

بصراحة يا طلعت أنا أحسك على سعة اطلاعك هكذا، وكنت أحسب أنى أستطيع أن أجاريك. ثم دعنى أقول لك: لا تؤاخذنى وأنا أعترف أن الفأر قد لعب فى عبنى حين وصلت إلى قولك أن الأمم المتحدة هى التى ستحقق للبهائين أغراضهم، خاصة وقد ربطت بين ذلك وبين ما أبلغنى محمد ابن أخى حالا من أن معبدهم فى حيفا، ولكن عندك يا ابن اخى، أليس من البديهى أن يكون لهم معبد فى أى مكان يسمح لهم بأن يعتنقوا دينهم وأن يمارسوا طقوسهم،

أنا لا أعرف يا طلعت إن كنت قد اطلعت على الفرض الأساسى الذى وضعته للأسس البيولوجية للإيمان أم لا، أذكر أننى قلت فيه أن هذا النزوع للتواصل مع الكون هو مزروع فى البيولوجى منذ بدء الخليقة، وربما منذ بدء الحياة، بل ربما فى الجماد أيضاً، ما علينا، سوف أحاول أن أجعل هذا الفرض متاحاً فى الموقع لأنه حتى الآن هو شرائح على برنامج النقطه القوية Power Point دعنا من ذلك الآن، وننظر فى توقفك عند مسألة احتواء الكون، وأنت تعيدنا من جديد إلى رواية العطر.

#### د . طلعت مطر :

... (توقفت عند مسألة) إدعاء النبوة كنتيجة للوحدة والرغبة فى احتواء الكون والأشياء والملا الأعلى، وسؤالى هو: لماذا ذكرتم فكرة إدعاء النبوة عند الحديث عن جان باتيستا غرينوى؟

#### د . يحيى :

أنا لا أذكر أنى ذكرت أن جان باتيستا غرينوى (العطر) كان يدعى النبوة، لأننى سوف أتناول نقد العطر من باب أن غرينوى كان يخلق نفسه بنفسه إله ليس كمثله أحد، وهذا غير المتنبى الذى يستمد وجوده من قوة محددة أعلى، غرينوى حاول أن يستمد وجوده من نفسه ونبوغه وقتله العذارى ثم سحب أرواحهم الطازجة ليضه - كما تصوّر - منها عطره المقدس الفريد، ليتخلق به إله ساحراً معبوداً، أما ضللات "المهدى المنتظر"، وما يوازيها من ضللات ادعاء النبوة، أو حمل رسالة إصلاح العالم، أو تقمص الإنسان الأعلى، فهى كلها تترجح ما بين الجنون والعبقرية والتصوف، وما أبعد الفروق بينها برغم تصورى نشأتها من أصل واحد.

وقد تتاح لي الفرصة للرجوع إلى ذلك، خاصة بالنسبة لخبرات التصوف، وأنت سيد من يعرف كيف تجرأ النفري فكتب مخاطبته ومواقفه على لسان الحق سبحانه وتعالى وهو يكرر "وقال لي...." "وقال لي...."، الأمر الذي فسره أحمد بهجت بأنه الله "أيقظ قابليتي لتلقى التجلي".

#### د . طلعت مطر:

لا أريد الإطالة حتى لأستأثر بالحوار لكني أود الاشارة الى كتابكم والصديق إيهاب الخراط عن **النفري**، فقد قرأت الكتاب عند صدوره، وكنت أتمنى التعليق ولكن لم تتح لي الفرصة حينذاك والكتاب ليس لدى الان، ولا أستطيع التعليق عليه بالطبع بعد هذه المدة الزمنية إلا ان أعيد قراءته مرات ومرات. ولكني أذكر أنني كنت متحفظا بعض الشيء إذ ان المنهجين مختلفين تماما، أو ينبغي أن يكونا كذلك. فالنفري يمثل **الحب الصاعد** وهو غير منهج **الحب النازل**. النفري والرخاوي سعيًا سعيًا جهيدا للوقوف في **"حضرته"**، اما الموقف المقابل فهو موقف نازل "جاء إليك بنفسه".

#### د . يحيى:

..... طبعا لاحظت يا طلعت كيف عملت بتوصيتك وحورت كلماتك حتى تصبح أكثر عمومية حتى أستطيع أن أرد عليها، ولقد أفادتني ملاحظتك أن أعرف على الفرق بين **السعي كدحا**، وبين **التلقي تسليما**، ومع أن الفرق بدا لي من كلامك واضحا، إلا أنني تصورت أن الموقفين يكمل بعضهما بعضا، وهذا يقربنا من استيعاب حركية النمو التي يمكن أن تجمع التطور والايان والإبداع معا، وهذا في اتجاه ما أشرت إليها سابقا **"يومية 13-1-2008 عن الثقة والتخوّن وحركية النمو (1)"**. وأنا أعدد حركات النمو، وأنبه كيف أنها حركات متكاملة وليست بديلة أو متصاعدة".

يا طلعت أظن أننا متفقون فعلا على الاجتهاد معا بأمانة، ما أمكن ذلك، وأعتقد أن علاقتنا هنا هكذا، مثل محاولتي مع الابن إيهاب الخراط ونحن نقرأ بالتتالي بعض مواقف النفري، أظن أن هذا وذاك قد نضرب به مثلا كيف يكون الاحترام المتبادل، بل والتكامل المحتمل، وما هو أسامة عرفة معنا على ما يبدو.

#### د . أسامة عرفة:

هل يوجد دين سماوي واحد يبيح انتهاك حق الآخر!!!

#### د . يحيى:

طبعا لا!! ولا غير سماوي يا أسامة أظن، وهاك الابن رامى يشارك

#### أ . رامى عادل:

المسلم الحق ينبغي عليه ان يقرأ انجيل الله.

#### د . يحيى:

تعبير إنجيل الله أثلجني، مع أنني أعترف بتقصيري في قراءته منهجياً، لكن يا رامى كما ذكرتُ أنا حالاً للابن إسلام في بداية هذا الحوار أن المسألة ليست مسألة قراءة، دعني أكرر لك الآن أن المسألة هي أيضاً ليست مجرد إحاطة بالأصل مكتوباً، القراءة تفيد فعلاً، لكنها ليست أنجح وسيلة، كل ما أتمناه أن نحاول إرساء علاقة مباشرة مع النصوص نستلهمها لا نفسرها حتى لا نصبح أوصياء عليها ونقرأ التفسير الصامت الجامد الذي يكاد يغيثها ولا ينير بها أعتقد يا رامى أنه قد آن الأوان لننتقل إلى موضوع آخر ونبدأ بأسامه كالعادة.

#### د. أسامة عرفة: الصحة النفسية والتطور الفردي وعصر المعلومات 2008-1-23 (صحة)

هذه المقالة من العيار الثقيل

(أمًا) عن الزمن والحركة (فهاك تساؤلاتي):

هل هناك زمن بدون حركة؟

هل هناك حركة بدون زمن؟

أم أن الزمن هو هو الحركة؟

أم أن الحركة هي التي تولد الزمن فلا زمن مع السكون؟

#### د. يحيى:

الله ينور عليك يا أسامة، ولكن، أرجوك أن تسمح لي أن أوجل فتح ملف الزمن الآن، وفي الأغلب سوف نعود إليه معاً، ولعلك تذكر كتاب **حدث اللحظة لبشار** وقد ناقشناه في إحدى ندوات المقطم وقد كان هو المنطلق إلى تناول إشكالية الزمن بصفة عامة وفي المرض النفسى بصفة خاصة، خلدنا الآن يا أسامة في الصحة النفسية وأنت تعلم أن تحديدها أصعب من تحديد المرض النفسى، ومع ذلك صديقتنا رامى عادل فرح باليومية وصفق بما يخالف صعوبتي وصعوبتك.

#### أ. رامى عادل: الصحة والمعلومات 2008-1-21 (صحة)

الله ينور.

أخيراً بنتعرف على الصحة.

الحمد لله

#### د. يحيى:

يا رجل حرام عليك!! تصور يا رامى أن معظم العاملين معي (المعالجين أطباء وغير أطباء) قالوا تقريباً عكس ذلك، قالوا إنهم لم يفهموا هذه اليومية بالذات بالقدر الكافي،

بعد إذنك يا رامى نحن نقرب من نهاية الحوار وبقيت عندي بعض الهوامش فدعنا نشير إليها بإيجاز، لأن أغلبها يحمل جرعة شخصية، فعذراً ودعني أعتذر لخصوصيتها نسبياً.

#### د. أميمة رفعت: حوار الجمعة 2008-1-22 (خاص)

أشكر لكم اهتمامكم بالتعليق على قراءتي وأعتذر لما سببته من خلط لضيوف النشرة. أتمنى ألا تتوقف قراءتكم لتلك الأحلام.

د . يحيى :

شكرا يا أميمة، أنت صاحبة فضل، وشكرا لسماحك بتأجيل قراءاتك النقدية المطولة وأرجو ألا تحرمينا من نقد النقد، وأيضا من تعليقك على سائر اليوميات يا شيخة

د . أسامة عرفة: حوار الجمعة 2008-1-22 (خاص)

ما أسعدني أن استقلل د. محمد يحيى عنك كان استقللا حقيقيا...

د . يحيى :

وهل يوجد استقلال حقيقي يا أسامة؟ ربنا يستر، وهل أنا شخصا استقللت عن أبي استقللا حقيقيا وقد رحل منذ أربعين عاما بالتمام؟ وعندى الآن خمس وسبعون عاما، يا عم، خلها في سرك.

أ . رامى عادل: البريد 2008-1-18 (خاص)

هو محمد يحيى بالفعل ربنا نفسه بنفسه؟ وصلني استقباله لشجاعتك وانت ترميه في النار قبل الآوان. الله ينور عليه.

د . يحيى :

.... وأنت أيضا يا رامى خدك الشعر؟

..... وهل هناك يا رامى من يرى نفسه بنفسه مثلما تفعل أنت طول الوقت بشجاعة نادرة.

لكن دعني أحذرك كما أحذر نفسي، ومحمد، من مصير غرينوى (العطر) الذي حاول أن يخلق نفسه بنفسه.

أ . رامى عادل: حلم 26: 2008-1-21 (طب نفسي)

ورغم ذلك أنا فاشل ومتعايش مع فشلي وإفلاسي وغربتي، وأحب كل ذلك.

د . يحيى :

يا ليتهم يصدقونك يا رامى، يقولون أنك تصفق لى كثيرا، ولذلك أعطيك فرصة أكبر، وهم لا يعلمون أنني أحذف أكثر من 90 % مما ترسل "خصوصا التصفيق"، المهم دعهم يتأملون معي قراءتي لكلماتك عن الفشل والغربة والإفلاس.

أما أنك تحب كل ذلك فحلل عليك يا رجل، أنت الكسبان يا رجل.

أ . رامى عادل:

إن جمودى في بعض الأحيان هو حركه في حد ذاتها. وهكذا أتأكد من قولك ان الفطره هي الحركة....

د . يحيى :

أعترف لك يا رامى أن ما أعيشه هذه الأيام من نقلة في تفكيرى لأنتمي أكثر فأكثر إلى ما هو حركة يدهشني ويزعجني، لم يبق إلا أن اكتب هذه الردود حالة كوني ساجدا أو مهرولا أو مسافرا، والله أكلمك جدا يا رامى.

الحركة يا رامى يمكن أن تعيشها وأنت تتحرك جسدياً أو مكانياً

لكن يبدو أنها يمكن أن تصلك وأنت جالس مثلما أنا الآن أتلقى من الخليج والولايات المتحدة وأستراليا معا فأتحرك جالسا،

دعني أستاذنك الآن يا رامى نعود إلى د. طلعت أيضاً، مع أنها أيضاً مسألة شخصية، لكنها مشجعة ومطمئنة، ودافعة للاستمرار.

#### أ. طلعت مطر:

بالنسبة لإشارتكم بأن لك أولاد من راس الخيمة حتى نيويورك . أود ان أفيدك بأننى اعمل كرئيس قسم للأمراض النفسية في مستشفى عبيد الله برأس الخيمة وإننى أقوم مع زملائى من الأطباء والاختصاصيين النفسيين بعمل اجتماع يومية كل صباح لاستعراض الحالات الموجودة بالقسم وأجدنى مضطرا كل يوم الى الاشارة الى نظريتكم في الطب النفسى وأقول مضطرا لأنه - إحقاقا للحق - لأجد فى بعض الحالات ما يسعبنى إلا ما تعلمناه من سيادتكم حتى ولو حاوت البحث عن تفسيرات اخرى لمسار المرض أو فهم عرض او سلوك ما . فلا تظن ياسيدى ان ما علمته لنا قد ذهب هباءا لانه ليس زبدا أبدا.

#### د. يحيى:

اضطرت إلى نشر تعقيبك هذا كاملا يا طلعت، مع أنك لاحظت أننى أتجنب مثله عادة، إلا أننى استثناءً قدّرت أن ذلك قد يطمئن بعض الزملاء إلا أننا هنا معا نحاول محاولة عملية، ولا نتوقف عند وضع الفروض نظرياً، معظم فروضنا لها تطبيقاتها العملية الإكلينيكية هنا وهناك، وحين كنت أتساءل في يومية سابقة هل عندنا دليل؟ (يومية 15-1-2008) كنت أأمل في مثل ذلك.

The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/TheManAndEvolutionForum/>

Forum Subscription

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

Mail To Forum Participate

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

FORUM INVITATION

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

السبت 26-01-2008

## 148- أحسب المؤرخين، ولا أثق في التاريخ

## رحل يونان لبيب رزق

وكأنى فقدت أبى مرة أخرى، مع أنه رحل وهو يكبرنى بأربعة أيام لا غير.

كنت أحبه، مع أننى لا أحب التاريخ، أعنى لا أثق فيه، لا أعتمد عليه، لا أستشهد به، لا أفخر به إلا إذا كنت قادراً أن أمارس محاولة إحياء ما أفخر به "الآن"، أنا لا أثق إلا فى التاريخ الذى يحتويه "دنا" DNA خلايانا الآن، هذا الموقف المؤلم يشكل لى إشكالا حقيقيا مع كثير من المعلومات المحكية مهما بلغت من القداسة.

قابلته مرة واحدة، اشتركنا فى ندوة فى المجلس الأعلى للثقافة، أذكر أنها كانت عن ثقافة المرأة، أو قضية المرأة، أو إبداع المرأة، أو شيء من هذا القبيل الذى لا يصلنى منه -عادة- إلا عكس ما يزعمون أنهم يريدونه لها، لا منها !! المهم: فى تلك الندوة، تكلم هذا الراحل الكريم بعدى، وفوجئت أنه يقرأ ما أكتب هنا وهناك، لم أصدق، أنا أكتب ولا أعرف ماذا يصل إلى من، وإذا بهذا الرجل يبلغنى ما بلغنى مما أحجل أن أعيده، عرفت أنه قرأنى، وعرفنى، وأقر ما أفعل، وما أحاوله، شعرت أن أبى يباركنى ويشجعنى، ربما هذا ما يفسر شعورى عند فقدته، يومها فرحت فرحة وكأننى وجدت مليارا من البشر تصلهم كلمتى.

ذات مرة قرأت وصفا له يقول: إنه إنسان يستحيل عليك أن تكرهه، اضطرت إلى الموافقة على هذا الوصف، مع أنى احترم الكره بقدر احترامى للحب، وأعتبره شرطا من شروط الحب الحقيقى، ولكن كيف يمكن أن أكره شخصا بهذه الدماثة كلها حتى وهو يكتب التاريخ الذى غالبا لا أصدق، ربما فى عدم تصدىقى هذا نوع من الكره الجميل.

آخر مرة اضطرت فيها أن أعلن أننى اختلف معه لدرجة الرفض، كان أثناء تسجيلى خلقتين متتاليتين عن مسلسل الملك فاروق، حين أعلنت اعتراضى الشديد على تصريحه بأنه بلغه من حسن باشا يوسف وكيل الديوان الملكى، أن الملك فاروق كان

عنده فصام، نبهت في الحلقة إلى أن استسهال استعمال هذا اللفظ الغامض من مؤرخ عملاق مثل د. يونان هو تجاوز يسئ إلى العلم، وإلى الناس، وإلى صاحب السيرة، وإليه، ولا يضيف شيئا!، كنت أدلى بشهادتي تلك على الهواء، وأنا غير مصدق أنني أتحدث عن هذا العالم الجليل الجميل النبيل، لكنني كنت مستثارا من هذه الموجة الشائعة التي تهين مرضى قبل أن تهين من يوصف باسمهم، شعرت وأنا أعترض على رأيه هكذا أنني قد تجاوزت الحدود التي تسمح بها عاطفتي نحوه، لكنني اكتشفت في نفس الوقت أن هذا نوع آخر من الحب.

قبل ذلك بأيام رحل إنسان مصري آخر، جميل نبيل أيضا، هو جمال بدوي، قابلت هذا الرجل أيضا مرة واحدة، كان ذلك في الثمانينات، في مكتبه في مقر الوفد القديم، كنت أحتج على تجاوز ما أصاب مقالا نشر لي بصحيفتهم، شعرت فجأة أنني في ميدان الخطة في طنطا، (إن كان مازال بهذا الاسم)، إذا كان قد وصلني أن د. يونان "أبي"، فقد شعرت يومها أن جمال بدوي هو "ابن عمي"، وأنا نسير جنبا إلى جنب في قحافة ضاحية طنطا الملتصقة. بعد رحيله، عرفت أنه من بسيون، كان مركزنا - طفلا- السنطة ومديرتنا طنطا، قبل أن تستولى علينا إمارة المنوفية لتضمنا إلى مركز بركة السبع بدون حق تقريرالمصير، يومها اعتذر لي جمال بصدق بالغ، وقال لي كلاما قريبا مما قاله د. لبيب رزق بعد عشر سنوات، تابعته بعد ذلك في التلفزيون، وفي المصور، مؤخرا يكتب التاريخ بتجيز طيب، ذلك التحيز المعلن الذي هو أكثر حيادا من يدعون الحياد، في محادثة هاتفية معه بعد سنوات، عبرت له عن إعجابي بدقته وإتقانه وصدقته، ورغم موقفى من كتابة التاريخ، وإذا بالحديث يطول وهو يشرح لي معنى "التأصيل"، استطعت أن أستنتج أن هذا هو الذي يجعل من كتابته للتاريخ تشكيلا يصل إلى الناس أسرع وأقرب.

هكذا عرفت أكثر فأكثر الفرق بين تسجيل التاريخ، وبين إحياء التاريخ، وإبداع التاريخ، وتلفيق التاريخ، ومحمل أمانة التاريخ، ومسئوليتنا "الآن" عن التاريخ.

ليس لي أصدقاء بالمعنى الشائع، لكنني انتزعت صداقة الراحلين دون إذن، بعد (وقبل) مقابلة واحدة مع كل منهما.

وداعا صديقي، واطمئنا، فمصر قادرة على إنجاب من يكمل ما بدأناه، كل بطريقته.

وداعا.

مع أنني لم أتنازل عن موقفى من التاريخ والمؤرخين.

أعمل ماذا؟

## 149- الشعور بالذنب ور بالذنب (1)

## مقدمة :

الشعور بالذنب غير ارتكاب الذنب، وهذا بدوره غير تعريف حدود الذنب، الذى هو مشكل في ذاته لأنه متعلق بإشكالية تعريف الأخلاق، مستوياتها وتشكيلاتها.

التركيز ونحن نتاول هذه القضية هنا في هذه النشرة سوف يكون على ظاهرة "الشعور بالذنب"، ظاهراً أو غير ذلك، فهو قد يكون معلناً، أو كامناً، صريحاً أو مضغماً، وقد يظهر في سلوك تطهيرى، أو استغفارى قهرى،

الشعور بالذنب هو الإحساس الذاتى بأنى شخصياً خطئى، مذنب، هو إحساس أنى (الآن) كذلك، لكنه عادة ما يُطلق على حدثٍ مضى، أو يُطلق على الماضى عموماً، وقد يؤلف له الشخص (أو المريض) ما يبرره.

## الذنب والوعى:

يبدو أن الشعور بالذنب قد نشأ مع ظهور الوعى البشرى بما عرف عنه أخيراً، أى بتعدد مستوياته، إذ لا يكفى أن يكتسب الإنسان ظاهرة الوعى ليقع في إشكالية إصدار الحكم على نفسه بحكم قضائى داخلى خاص، وإنما يلزم أن يكون ثمة وعى، ووعى آخر، فثالث ... وأكثر، ومن ثم الجدل والحرية.

الإنسان منذ اكتسب الوعى، انفصل قليلاً أو كثيراً عن هارمونية الزمان / المكان في اتساعهما المطلق، فأصبح بإمكانه أن ينظر من موقف متعال إلى مسيرته الذاتية، وقد يصاحب هذا الانفصال تعدد مجادل، وكذلك إمكانية اتخاذ قرار حر، مما يستتبع ظهور مسئولية ما،

وبما أن الوعى المختار لا يمثل كل الوجود الفردى الذاتى، فإنه بالتالى لابد أن يوجد قرار مضاد كامن، جاهز مستعد للوم والمؤاخذة، ومن ثم المحاكمة، فالحكم، هذا هو منشأ "الشعور بالذنب".

ذنب الانفصال عن هارمونية الكل هو الخطوة الأولى لتولد هذا الشعور، ويمثلها بوضوح شديد الفكر المسيحى، وإلى درجة

أقل الفكر الإسلامي، ويقابل ذلك في التنظير النفسي موقف أوتو رانك Otto Rank بصفة خاصة، حيث اعتبر الخروج من الرحم هو الصدمة الأولى (المقابلة للخروج من الجنّة)، ثم راح ينظر إلى الانفصال عن الوالدين في مرحلة لاحقة (هى المراهقة أساساً)، باعتباره مبعثاً لمزيد من تدعيم الشعور بالذنب (أنظر بعد)، وعلى نفس المستوى كان رانك هو الذى ربط الشعور بالذنب بالخربة (الفعل الإرادى) ربطاً مباشراً، حتى وضعها صريحة كالتالى "إن كل فعل إرادى ينتج عنه شعور بالذنب" وقد يكون هذا موازياً لمعنى الأمانة التى حملها الإنسان: "إنه كان ظلوما جهولاً".

فظهر الوعى وما صاحبه من إعلان الانفصال عن الطبيعة جزئياً أو مرحلياً، وكذلك ما صاحبه من اكتساب حرية الإرادة، هما أول علامات تشير إلى تولد هذا الاحتمال.

لكننى قلت للتو أن المسألة تحتاج إلى وعى آخر (على الأقل) حتى يمكن للذنب أن يحتل الوساد الشعورى الظاهر، وقد اعتاد النفسيون أن يصوروا هذا الوعى الآخر باعتباره الضمير، أو الأنا الأعلى، لكن ثمّ احتمالا آخر (من منطلق أوتو رانك، وكذلك الفكر الدينى) وهو أن يكون المعاقب، واللائم هو وعى الرغبة فى الاعتمادية المطلقة (العودة إلى الرحم / العودة إلى الجنّة / العودة إلى الالتحام بهارمونية الطبيعة)، فىصبح الشعور بالذنب هو إعاقة والدية سلطوية كما يصبح أيضاً، وربما قبلاً، وظيفية تعطيلية ضد الحرية وضد الاستقلال، لصالح الاعتمادية الرضعية (أو حتى الرحمية) من ناحية أخرى.

### تجليات الشعور بالذنب

للشعور بالذنب تجليات مختلفة، تتجاوز مجرد إعلانه بالإنفاظ، وقد تظهر فى مجالات مختلفة، بأشكال متعددة نكتفى بالإشارة إلى بعضها فيما يلى:

#### 1- المستوى الدينى

يؤصل الفكر الدينى بداية هذا الشعور منذ بدء الخليقة، وهو ما يتمثل فى أديان مختلفة بأشكال مختلفة، لعلها ترجع جميعاً إلى ذنب التجاوز بالأكل من الشجرة المحرمة، ومن ثمّ الخروج من الجنّة.

تتجلى مظاهر التأثيم بعد ذلك، بحق وبغير وجه حق، فى المبالغة فى الترهيب والنهى عن الحرام أكثر من الترخيب والإفساح للعفو والسعى والكدح إلى الاتصال "كل من انفصل عن أصله يطلب أيام وصله" (قول صوفى)

وثمة مظاهر دينية جماعية موسمية تركز على دور هذه الظاهرة مثل الأعياد التى ترتبط بذكرى صلب المسيح عليه السلام، أو استشهاد الحسين رضى الله عنه

## 2- المستوى الأخلاقي الاستقطابي: الخير والشر

مع الاستقطاب الشائع بين الخير والشر، خاصة إذا بولغ في هذا الاستقطاب تبعاً لمنظومات اجتماعية حيائية وقانونية مختلفة، يرتبط الشعور بالذنب ليس بمجرد مخالفة ما يعتقد أنه خير، أو يفرض عليه أنه كذلك، ولا بارتكاب ما هو شر أو ما يعتبرونه كذلك، وإنما بحكم الشخص على نفسه وهو يخالف الخير أو يرتكب الشر، ذلك أن مجرد التصادم مع القانون والعرف اللذان يحددان الخير من الشر لا يكون مصاحباً بالضرورة بالشعور بالذنب.

## 3- المستوى التاريخي (والسياسي) (الهولوكوست - مقتل الحسين - .. إلخ)

عبر التاريخ، كأن للتأثيم ومن ثم للشعور بالذنب مركزه المحوري، سواء في الأساطير، أو في تبريرات التمييز العرقي أو في الحروب، ولعل أظهر مثل ذلك هو استثمار زعم الهولوكوست للتأثيم والتجريم والقهر، ليبررو به طرد الناس من أرضهم، ثم القتل والإبادة.

## 4- مستوى التحليل النفسي: عقدة أوديب

لعل أهم الأسس التي بنى عليها فرويد تفسيره للعلاقة الثلاثية بين الابن والأب والأم هو الشعور بالذنب وهو قد أرجعها إلى عقدة أوديب أساساً، وقد انتشر هذا الفرض انتشاراً كاد يجعله حقيقة راسخة، مما سدرج إلى مناقشته في حينه، إن من أهم ما يرجع إليه هذا الشعور هو تجاوز نحو الأسرة Grammer of the Family الذي يحدد المنوع من المسموح، أما الاقتصار على تفسير ذلك بما سمي عقدة أوديب فهذا هو ما سدرج إليه فيما بعد كما ذكرنا

## 5- مستوى الأعراض المرضية: طقوس التكفير (مثل: الوسواس القهري)

لا يقتصر عرض الشعور بالذنب على إعلانه بالألفاظ دليلاً على الاكتئاب وبالذات على النوع النعاب منه Nagging Depression وإنما يمتد كثيراً، وربما أساساً، إلى مظاهر عديدة من مظاهر الاضطراب الوسواس القهري، وخاصة ذات المحتوى الديني (أنظر يومية 2007-12-29 "الوسواس القهري في رحاب مولانا النفرى "1")

## 6- مستوى الإبداع: (أنظر بعد)

تتجلى ظاهرة الشعور بالذنب في كثير من أشكال الإبداع، والأمثلة لا تنتهي مما سيرد ذكره في عرض تفاصيل الاستشهادات الداعمة للفروض المقدمة (من أوديب ملكا إلى ديستوفيسكي إلى سارتر)

وفي نفس الوقت، سوف نبين كيف أن عملية الإبداع ذاتها هي من أهم المسارات الإيجابية لخل هذا الشعور الأساسي من خلال ما أسميناه المسار الإبداعي ذاته، كما سيرد لاحقاً.

## الخطوط الأساسية للفرض

يمكن عرض الخطوط العريضة للفرض الذى تقدمه هذه الأطروحة متسلسلا على الوجه التالى:

1- الشعور بالذنب هو التفسير الظاهر لشعور أعمق بـ "وعى الفصل".

2- إن بزوغ الذات (الوعى بـ "أنا متفرد") يصاحبه: روعة الأم الخرية، المرتبطة بمسئولية الإرادة والوعى بالذات (ومن ثمّ <== الشعور بالذنب)

3- وهو مجرد بداية وليس "مُسَلِّمة" نتوقف عندها، بداية تحفز للتعامل معها

\* أنا موجود <== إذن أنا مذنب

\* أنا أختار- أفعّل <== إذن أنا مذنب

\* أنا أحمل أمانة الوعى <== إذن أنا مذنب

ثم يتحرك التعامل مع ذلك على المسارات المختلفة

3- يتواكب هذا الظهور مع تميّز عمل النصفين الكرويين للدماغ (الخ) (Eccles 1991)

4- يصبح هذا الشعور نفسه دافعا نحو النمو (سعى حركية الوصل الجدى بالوعى الكونى المتغير إلى المطلق).

5- قد ينقلب هذا الشعور ليصبح دافعا ومبررا للتوقف عن الوعى به والتفكير فيه، والانطلاق منه، ومن ثمّ يعتبر آلية دفاعية تحفز من إباح تحمل مسئولية الوجود متفردا، فالنمو.

وإذا رسخت هذه الخطوة واستقرت، كأنها الأصل والنهاية معاً، يتجمّد النمو.

وبعد

بعد هذه المقدمة المطولة أجدنى مضطرا للتوقف قليلا حين استيعاب بعض معالمها

وأعتقد أن هذا الموضوع سوف تلزمه عودة وعودة، حتى نعرض المسارات المختلفة لهذا الشعور الأساسى فى الوجود، المسارات السلبية والإيجابية، وكذلك سوف نعرض ما تيسر من حالات وأحوال ما أمكن ذلك

كما أرجو أن أوفق غدا للاختيار ما بين تقديم: لعبة الشعور بالذنب مع أسويا متطوعين تختبر من خلالها موقفنا - كأسوياء مما نسميه الشعور بالذنب، وبين البدء بعرض نصوص داعمة، انطلاقا من مواقف النفسى وقراءتى لها، فمن ناحية هو يمثل بعض ما نحاول تأكيده من ضرورة الأخذ فى الاعتبار

البعد الثقافي الخاص، ومن ناحية أخرى نتذكر ونفرح به وهو ينكر ما ينكر تقريبا إليه (انظر يومية 2007-12-29 "الوسواس القهري في رحاب مولانا النفرى "1").

#### دعوة للعب:

وحتى أوفق في الاختيار أتقدم بدعوة للقارئ أن يلعب اللعبة التالية بصوت عال ويكملها كيفما اتفق، ثم يكتبها أو لا يكتبها حتى نلتقى .

ونفيد التذكرة بما سبق أن أوضحناه من ضرورة الالتزام لمن يريد أن يلعبها ابتداء سواء أرسل النتيجة إلينا أم لا

#### المطلوب:

- لا تحاول أن تجيب بالقلم والورقة (لو سمحت)
- تلعبها بصوت عال، مع نفسك أو مع صديق واحد أو اثنين يشاركانك (أو صديقة أو أفراد الأسرة)
- لا بد من تكرار العبارة المقترحة ، وليس الاكتفاء بتكميلها
- كلما كانت الاستجابة أسرع، كانت التلقائية أجهز
- حاول أن تلعبها بأكبر قدر من التمثيل (مشملا الوجه والعيون والجسد).
- لا تحاول أن تسارع بفهم أو تفسير ما قلت
- يمكنك أن ترسل لنا استجاباتك إلى الموقع بعنوان (لعبة الشعور بالذنب
- طبعاً من الأفضل أن تسجلها لنفسك صوتياً، حتى لا تعتمد على الذاكرة فهم عشر لعبات (أو يمكن أن تكتبها لنفسك أولاً بأول بعد أن تكون لعبتها بصوت عال)
- طبعاً من حقلك أن تمزق الإجابات، وتمسح الشريط، أو ترسلها باسم مجهول، لكن يستحسن أن تذكر السن، العمل، والنوع (ذكر أنثى، ولا مؤاخذاً) بالضافة إلى ما تشاء من معلومات.

#### وفيما يلي الألعاب العشرة حتى نلتقى:

- 1) انا نفسى أروح اعتذر لكل اللى أذيتهم مع انهم .....
- 2) الاعتراف بالذنب مش كفاية ، انا لازم .....
- 3) أنا مش مذنب للدرجة دى ، الحكاية .....إنى.....
- 4) يتهيألى إن كُتِر الكلام عن الذنب من غير ما اتغير يمكن تخلينى .....

- (5) الظاهر الشعور بالذنب ده بيعطلى والأصول إنى .....
- (6) حتى لو أنا مذنب زى ما أنا فاكراه، مش يمكن .....
- (7) أنا باستغفر ربنا كثير بس مش عارف على إيه بالظبط، أصل أنا .....
- (8) قال يعنى لما أقول أنا مذنب يبقى بقى .....
- (9) ماهو لو الشعور بالذنب كان نفعنى كان زمانى .....
- (10) إالى عايز يصلح الذنب اللى ارتكبه بصحيح لازم يعمل حاجة تانية، أنا مثلاً .....
- Evolution of the Brain, John C. Eccles.

**The Man & Evolution FORUM Web Site**

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

**Forum Subscription**

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

**Mail To Forum Participate**

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

**FORUM INVITATION**

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

الإثنين 28-01-2008

150-الشعر وبالذنب (2)

النفري.. والشعر بالذنب

وجدتُه فجأة في حجرتي وأنا أعد نشرة اليوم لأعرض استجابات المشاركين في لعبة "الشعر بالذنب" التي عرضت نصها أمس دون عرض أو مناقشة الاستجابات، متصوراً أن في ذلك تمهيدا طيبا لموضوع صعب، نال من الشهرة والتسريح ما نال.

انتبهت إلى وجوده مؤنسا بلا ميرر ظاهر، لم أتعرف عليه، لكن غلب حبي له على خوفي من المفاجأة، ودهشتي من الغرابة.

قلت له وأنا أحاول أن أعتبر الموضوع عاديا (لست أدري كيف):

وعليكم السلام، من؟  
قال:

ألا تعرفني؟  
قلت وأنا على يقين أنني لا أكذب:  
طبعاً أعرفك

قال:

فلم تسأل؟  
قلت:

لأعرفك  
قال:

أنا محمد بن عبد الجبار بن الحسن  
قلت:

يعني ماذا؟  
قال:

يعني أنا "هو"  
قلت:

"هو" من؟ عرفتك من البداية، لكنني كنت أريد أن أصدق أنك "هو"، مولانا النفري

قال:  
أنا أنت لو احسنت النظر

قلت:

وهل أنا أهل أن تزورني هكذا؟  
قال:

وهل أنا أهل لما أنا أهل له؟ دع كل ذلك وقل لي: لماذا  
أجّلت تقديم ما "قاله لي"، عن الذنب؟ أليس الأولى أن  
نستمع إليه؟ أن نفتح به ما نحاول؟

**قلت:**

وهل هو كلامك أم كلامه؟

**قال:**

أنت تعلم .

**قلت:**

استشهدتُ بأحمد بهجت حين قال أن تعبير "وقال لي" يعني أنه:  
"عَرَفَكَ بَأَنَّ رَفَعَ حِجَابَكَ فَعَرَفْتَ"

**قال:**

أحمد بهجت رجل طيب

**قلت:**

وأنا؟

**قال:**

أنت أعرفُ بنفسك

**قلت:**

أنت أدري أنها رحلة طويلة لا تنتهي، وهل أنت عرفت  
نفسك؟

**قال:**

ما هذا؟! لو عرفتُها ما قلتُ ما قاله لي، حين أقول لك  
"أنت أعرف بنفسك"، أعني أعرف مني، ولأعني أنك تعرف نفسك

**قلت:**

وهو؟

**قال:**

أقرب من حبل الوريد

**قلت:**

فلماذا كَفَرُوك

**قال:**

يغفر الله لنا ولهم

**قلت:**

ولماذا هاجرت إلى الفرجة فعرفوك أكثر منا، حتى عدنا  
نستلهمك من خلالهم

**قال:**

لكل مجتهد نصيب

**قلت:**

علّمتنا يا مولانا ألا نخشى الوسواس، بل إن منا بعد ما  
قرأك، ثم قرأ قراءتي لك، link من راح يرحب بالوسواس،  
فلا يجده .

**قال:**

أليس هذا ما تريدون، أن تتخلصوا منه؟!

**قلت:**

ليس بعد ما قلت لنا ما "قاله لك"، وهل يكون الأمر  
كذلك بشأن الشعور بالذنب؟

**قال:**

دعنا نأمل

**قلت:**

أنت تعرف أن ما أحاول أن أبلغه عنك إليهم يجعل المغفرة  
بلا حدود، وبذئب ما يسمى المرض أو الخطيئة في كلٍّ أجهل، فلا  
يعودان كذلك

**قال:**

عليك نور

**قلت:**

لكن المهمة صعبة

**قال:**

الأصعب أسهل، ألم يصلهم ما قلناه عن الوسواس؟

**قلت:**

لا أعرف إن كان قد وصلهم أم لم يصلهم.

**قال:**

ليس مهماً، هذه ليست مهمتك، فليصل ما يصل إلى أصحابه.

**قلت:**

مهمة من إذن؟

**قال:**

مهمة جهال ترك

**قلت:**

هل تعرفه؟

**قال:**

بارك الله فيه وفيك

**قلت:**

فأنت راض عني

**قال:**

الرضا ليس مني، الرضا هو منك

**قلت:**

مني !!!؟

**قال:**

يعني منه، بقدر اجتهادك.

**قلت:**

تراني جتهدا ؟؟

.....

.....

**وقال لي:**

§ أكتب ما ترى ولا تنتظر

**وقال لي:**

§ إحك عني، حتى لو أخطأت، فهو الصواب بعينه، حتى لو لم

تفهم

وقال لي:

§ لا تستسهل، أو تُسهّل

**وقال لي:**

§ تذكر ما صدرت به كتابك منذ ثلث قرن "...

مثل البرق بين الغيوم السوداء،

سوف تحترق كلماتي ظلام فكرك،

لتصل إلى إحساسك - وجدانك - مباشرة،

فلا تحاول أن تفهمها جدا ! ....  
ولسوف تشرق في فكرك بعد حين  
! ! ! . . . . .

قلت:

يا مولانا، أنت بما هو أنت تستشهد بما قاله مثلي؟ !  
سامني يا مولانا أني قرأتك وأفرؤك كما فعلت وأفعل؟

قال:

وهل ساعك محفوظ وأنت تقرأ أحلامه؟

قلت:

مفوظ ؟؟؟!! كنت متأكدا أنكما معا، سلم لي عليه، فقد  
أوحشني.

قال:

حاضر

قلت:

لكن مدى علمي أنه لم يقرأك جدا

قال:

وهل هو في حاجة إلى قراءتي .!

\* \* \*

عن الشعور بالذنب: من مولانا النفرى

وقال لي:

لا ترجع إلى ذكر الذنب فتذنب بذكر الرجوع.

وقال لي:

ذكر الذنب يستجرك إلى الوجد به،

والوجد به يستجرك إلى العود فيه

موقف الصبح الجميل (ص 57)

\* \* \* \*

أوقفني في الصبح الجميل

فقلت لي:

يا خطاء أنت كما خلقك فسواك فعدلك،

إن كان ما مضى مما اقترفت قد مضى، فهو لم يعد ذنبا إلا  
إن كنت مصرا على جهودك عنده.

وتكراره لا يعنى إلا الوجدية

والوجدية هو الذى يستجرك إلى العودة إليه

تنغلق الحلقة عليك وأنت داخلها

تدور حول نفسك تلهث بكلمات،

ولا تدري أنك لا تفعل إلا إعلان ثبات موقفك في بؤرة ذنبك  
وحولها

ذكر الذنب تمسك به، وإصرار عليه.

هو دليل على الوجد به، ودعوة للعودة إليه،

إنك لا تستغفر بذكره، أنت تحكى عنه.

الذنب الأكبر من الذنب: هو الذى ذكره يحول بينك وبين  
غافر الذنب.

هو الذى يوقف سعيك إليه .

هو الذى يعوق كدحك للقاءه .

"أنا مذنب إذن أنا موجود."

إفرح بوجودك، وامض إليه  
ثم أوقفني في موقف الصبح الجميل  
**فقلت له :**

ذنب المعصية وذنب الغفلة وذنب السهو وذنب فرط العشم فيك:  
ذنوب تذكرني بك، فتلهب كدحي إليك  
أنا لست مذنباً مهما أذنبت.  
لست مذنباً ما أخلصت السعي فانصهرت في بوتقة المحاولة  
والكشف والتعلم والمجازفة والرعب.  
منذ عرفت الطريق إليك، واطمأننت لوقفتي في رحابك توقفت  
عن العنابة .

لم أتوقف عن التألم، ولا عن التعلم .

الذنب الذي يعلمني يغيرني.

فلا أعود أنا هو الذي أخطأ .

فلم ذكر الذنب، اللهم إلا إن كنت أتذرع حتى لا أغير؟  
ذكر الذنب إصراراً لعودة إليه، والعياذ بك من مثل ذلك،  
حتى إذا عدت إليه فلن يكون هو هو

حيث لن أكون أنا: أنا

أرجع إليك راضياً مرضياً

أنا أذنب، وأنت تغفر، فأتغير.

فلماذا ذكر الذنب وأنت الجديد به؟! .

وأنا الجديد إلى بك؟

**أوقفني في العهد وقال لي**

**أطرح ذنبك على عفوِي**

**وألِقْ حسنك على فضلي**

**موقف العهد (ص 83)**

**وجدت نفسي في موقف العهد فقلت له :**

لو لم توقفتني في العهد لما ترددت أن أقترحهم عشاء فيك،  
وثقة بك،

وهل أمامي سبيل آخر؟

طلقت الذنب حين رضيت أن أحمل يقين أخطائي.

يقيني بعفوك مسح الذنب، لم يبرر لي تكراره .

حين أطرح ذنبي على عفوك، يصبح حسنة أطرحها على فضلك،  
فتباركها

فأين الذنب؟

هذا هو حيائي منك.

إذا طرفت عيني بعيداً عنك أذنبت في حق نفسي لا في حقك.

وإذا وجب قلبي لغريك حرمت نفسي من نبضة أنا أولى بها  
إليك.

هو العقاب، وأنت أعدل من أن تعاقبني مرتين.

الحسنات هي أيضاً لي، وقبولها مرهون بأن تكون خالصة لك،

إن خلصت حسنة واحدة إليك، فقد عرفتك،

وإن عرفتك فمن أين تأتي السيئات

هي كلها حسنات،

فما أعدلك.

\*\*\*\*

**وقال لي إذا أذنب الواجد بي جعلت عقوبته أن يذنب ولا يجد بي.**

وقال لي إذا أذنب وهو واجد في استوحش من نفسه  
واحتج عليّ، وإذا أذنب ولم يجد في أنس  
مبلغ تأويله واحتج عليّ  
موقف القوة (ص 127)

\*\*\*\*

وقفت في موقف القوة وقلت له :

الذنب عقوبة لا تحتاج إلى عقوبة عليها،  
فما بالك إن اقترن بالحرمان من الوجد بك.  
حين أذنب وأنت معي، يغلبني الحياء، فأستوحش، وأكره  
الذنب.

لولا عشمي فيك لما رجعت إليك مؤتئنا برغم ذنبي.  
حين أذنب فأبرر وأفسر يبدو كأني أعتذر فكأني أصر.  
أبتعد عنك، فيحرمني الذنب من الوجد بك،  
خجلا أو عشي.

الوجد بك فرصة لأعيد تخليق نفسي من خلاله .

فتتخلق مني إليك، إليهم

وتتخلق منك إليها، إلى

الذنب يتصدى وأنا أجد بك،

نغمة نشاز

جسم غريب

إلا أن يقربني إليك، إليهم

لا أريد أن أظلم نفسي مرتين

مرة بالذنب

ومرة بالبعد

\*\*\*\*

وقال لي اجعل سيئتك نسيا منسيا،

ولا تخظر بك حسنتك فتصرفها بالنفي.

وقال لي قد بشرتك بالعفو فاعمل به على الوجد بي

وإلا لم تعمل.

وقال لي يا ولي قدسي واصطفاء محبتي.

وقال لي يا ولي محامدي يوم كتبت محامدي

موقف الصفح الجميل (ص 131، 132)

قلت له بعد أوقفني في موقف الصفح الجميل

علمتني أن الوقوف عند السيئة هو وجدُّ بها،

وفرط الاستغفار عن السيئة هو تذكيرُ بها،

إعلان الذنب تجاه السيئة هو إصرارُ عليها،

لا أجعل السيئة شياً فتختفي مني تحت السطح

حين يصبح النشئ منسيا تذوب السيئة في "الكل" فلا تعود

سيئة.

اجتراري ذكر الحسنه هو دلال عليك.

أنا أهل له.

وأنا خجلٌ منه.

كرمك وأنت تمنحني ولاية قدسك، واصطفاء محبتك، وولاية

محامدك هو حارسي ومناعي من التناول عليك بمعاودة

السيئات،

أو بتذكر ما فات.

يحيى  
وبعد  
هل لكل ذلك، أو بعضه علاقة بالطب النفسي؟  
بالصحة النفسية؟  
بثقافتنا؟  
بثقافة كل الناس؟  
بأمل الكل في وجود آخر يتواصلون معاً إليه؟  
ربما،  
دعنا نرى

**The Man & Evolution FORUM Web Site**

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

**Forum Subscription**

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

**Mail To Forum Participate**

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

**FORUM INVITATION**

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

الثلاثاء 29-01-2008

151- الشعور بالذنب (3)

سر اللعبة: لعبة الذنب

مقدمة

سوف نعرض الاستجابات دون المناقشة التالية بعد كل لعبة بين المشاركين، مكتفين بالتعقيب الحالى الذى سوف يكون موجزا بالقدر الذى يفي بعرض التفرقة بين الشعور بالذنب والكلام عنه، والفعل النابع من خبرته.

وأیضا غير ذلك مما ظهر فى الإستجابات بما يتعلق بالتوبة والاستغفار والاعتذار.

على أن كان لهذه اللعبة دور معرفى تنويرى أكثر من توظيفها لاثبات الغرض وسير أغوار الظاهرة مما سيأتى لاحقا فى الأيام التالية.

المشاركون:

الدكتور / أيمن مجدى عبد الدايم كلية التربية

الانسه / ولاء أحمد عبد الحميد طالبة

الدكتور/ أحمد رفعت كلية الهندسة - جامعة حلوان

أ/ حسين حسن طالب بكلية التجارة

أ.د. يحيى الرخاوى

اللعبة الاولى

انا نفسى أروح اعتذر لكل اللى أذيتهم مع إنهم.....

د. أحمد رفعت: يا دكتور أيمن انا نفسى أروح اعتذر لكل اللى أذيتهم مع انهم ماشكوش ولا مره

د. أيمن مجدى: يا أستاذ حسين انا نفسى أروح اعتذر لكل اللى أنا أذيتهم ولو انهم أخطئوا فيه برضه

أ. حسن حسن: يا ولاء انا نفسي أروح اعتذر لكل اللي أذبتهم مع انهم أذوني كثير

أ. ولاء: يا دكتور يحيى انا نفسي أروح اعتذر لكل اللي أذبتهم مع انهم فعلاً أذوني

د. يحيى الرخاوي: عزيزي المشاهد انا نفسي أروح اعتذر لكل اللي أذبتهم مع انهم مشاركين في اللي انا عملته بشكل او بأخر.

نلاحظ أن ثلاثة استجابات قد أظهرت أن الأذى المزعوم بدا كأنه رد فعل، ومن ثم فإن الشعور بالذنب ليس له ما يبرره في مستوى أعمق، أما الإجابة الأولى فقد بدت وكأنها تنطلق من حاسية شخصية، بغض النظر عن موقف الذين أودوا فهم لم يشتكوا! كما جاءت الإستجابة الأخيرة، بمثابة إشارة إلى أن من يلحقه الأذى هو مشارك ضمناً فيما ناله بشكل ما.

#### اللعبة الثانية

الاعتراف بالذنب مش كفاية، انا لازم.....

أ. حسن: يا دكتور يحيى الاعتراف بالذنب مش كفاية، انا لازم أتوب توبة نصوحه

د. يحيى: يا ولاء الاعتراف بالذنب مش كفاية ، انا لازم أتعلم قوى من غلطى

أ. ولاء: يا دكتور أحمد الاعتراف بالذنب مش كفاية، انا لازم اعتذر للى انا أذبت لله

د. احمد: يا دكتور أمين الاعتراف بالذنب مش كفاية، انا لازم أفكر في رينا 100 مرة قبل ما افعل أى شئ علشان ما ارتكبش الذنب مره ثانية

د. ايمين: عزيزي المشاهد الاعتراف بالذنب مش كفاية ، انا لازم اتعلم من خيرة الحياة

ثلاثة إجابات: الثانية، والرابعة والخامسة، أشارت إلى التعلم الواجب، كما ظهرت التوبة في الأولى، بينما الاعتذار في الثالثة.

غلبة فكرة التعلم من الخطأ، بدت إيجابية لتجاوز الشعور بالذنب، (وإن كان إعلان حتم التعلم غير فعل التعلم، أنظر بعد)

#### اللعبة الثالثة

أنا مش مذنب للدرجة دى، الحكاية إني.....

أ. حسن: يا دكتور أمين أنا مش مذنب للدرجة دى، الحكاية إني أخطأت شوية

د. أمين: يا دكتور أحمد أنا مش مذنب للدرجة دى، الحكاية إني اتفهمت خطأ



### اللعبة الخامسة

الظاهر الشعور بالذنب ده بيعطلى، والأصول إنى.....

د.أيمن: يا دكتور أحمد الظاهر الشعور بالذنب ده بيعطلى،  
والأصول إنى أنساه وأرميه من ورا ظهري

د.أحمد: يا دكتور يحيى الظاهر إن الشعور بالذنب ده  
بيعطلى، الأصول إنى اقلع عن الذنب مجدبة ولا أعود ألبه

د.يحيى: يا حسين باشا الظاهر الشعور بالذنب ده بيعطلى،  
والأصول إنى يا إمّا ماعملش بقى، يا بطل هذا الشعور اللى  
بيخلينى ألف حوالين نفسى وخلص

أ.حسين: يا ولاء الظاهر الشعور بالذنب ده بيعطلى، لكن  
الأصول إنى أسرع وأخلص منه بسرعة

أ.ولاء: عزيزى المشاهد الظاهر الشعور بالذنب ده  
بيعطلى، والأصول إنى أتوب عن الذنب ده

يبدو أن هذه اللعبة قد أضافت مزيداً من كشف الجانب  
السلبى للشعور بالذنب عند المشاركين الثلاثة الأول، مع ملاحظة  
أن الاستجابة الأولى لم تحدد هل المشارك يقصد أن يرمى الشعور  
بالذنب أم يرمى "فعل الذنب مرة أخرى"، الأمر الذى ظهر  
أكثر تحديداً، فى الاستجابة الرابعة حين وجد المشارك أن الأفضل  
أن يسرع ويتخلص من هذا الشعور المعطل، أما الإستجابة  
الخامسة، فبدأ أنها توبة قد لا تؤكد التغير، أو التوقف عن  
الشعور بالذنب، أو حتى التوقف عن تكراره.

### اللعبة السادسة

حتى لو أنا مذنب زى ما أنا فاكِر، مش يمكن.....

د.أحمد: يا دكتور يحيى حتى لو أنا مذنب زى ما أنا فاكِر،  
مش يمكن ربنا يغفر لى

د.يحيى: يا ولاء حتى لو أنا مذنب زى ما أنا فاكِر،  
ما يصحش أعمل فى نفسى كده وأحرم نفسى من الحق فى الفرحة  
والأمل فى ربنا

أ.ولاء: يا حسين حتى لو أنا مذنب زى ما أنا فاكِر، مش  
يمكن أتعلم من غلطى وما اغلطش الغلطة دى تانى

أ.حسين: يا دكتور أيمن حتى لو أنا مذنب زى ما أنا فاكِر،  
مش يمكن ربنا يغفر لى

د.أيمن: عزيزى المشاهد حتى لو أنا مذنب زى ما أنا فاكِر،  
مش يمكن أكون مقهور من المجتمع مقهور من السلطة اللى عليها.

الاستجابة هنا تراوحت بين الأمل فى المغفرة (الأولى  
والرابعة)، مضافاً إليه الحق فى الفرحة، ثقة بهذه المغفرة  
(الاستجابة الثانية)، وبين التبرير -ربما المشروع- (الاستجابة

الخامسة)، والتعلم كما جاء في الاستجابة الثالثة.

#### اللعبة السابعة

أنا باستغفر ربنا كثير بس مش عارف على إيه بالظبط،  
أصل أنا .....

أ.حسين: يا دكتور أحمد أنا باستغفر ربنا كثير بس مش  
عارف على إيه بالظبط، أصل أنا متقى الله

د.أحمد: يا دكتور أيمن أنا باستغفر ربنا كثير بس مش  
عارف على إيه بالظبط، أصل أنا حساس ودايماً باشعر بالذنب  
حتى ولو ما فعلتوش

د.أيمن: يا ولاء أنا باستغفر ربنا كثير بس مش عارف على  
إيه بالظبط، أصل أنا باحد ربنا جامد باحد ربنا كثير

أ.ولاء: يا دكتور يحيى أنا باستغفر ربنا كثير بس مش  
عارفه على إيه بالظبط، أصل أنا حسيت أن أنا أذنبت كثير

د.يحيى: عزيزى المشاهد أنا باستغفر ربنا كثير بس مش  
عارف على إيه بالظبط، أصل أنا بعمل كده من باب الاحتياط  
أصل الاحتياط واجب.

للاستغفار وظيفة إيجابية، حتى لو لم يرتبط بذنب بذاته،  
لكن المبالغة فيه على حساب حمد الله مثلاً، قد تستجلب إلى الوعي  
ذنباً لم تحدث، وبالتالي فكثيراً ما أنصح بعض المرضى بأن  
يقلبوا الاستغفار حمداً، وأن يكثرُوا من الحمد، حتى على مجهول،  
وبالملاحظة كان هذا النوع من "العلاج المعرفي" المرتبط  
بثقافتنا شديد الدلالة والفائدة.

يلاحظ هنا أن تبرير أو تفسير هذا الاستغفار استجلب نفي  
الذنب في الاستجابة الأولى، وتم الربط بينه وبين المبالغة في حب  
الله في الثالثة، لكنه استجلب الذنب في الثانية والرابعة، في  
حين حملت الاستجابة الخامسة ما يشبه الحيلة المطمئنة نوعاً.

#### اللعبة الثامنة

قال يعنى لما أقول أنا مذنب يبقى بقى.....

د. أحمد: يا دكتور أيمن قال يعنى لما أقول أنا مذنب يبقى  
بقى الذنب اتغفر، الحقيقة المفروض يتبعه عمل وعدم العودة  
مرة أخرى

د. أيمن: يا أ.حسين قال يعنى لما أقول أنا مذنب يبقى بقى  
الذنب راح وانتهى ولكنه له بواقى، بواقى، بواقى

أ.حسين: يا ولاء قال يعنى لما أقول أنا مذنب يبقى بقى  
الذنب كده إنتهى بالنسبة لى

أ.ولاء: يا دكتور يحيى قال يعنى لما أقول أنا مذنبه يبقى  
بقى ربنا غفر لى

د. يحيى: عزيزى المشاهد قال يعنى لما أقول أنا مذنب يبقى بقى الحكاية خلصت، أبدأ، ده لا يكفى، دي مسئولية، لو ما اتغرتش مافيش فايده، لو اتغرت مش محتاج أقول أنا مذنب

صيغة اللعبة استجلبت موقفاً ناقداً للتوقف عند الشعور بالذنب عند الجميع، وكأنها صيغة تعليمية، أو علاجية تنبه إلى أن مجرد إعلان هذا الشعور ليس كافياً، بل إنه قد يكون في ذاته تفريراً مثيراً،

الجميع استجاب لهذا التوجيه الضمني وأضافت "الإستجابة الأولى" إلى التغيير حفزاً إلى العمل.

#### اللعبة التاسعة

ماهو لو الشعور بالذنب كان نفعى كان زمانى .....

أ.ولاء: يا حسين ماهو لو الشعور بالذنب كان نفعى كان زمانى ماكنتش رجعت للغلط ده تانى

أ.حسن: يا أين ماهو لو الشعور بالذنب كان نفعى كان زمانى اتغرت كثير

د. أيمن: يادكتور يحيى ماهو لو الشعور بالذنب كان نفعى كان زمانى بقت حاجة تانية

د. يحيى: يادكتور أحمد ماهو لو الشعور بالذنب كان نفعى كان زمانى أقدر أفرح بصحيح

د. أحمد: عزيزى المشاهد ماهو لو الشعور بالذنب كان نفعى كان زمانى حالى اتغير

مرة أخرى، مثل اللعبة السابقة كان الاستدراج توجيهاً وشحذاً للبصيرة الإيجابية، الجميع أيضاً أقر، وربما توجه إلى، أن التغيير هو العلامة الأولى للطمأنينة إلى فاعلية إيجابية هذا الشعور، وإلا فقلته أحسن.

الإجابة الرابعة هي التي ربطت إيجابية هذا الشعور بالفرحة الحقيقية وصاحبها هو نفسه الذي أشار للفرحة الحقيقية في اللعبة السادسة

#### اللعبة العاشرة

اللى عايز يصلح الذنب اللى ارتكبه بصحيح لازم يعمل حاجة تانية، أنا مثلاً .....

أ.ولاء: يادكتور أيمن اللى عايز يصلح الذنب اللى ارتكبه بصحيح لازم يعمل حاجة تانية، أنا مثلاً لازم أستغفر ربنا

د. أيمن: يادكتور أحمد اللى عايز يصلح الذنب اللى ارتكبه بصحيح لازم يعمل حاجة تانية، أنا مثلاً يايس لسطقتي

د. أحمد: يادكتور يحيى اللي عايز يصلح الذنب اللي ارتكبه بصحيح لازم يعمل حاجة ثانية، أنا مثلاً حايداً أعد في حساباتي من جديد

د. يحيى: يادكتور أحمد اللي عايز يصلح الذنب اللي ارتكبه بصحيح لازم يعمل حاجة ثانية، أنا مثلاً ياحاول أراجع حياتي بصحيح يمكن لسه قدامى فرصة رغم سنى علشان أعمل حاجة ثانية

د.أحمد: عزيزي المشاهد اللي عايز يصلح الذنب اللي ارتكبه بصحيح لازم يعمل حاجة ثانية، أنا مثلاً بدأت في أراجع حساباتي وابتدى صفحة جديدة من حياتي مافيهاش أى ذنوب ومافيهاش أى أخطاء ومافيهاش أى ظلم لأى إنسان

التوكيز هنا كان بمثابة اختبار محدد لما يمكن عمله للاستفادة من هذا الشعور ما أمكن، عاد الاستغفار يطل من الاستجابة الأولى وكأنه هو نفسه "عمل حاجة ثانية"، وهذا لا يدل على التقاط الرسالة.

لكن الاستجابة الثالثة والرابعة بدتا وكأنهما تسيران إلى مراجعة واعية "حاعيد حساباتي" "أراجع حياتي"، وبالنسبة للاستجابة الثانية فكانت بمثابة محاولة إفاقة لتجنب الذنب الناتج عن الغفلة (بابص لسطقت) أما الإجابة الخامسة فبالرغم من أنها كانت أيضا مراجعة حسابات إلا أن اللاعب قد أخطأ ذلك بنفى كامل شامل لاحتمال ارتكاب أى ذنوب أو أخطاء أو ظلم في المستقبل! حياة

"مافيهاش أى ذنوب أو أخطاء أو ظلم لإنسان!!"، مما قد يؤكد لنا أن كل هذه النوايا بهذه المبالغة لابد أن توضع بين قوسين حتى تُحْتَبَر.

وبعد

- نلاحظ من الاستجابات والتعقيب -كما أشرنا في المقدمة- أن هذه اللعبة لم تختبر الفروض الأساسية المطروحة بطريقة مباشرة، وخاصة فيما يتعلق بالتنظير المبدئي لأصل بزوغ هذه الظاهرة مع ظهور الوعي البشرى.

- كما نلاحظ أن جرعة التوجيه فيها كانت واضحة، ومرتبطة بفكر مسبق يبدو وكأنه ذو توجه إرشادى، أكثر من ارتباطها بفكرة الاستكشاف لمعرفة جذور هذا الشعور.

- وأخيرا -كما أشرنا أيضا - فإن الحديث عن التغيير كشرط للطمأنينة لتحويل الشعور بالذنب إلى مسار الإيجابي، يبدو مفيدا، لكن فائدته هذه تظل معلقة حتى تثبتتها الأيام فعلا بأن ثم تغييرا حقيقيا قد حدث.

- إن مقارنة مستوى الاستجابات، المرتبط بألفاظ اللعبة الموحية، بما سيرد الاستشهاد به من "كيف تناول الإبداع مسألة الشعور بالذنب" يمكن أن تساعدنا في فهم الظاهرة على

مستوياتها المختلفة، فالإبداع -كما سيرد بعد- يغوص في أعماق طبقات الوعي، وبالتالي يلامس الفرض الأساسي أقوى وأوثق.

وهذا ما سنتناوله في الحلقات التالية.

[http://www.rakhawy.org/a\\_site/everyday/sendcomment/index.html](http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html)

[http://www.rakhawy.org/a\\_site/video/ser/22.html](http://www.rakhawy.org/a_site/video/ser/22.html)

- من برنامج سر اللعبة - قناة النيل الثقافية، (2004/5/29) يمكن الرجوع إلى قواعد اللعبة يومية (في برنامج سر اللعبة على الموقع). وهي فرصة أن يراجع بنفسه نص ما دار ليخرج منه بما يوافق ما ذهبنا إليه، أو ما يخالفه ويكتب لنا ما شاء.

**The Man & Evolution FORUM Web Site**

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

**Forum Subscription**

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

**Mail To Forum Participate**

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

**FORUM INVITATION**

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

الإثنين 30-01-2008

152- الشعور بالذنب (4)

أغنية للأطفال، ورحمة ربنا

فضلت أن أقطع هذه السلسلة بهذه الأغنية تخفيفاً لجرعة التنظير من جهة، وتحقيقاً لفرض آخر أحاول الدفاع عنه .

هذا الفرض يقول:

إن كل النظريات الصعبة، والحسابات الغامضة، بما في ذلك النسبية، والرياضة الكمومية، والطبيعة الكمومية، وعلم الشواش، وعلم التكوينية، والعلم المعرفي، والعلم المعرفي العصبي، وما شابه، بل والإيمان، كل ذلك هو موجود في الطبيعة، وتعمل تلقائياً عبر التاريخ الحيوى، وبالتالى هي تظهر في الطفل والامى بتلقائية أكثر.

حين نستطيع أن نخاطب الأطفال بلغتهم ونحن نقدم لهم ما يعرفونه، مثلما فعل هانز أندرسون، ومثلما بدأت كثير من الديانات قبل أن نشوهها ونفسدها بوصايتنا عليها، وأيضاً مثلما فعلت الأساطير وهى تنتقل بين ناسها وتثقنهم، بما هم .

هذه الأغنية هى ضمن بضع وعشرين أغنية كتبتها للأطفال، وأحقت ببعضها شرحاً مناسباً، وقد تتاح الفرصة للعودة إليها هنا، أو لست أدرى:

الغلط وارد ما دمنا صغيرين

لما نغلط، ربنا يسامخ، ونتعلم، ونفهم إننا من أصل طين.

والكبار برضك يغلطوا زيناً

ماهى خلقة ربنا

نعمل ايه؟

الغلط ما هوش نهاية

الغلط هوا البداية

بعدها إنت وشطارتك

مش بنشمت بيه فى خيبتك

والذنوب دى مهما كانت، هيا مابتلرقشى فينا

إحنا نفهمها ونحسبها ونغسلها، وُهَبْ، ويا الألبينا  
 الغلط دا لما نفهم إنه ماضى فات أوأته  
 يبقى خطوة ناحية المَكْن مَكائهُ  
 لو ضميرنا شَلْنَا قَالَ إِيهِ غَلِطْنَا  
 يبقى معناه اننا رُضِينَا بُخَيْبِتْنَا  
 لو ضميرنا مش حايسمخ حَبْتِيْن كدا: بالغلط  
 يبقى ده عَزَّ الغَلَطُ  
 يبقى نعرف إننا مش قد دَرَسُهُ  
 إِنَّ كُتِرْ كلامنا عَنهُ قَدْ منعنا أَنَّا نَجسُهُ  
 حتى لو ذنب بَصَحِيحْ، وكبِيرْ قوى  
 رَبَّنَا أرحم وأكْبَرْ، ..... ربنا هَوَا القوى  
 ملحوظة: هل تريد أن تقارن ما جاء بهذه الأغنية، بما جاء  
 في استجابات المشاركين في لعبة أمس؟  
 أنا موافق، لكننى لا أوصى بذلك غَنَّاها مرتين بنفسك، كما  
 فعلت أنا،  
 كما يمكنك أن تسمعها بصوتى شخصيا في الموقع مباشرة .  
 (الدرس الثالث عشر - إراجيز الفطرة البشرية)

**The Man & Evolution FORUM Web Site**

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

**Forum Subscription**

[TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr](mailto:TheManAndEvolutionForum-subscribe@yahoogroupes.fr)

**Mail To Forum Participate**

[TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com](mailto:TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com)

**FORUM INVITATION**

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/MaEForumInvitation.pdf)

الخميس 31-01-2008

## 153- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقااة

والحلم (29)، الحلم (30)

## الحلم (29)

المكان جديد لم أراه من قبل. لعله بهو في فندق وقد جلس الخرافيش حول مائدة. وكانوا يناقشونني حول اختيار أحسن كاتبة في مسابقة ذات شأن، وبدأ واضحا أن الكاتبة التي رشحتها لم تحز أى قبول. قالوا إن ثقافتها سطحية. وإن سلوكها غاية في \*السوء\* وعبثا حاولت الدفاع، ولاحظت أنهم ينظرون إلى بتجهم غير معهود وكأنهم نسوا عشرة العمر. وتحركت لمغادرة البهو فلم يتحرك منهم أحد وأعرضوا عني بغضب شديد، سرت نحو المصعد ودخلت وأنا أكاد أبكى. وانتهت إلى أنه توجد معى امرأة في ملابس الرجال ذات وجه صارم. قالت إنها تسخر بما يسمونه صداقة وإن المعاملة بين البشر يجب أن تتغير من أساسها. وقبل أن أفكر فيما تعنيه استخرجت مسدسا من جيبها ووجهته إلى مطالبة إياى بالنقود التى معى. وتم كل شئ بسرعة ولما وقف المصعد وفتح بابيه أمرتني بالخروج. وهبط المصعد ووجدتني في طرقة مظلمة وقهرتني شعور بانئى فقدت أصدقائى وأن حوادث كالتى وقعت لى فى المصعد تترىبى هنا أو هناك.

\*\*\*

## القراءة

لا يستعمل نجيب محفوظ لفظة "الخرافيش" هكذا مباشرة إلا نادرا. وثلة الخرافيش الحقيقية هي قديمة قدم نشأتها، لكن المكان هنا - كما لاحظنا - جديد لم يره الراوى من قبل، فهو الإبداع.

محفوظ حين يستعمل هذا الاسم العزيز، والذي شرفت بالانتماء إليه ولو في الوقت بدل الضائع، لا تكون له علاقة بالخرافيش الحقيقيين على أرض الواقع، كما كان الحال في إطلاق نفس الاسم على رائعته: ملحمة الخرافيش، دون ربط أيضا

وبرغم ذلك، فبداية الحلم تقترب قليلا أو كثيرا مما يدور في محيط عدد من المثقفين الذين كانوا يحضرون مؤخرا مجالسه اليومية التي هي ليست حرفوشية إلا الخميس.

حاجة محفوظ -كبداية- (أو الراوى) إلى رضا المثقفين المحيطين به عن سلوكه ليست خافية في هذا الحلم، وإن كانت لا تغير رأيه، ولا تمنعه من الانصراف معتزاً محتجاً.

بعد تجهمهم و غضبهم، قرر أن ينصرف وهو يشعر بالرفض ويكاد يبكي ويتحسر على عشرة العمر، مما يشير إلى الحاجة إلى مثل هذه الموافقة بشكل أو بآخر، هي حاجة إنسانية أساسية لا يستغنى عنها أى بشر مهما نال من تقدير عام أو خاص، رسمى أو شعبي.

العلاقة بين المرأة التى رشحها صاحبنا للفوز بالجائزة الأدبية، وبين المرأة التى فى المصعد غير واضحة. الراوى دافع عن الأول برغم سطحيته وما يشاع عنها، وتحمل فى سبيل ذلك نظراتهم و غضبهم برغم عشرة العمر، امرأة المصعد بدت لى أنها هى هى امرأة الجائزة وقد ظهرت على حقيقتها، مسترجلة مقتحمة.

هو (الراوى من عمق آخر) أيضا يبدو أنه تعزى أمام نفسه، وربما اكتشف أن الثلة التى اعترضت على رأيه قد التقطت صفقة لا شعورية كانت تجرى داخله دون أن يدري (نحن لم نعد نتكلم عن محفوظ الحقيقى، بل عن الراوى الذى تقمصه فى الحلم)، المرأة لا توافق على عرض الصداقة الغامض، فنتصور أنه الإباء والحذر، وهى حين تعلن سخريتها من الصداقة بحثا عن قواعد أخرى للعلاقات بين البشر، ربما يحظر لنا أنها تشير إلى مستوى من العلاقات أكثر صدقا وعمقا ومسئولية، لكننا نفاعاً بأنها تمارس معاملة بين البشر من نوع آخر، وهى الاقتحام (الذى ننكره -ظلما- على المرأة)، والسلب قسراً (السرقه بالاكراه) .

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تواصل القهر والإرهاب وهى تأمره بالخروج أمامها من المصعد، ولم يكن ناقصا إلا أن يرفع ذراعيه إلى أعلى مستسلما.

ها هو يستسلم فعلا لمصيره هذا ويمضى فى سرداب الظلام .

هذا الحلم - هكذا - ينبهنا إلى حقيقة هامة فى تسلسل حركية الإبداع، قد تغيب عن كثير من النقاد: إنه مهما كانت بدايات الإبداع مستثارة من واقع ما، كلمة ما، مناقشة ما، حادث وقع للمبدع، أو وقع أمام المبدع، أو حكى له، وأيضا مهما كانت البداية مستثارة من شعور عابر عاشه المبدع، أو انتبه إليه فاستثمره - كبداية - فإن تواصل عملية الإبداع لا يعنى، ولا يلزم أن يظل الشخص المثير لحركية الإبداع هو هو، يترتب على ذلك أن نفس الشخص قد يكون جماع عدة أشخاص فى تلاحق غير خطى، فيبدأ - كما هنا - بالاعتداد بالاختلاف فى الرأى ضد أغلب الرأى السائد، ثم ينقلب إلى شخص محتج غاضب منسحب، ثم ينقلب إلى شخص ثالث يبرز من داخله أو يحل محله وهو الشخص الذى يرجو أن يعقد صفقة أملة من وراء ذاته الظاهرة، وكأنه محكم من الذين يتعاملون مع النقد والجوائز من خلال الصفقات، إعلان فشل صفقة هذا الأخير مع امرأة المصعد يبين كيف أنه لم تعد هو هو الذى بدأ بإعلان الاختلاف والتمسك والرأى.



التجاوز إلى ما بعد الناس، فإن لم يرتو من الأسرة فليرتو من كلام شيخ الأزهر الجميل.

لكن الشيخ نفسه كان جائعا وعبر عن ذلك برقة بطريقة غير مباشرة بأن نبه إلى عدم تقديم القهوة، فينتهزها الراوى ليطلب لنفسه ولو قطعة خبز وجبن.

ثم يتحرك جوع من نوع آخر، حين تنتقل الحاجة من داخل الأسرة ورمز الدين، إلى الأمل في التواصل، التعاطف مع "الآخر" (الأخرى) في الحب "أنا عشقت"،

تحضير بنت الجيران إلى داخل الحجرة يبدو وكأنه وعُد بالاستجابة للجوع الجديد،

لكن الفتاة بدورها جائعة، وكأن جوع كل منهما لا يمكن أن يروى جوع الآخر، إذا ما أخ كل منهما مجوعه معاً في نفس اللحظة.

البيت (الأهل والزوار، الشيخ، والفتاة) بكل من فيه لم يرو جوعه، فلينتقل إلى خارجه، إلى الشارع إلى الناس، لكن الطريق خال (من الناس)، وما زال الجوع ملحاً، فليحتفظ بالأمل في أن يشبع من مصدر عام، من مخبز ماء، لا يعرفه، وهو ليس متأكداً من أنه سيجد فيه ما يشبعه.

ثم هي النهاية المفتوحة كالعادة.

.....

قبل أن أغلق ملف الجوع في هذا الحلم خطرت ببالي صورة جريتا جاربو، التي ظهرت في حلم (9) حين تحولت الأخت فيه إلى جريتا جاربو، وحين طلب الراوى من أخته أن يستعيد المعجزة رفضت، بسبب الأم، التي "تدرى كل شئ".

هل يسمح هذا الربط أن نلتقط بداية الحلم خاصة أن المكان هو "بيتنا بالعباسية"، نلتقط إشارة إلى أن هذا هو "الجوع الأساسي قبل أن يتميز.

بدأ الحلم هنا بالأم والأخت أيضاً، وفي حين أنه لم يفرق هناك (حلم 9) بين الممنوع والمسموح، ربما لأنه لم يكن قد تعلم بعد ما يسمى "نحو الأسرة" "Grammer of the family" نجده هنا يبدأ مستثاراً من الأم والأخت حاضرتين مجرد تحريك الجوع، لكنه ومن البداية يتوجه بعيداً عنهما، ويظل جوعاً متنوع التجليات، دائم البحث طلباً للارتواء ليس بالجنس تحديداً، بقدر ما هو الجوع الأساسي من أول الجوع الحسى إلى لقمة وجبن، مروراً بالمعرفة إلى عموم الناس.

جانفي 2008 : العدد 5



---

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2008

## أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي



### الأبحاث النفسية

- عيد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عيد الفروض والنظريات والمدخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماستير التي قام بها واشرف عليها ومشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالية

### المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط ( ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكيوباتولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكيوباتولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمّل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام- ترحلات يجي الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجره - ( ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعري الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسماح حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويا مثل أمس- تبادال الأقنعة - أصداء الأصداء

### الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس لكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

## إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2008

